اليهود وأرض كنعان

اليـهود وأرض كنـعان

تأليف

تركي قاسم الزغبـي

اليهود وأرض كنعان

تأليف: تركي قاسم الزغبي

عدد النسخ : 1000 نسخة

سنة الطباعة : 2012

الترميز الدولي: 7-89-439-9933-978(ISBN)

جميع العمليات الفنية والطباعية :

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف:0096311 5627060 /0096311 5637060

فاكس: 0096311 5632860

ص. ب : 259 جرمانا

الإهــداء

إلى روح الشهيد الشيخ عز الدين القسام. الذي أشعل الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936 ، دفاعاً عن عروبة فلسطين ضد الاحتلال البريطاني والعدوان الصهيوني على سكانها ، واستمرّ يقاتل حتى سقط شهيداً في معركة جبل يعبُد.

إلى روح القائد فوزي القاوقجي، الذي سجل أروع صفحات البطولة في قيادته للمقاتلين العرب في معارك الدفاع عن عروبة فلسطين.

إلى روح الشهيد المجاهد عبد القادر الحسيني الذي سقط شهيداً في معركة القسطل دفاعاً عن القدس.

إلى أطفال فلسطين الذين صمدوا رجالاً ، في وجه الطغيان الصهيوني، في حين ذلَّ الرجال واختاروا عار الأبد.

تقديم:

بدأت مسألة اليهود وأرض كنعان، منذ مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بظهور موسى وقومه ، الذين أطلقت التوراة عليهم اسم بني إسرائيل، **على مسرح الأحداث في غرب شبه جزيرة العرب**.

وما زالت هذه المسألة قائمة حتى الآن (مطلع القرن الحادي والعشرين)، بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام. وعلى الرغم من تلاشي هذه المسألة خلال قرون طويلة، إلا أنها عادت إلى الظهور من جديد مع تطور حركة الاستعمار في العالم، منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وأخذت تبرز شيئاً فشيئاً وبقوة أكثر من أي وقت مضى، مع ظهور ما يسمى بالحركة الصهيونية غير اليهودية في أوروبا وأميركا. حتى انتهى الأمر بانتصار الدول الاستعمارية في تحقيق المشروع الصهيوني وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين عام 1948، كقاعدة

استعمارية لحماية مصالح الدول الاستعمارية على رأسها الولايات المتحدة الأميركية، في المنطقة العربية.

وما قيام دولة إسرائيل في فلسطين إلا تنفيذاً لأسطورة (أرض الميعاد) التي بدأت مع موسى، أو كما ابتدعها كهنة التوراة في الأسر البابلي، وإلا تنفيذاً للمخطط الاستعماري الهادف إلى السيطرة على المنطقة العربية.

ولذا يقتضي البحث، العودة إلى الجذور التاريخية لهذه المسألة، وتتبع تطورها منذ زمن موسى وحتى قيام دولة إسرائيل. فكان لا بد أولاً من العودة إلى التوراة كمصدر فيه من التفصيل، بالإضافة إلى ما تحتويه التوراة من الأساطير والقصص المأخوذه من أساطير وقصص السومريين والبابليين والكنعانيين العرب. ولكن كهنة التوراة عمدوا إلى تزييف الحقائق التاريخية، وتحريف أسماء المواقع والحوادث.

ومن هنا كان لا بدَّ من البحث عن مصادر حقيقية تستند إلى الاكتشافات الآثارية.

وبالعودة إلى البداية التاريخية لهذه المسألة، فلا بدّ من تتبع الحوادث على النحو التالي:

1- موسى وقومه وكل ما يتعلق بشخصه ونشأته ومن ثم خروج جماعته من مصر إلى أرض كنعان، مع مناقشة كل ذلك على ضوء المعلومات الصحيحة.

2- قوم موسى بعد موته (مقتولاً) كما تقول التوراة تنفيذاً لأمر الرب ولعل ذلك كان تنفيذاً لأمر الكهنة. ثم تولي يشوع بن نون قيادة الجماعة وما يتبع ذلك من أحداث حتى عهد القضاة.

3- عصر الملوك الأول (شاول وداود وسليمان) وما في التوراة من مبالغات حول هذه المرحلة. مع مناقشة كل ذلك.

4- عصر الملوك الثاني - فترة المنازعات والانقسام ثم السبي الأول ثم السبي الثاني الذي قام به الملك نبو خذ نصّر حيث سبى اليهود إلى بابل (568 ق.م).

5- اليهود في زمن الاحتلال الفارسي - العودة من السبي (عاد بعض اليهود إلى مواقعهم في غرب شبه جزيرة العرب - ثم انساح بعضهم إلى جنوب سورية).

6- اليهود في زمن الحكم اليوناني في سورية وتمركز عدد من اليهود في أورشليم الجديدة.

7- اليهود في زمن الحكم الروماني.

8- الديانة اليهودية - نشوءها - مصادرها.

9- انتشار الديانة اليهودية في بلاد الخزر ومنها إلى أوروبا.

10- يهود العالم في الوقت الحاضر وصلتهم بقوم موسى أو بفلسطين.

11- الحركة الصهيونية غير اليهودية والحركة الصهيونية اليهودية وعوامل ظهورها ونشاطها بالتعاون مع الدول الاستعمارية في قيام دولة إسرائيل في فلسطين عام 1948.

قاد البحث إذن إلى التعرف على الموقف العربي تجاه هذا الخطر الداهم

- موقف عرب فلسطين - موقف جيش الإنقاذ - موقف الحكومات العربية وجامعة الدول العربية.

والحرب العربية (اليهودية الأولى 15 أيار 1948. والنهاية المحزنة...

نحن الآن في العام /2012/. ويكون قد مضى على هزيمة الجيوش العربية في حرب عام 1948، أربع و ستون عاماً. حيث أصيبت الأمة العربية بأكبر كارثة عرفتها في تاريخها الحديث.

مرّت كل هذه السنوات والمواطن العربي، على امتداد الأرض العربية يسأل؛ كيف؟ ولماذا؟.

كيف ضاعت فلسطين ؟!

ولماذا هُزم العرب في الحرب ؟!.

فمن المسؤول عن وقوع الكارثة وكيف ضاعت فلسطين؟.

كل هذه الأسئلة تتردد على لسان كل عربي منذ عام 1948 وما زالت تتردد حتى الآن. ويحاول المواطن أن يهتدي إلى الجواب، فلا جواب !......

هل الشعب هو المسؤول عن الهزيمة، فلم يبادر إلى حمل السلاح؟

أو أن الحكومات العربية، وجامعة الدول العربية هي المسؤولة فلم تبادر إلى الإعداد للمعركة الإعداد اللازم؟!.

لقد كان الشعب هو السبّاق إلى حمل السلاح في كل قطر عربي، حينما لم تكن حكومات عربية تتصدى للأمر. لقد هبّ المواطنون إلى الكفاح لصد اعتداء الدول الاستعمارية في أعقاب الحرب العالمية الأولى. في حين تخلت حكومة فيصل الأول عن مسؤولياتها في الدفاع عن دمشق، فدخلها الجيش الفرنسي عام 1920.

وهذه ثورة الشعب العربي في العراق تتصدى للاحتلال البريطاني 1920. وفي سورية هذه هي الثورة السورية الكبرى عام 1925 ضد الاحتلال الفرنسي. وهذا هو الشعب العربي الفلسطيني يتصدى للجيش البريطاني في عدة انتفاضات أهمها ثورة عام 1936.

هل بعد كل ما قدمه الشعب من تضحيات في سبيل الدفاع عن الأرض والكرامة، يحتاج إلى براهين جديدة لإثبات حبه لوطنه وشجاعته للدفاع عنه؟!.

_ كان الشعب دائماً بحاجة إلى قيادة وطنية مخلصة، تقود كفاحه في مواجهة العدو حتى النصر. ولكن الأمر كان مختلفاً، فالشعب هو الذي يكافح ويقدم التضحيات، ويقوم بالواجب الوطني. والقيادة المتمثلة بالحكومات هي سبب التخاذل والهزيمة.

لم يقم بعد القائد الكفؤ الذي يصلح للحكم والقيادة والسهر على مصالح الشعب. إن ضعف العرب وجهلهم وفقرهم وذلّهم هي أمور في أعناق الحكام والزعماء العرب. لأن أعداء الأمة العربية هم بالدرجة الأولى، في داخل حدود بلادهم، وفي نفوس أكثر زعمائهم. وما دام الشعب غير قادر على الانفلات من براثن هؤلاء فلا حياة ولا كرامة ولا كيان له.

ألم يكن أولئك الحكام والزعماء من منشيء الأحزاب التي تطالب بالاستقلال للبلاد العربية والعمل على وحدتها؟!. ألم يقسموا الإيمان المغلظة على الموت دون الاستقلال والوحدة؟!.

فما بالهم الآن تفعل في نفوسهم فتن الدسّ، وحب الجلوس على كراسي الحكم، وجمع الأموال الطائلة تاركين الشعب في حالة من الفقر والجهل والمرض بما لا يحيطه وصف؟

فما أن تربعوا على كراسي الحكم وشعروا بثباتها تحتهم حتى أصبحوا ((مستثمري الأمة، وثعالب الاستقلال والوحدة، وسماسرة التجزئة والتفرقة،

وأبواق الذل والمهانة. فلن يذهب عن أي شعب عربي سوء ما فيه، ما لم يحطم تلك الدمى والمأخوذين بتلك الدمى)).

بدأت القضية الفلسطينية تظهر منذ عام 1946 مع تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فلم تفعل الحكومات العربية وجامعة الدول العربية، ما يمكنها من مواجهة هذا الخطر الداهم ليس على فلسطين فحسب بل على الأمة العربية بكاملها. سوى المؤتمرات المتلاحقة والوعود الكاذبة والخطب الرنانة. فهي مثلاً لم تعمل على إعداد الجيوش العربية الإعداد الكافي، ولم تبادر إلى تزويد الجيوش بالسلاح والعتاد اللازم لخوض المعركة وإحراز النصر. بل بقيت تلك الجيوش على ما كانت عليه قبل الاستقلال، تعاني الضعف وعدم القدرة على خوض حرب فعلية، لدرجة أن ذلك كان سبباً من أسباب فشل العرب في معركة فلسطين1948.

وإذا علمنا أن جامعة الدول العربية كانت قد اتخذت قراراً عام 1947، تعهدت بموجبه بالدفاع عن فلسطين وإنقاذها باعتبارها جزءٌ من الوطن العربي الكبير. لكنها على العكس تماماً لقد خذلت العرب الفلسطينيين، حينما حالت بينهم وبين الاشتراك في معركة التحرير، حيث حجبت عنهم السلاح والعتاد اللازم للدفاع عن أرضهم.

ومما يؤسف أن كثيراً ما يتردد في المجالس الخاصة أو على صفحات الصحف القول: بأن عرب فلسطين قد قصّروا في الدفاع عن أرضهم، فلم يقاتلوا بما فيه الكفاية لإنقاذ وطنهم. وأنهم باعوا أراضيهم لليهود. فكيف يمكن أن يقال مثل ذلك بحق عرب فلسطين الذين نُكبوا بأنفسهم وعائلاتهم وبلادهم؟. ومما يؤلم حقاً ويحزّ في النفس أن ينطلق مثل هذا الافتراء على لسان بعض العرب.

قلنا أن سبب الهزيمة في حرب عام 1948، وجود قيادة متمثلة بحكومات ضعيفة رجعية، متخاذلة، وخاضعة لنفوذ الدول الاستعمارية مباشرة أو بصورة غير مباشرة.

فماذا فعلت الحكومات التقدمية التي وصلت إلى السلطة في بعض الأقطار العربية، بعد الهزيمة وقد رفعت شعار تحرير فلسطين؟.

_ في حرب عام 1967 استطاع اليهود (بدعم من أميركا والدول الاستعمارية طبعا") إلحاق الهزيمة بالجيش المصري والوصول إلى ضفاف قناة السويس في ستة أيام، وأن يحتلوا قطاع غزة.

وإلحاق الهزيمة بالجيش السوري واحتلال الجولان، وكسب معركة المياه بالسيطرة على منابع نهر الأردن وبقي للعرب في سورية (أغنية؛ ما بيتحوّل) ثم إلحاق الهزيمة بالجيش الأردني واحتلال الضفة الغربية والقدس.

ـ وفي حرب عام 1973 ـ وإن حقق العرب بعض النجاح في بداية الحرب، حيث استطاع الجيش المصري اجتياز قناة السويس واحتلال مواقع اليهود الحصينة في خط (بارليف) على الضفة الشرقية من القناة. ولكنه أُمِرَ بالتوقف وعدم التقدم.

واستطاع الجيش السوري أن يقوم بخرق جبهة الجيش الإسرائيلي في القطاع الأوسط من الجبهة واحتلال مرصد جبل الشيخ الذي أقامته إسرائيل بعد حرب 1967.

ولكن ماذا حصل؟. وكما قال أحد الكتّاب ((الحرب التي كادت أن تكون)) وهو يعني كادت أن تكون نهاية إسرائيل.

فالعرب لم يستثمروا هذا النصر الأولي في تطوير الهجوم لتحرير الأراضي المحتلة، فانقلب الأمر ضد العرب وانتهى الأمر إلى وقف القتال. ثم إخراج مصر من المعركة، عندما جلس الرئيس المصري أنور السادات على طاولة المفاوضات مع مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل. وعندما وقع معه معاهدة السلام والاعتراف بإسرائيل.

وهكذا ضاعت فلسطين وضاع معها أجزاء أخرى من الأرض العربية وضاعت معها كرامة الأمة العربية ((لقد اختار الحكام العرب عار الأبد)).

وبعد ؛ فماذا يُعد العرب الآن لمجابهة احتمالات المستقبل، وإسرائيل تتطلع إلى دولة يهودية من الفرات إلى النيل؟.

إنهم لم يفعلوا شيئاً سوى المؤتمرات السياسية الكاذبة والشعارات الفارغة.

وهكذا تنتهي مأساة فلسطين ونكبة الأمة العربية، تلك المأساة التي مثلتها الحكومات العربية، إذ دخلت إليها متخاذلة مستهترة وخرجت منها منهزمة مذعورة.

وسيبقى السؤال؛ كيف؟ ولماذا؟ يتردد على لسان كل مواطن عربي إلى أن يستطيع العرب يوماً، تحقيق النصر واستعادة الحق المغتصب.

تركي الزغبي

مراكايبو _ فنزويلا

قدم للنشر في عام2012

تمهيد:

كتب كثيرون وبحث عديدون في تاريخ فلسطين القديم، وتاريخ اليهود وعلاقتهم بأرض كنعان. لكن أولئك الكتّاب، بل الأغلبية منهم اعتمدوا في كتاباتهم وبحوثهم، على التفسيرات الواردة في جغرافية التوراة، التي بدّلت أسماء المواقع الحقيقية وجعلتها في الأرض التي أطلق عليها المؤرخون اسم ((فلسطين)) والتي قالت التوراة عنها أنها أرض ((كنعان)). معتمدين على ما دوّنه كتبة التوراة وبخاصة بعد أن وضعت الترجمة اليونانية المعروفة باسم ((السبعونية)).

وقد دأب أولئك المؤرخون على إقناع العالم كله بأن الأرض التي جاء موسى بقومه إليها هي ((فلسطين)) الحالية. وقالوا أيضاً تسمية ((فلسطين)) جاءت من اسم شعوب البحر، قدموا من جزر بحر إيجه، وأُطلق عليهم اسم ((فلستينيون)).

وإذا استعرضنا بعضاً مما أورده أولئك المؤرخون، نجد المؤرخ ((جيمس هنري براستد)) في كتابه تاريخ العصور القديمة يقول: ((وكانت فلسطين الجنوبية البلد الوحيد الذي كان عدد من المهاجرين الإيجيين فيه كافياً لاحتلاله وتأليف أمة منهم)).

وفي هذا الموضوع يقول المؤرخ فيليب حتّي في كتابه ((تاريخ سوريا)) الجزء الأول ما يلي ((الفلسطينيون من مجموعات البحر الذين أتوا من منطقة بحر إيجه ... ثم سيطروا على البلاد الساحلية)).

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الباحثين الذين اعتمدوا جغرافية التوراة كمصدر أساسي لما كتبوه، هم من رجال الدين اليهودي المتعصبين للتوراة. أو من الكتاب الغربيين الذين اعتبروا التوراة كتاباً مقدساً لا يطوله الشك، فكانوا بذلك دعاةً لليهودية أكثر منهم روّاد علم وحقائق.

ثم هنالك فريق ثالث من الباحثين الذين وضعوا أعمالهم في خدمة دولهم الاستعمارية، لذلك جاء ما كتبوه تأييداً لليهود في مزاعمهم الكاذبة والقائمة على اعتبار فلسطين ((أرض الميعاد)) لأن في ذلك خدمة لأهداف الدول الاستعمارية.

وهكذا بقيت التوراة المصدر الأساسي للباحثين والمؤرخين في تاريخ فلسطين القديم وعلاقة اليهود بها، عدة قرون، حتى ظهر علم الآثار الذي كشف ما تركه القدماء من كتابات ومخلفات آثارية قبل عهد التوراة بآلاف السنين.

فأوضح كثيراً من الأمور الغامضة، وبيّن عمليات التزييف والتزوير التي وردت في التوراة. وقد زوّد علم الآثار الباحثين بالبراهين والحقائق التي كانت

ضرورة لازمة لتقرير الصحيح فيما كُتب عن العصور القديمة، وبخاصة ما يتعلق منها بتاريخ فلسطين وعلاقة اليهود بها.

وأرى من المفيد، بل من الضروري أن أعرض هنا للدراسة الجادّة التي قدمها الدكتور ((أحمد داوود)) في كتابه ((تاريخ سوريا القديم، تصحيح وتحرير))، ليس حول تاريخ فلسطين وأرض كنعان فحسب، بل شملت كل الملابسات ومحاولات الخلط والتزييف التي حاول مؤرخوا التوراة، ومن بعدهم مؤرخو المراحل المتعاقبة، طمس حقيقة التاريخ العربي القديم عمداً.

يقول الدكتور أحمد داوود في كتابه المذكور صـ 471 ما يلي ((ما أن أفكر بالبدء في ولوج بوابة كنعان حتى تتملكني الرهبة .... لقد اختلطت خلف هذه البوابة كل الأمور والتصقت وتشابكت كل الحقائق التاريخية، والجغرافية، على السواء، وصار التاريخ من خلفها كائناً مشوهاً. لقد تراكمت كل المخلوقات العجيبة والتصقت بجسد التاريخ العربي، وأصبح هو الضحية، دون أن يتمكن من الفكاك منها)).

فعلى ضوء المكتشفات الآثارية، قد آن الأوان للباحثين وبخاصة العرب منهم أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم. بل عليهم التوغل في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون.

ولذلك يقول الأستاذ ((صموئيل هوك)) في مقدمة كتابه ((أصول الديانات السامية القديمة)) ما نصه: ((إننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية، بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة)).

ومن الخبراء الذين أدركوا التزييف المتعمد في قضية فلسطين، الخبير القانوني ((هنري كتن)) الذي أوضح تأثير الدعاية الصهيونية العالمية في الأوساط الدولية فقال: ((فحقيقة مشكلة فلسطين قد طُمرت تحت أطباق من التضليل المتعمد والوقائع الشائهة والدعاية المخادعة التي تراكمت على توالي الحقب. والمراقبون العدول، ومنهم كنديون وسويديون وأميركيون، قد لاحظوا أن الوقائع تشوَّه، كما لاحظوا صعوبة عرض وجهة النظر العربية أمام الرأي العام العالمي.)).

وقبل هؤلاء جميعاً لاحظ القديس ((أوغسطين)) عاش (354_430م) تزييف النصوص من قبل كتبة التوراة فقال مخاطباً ((طريفون اليهودي)): ((أنتم أيها اليهود حرفتم كتباً كثيرة من العهد القديم لتظهروا مخالفتها للعهد الجديد)).

ومما يؤسف له أن تكون المكتبة العربية مفتقرة إلى دراسات علمية حريصة على إظهار الحقائق التاريخية، فمن الواجب سد الفراغ بالدراسات العلمية لتعريف القارئ العربي والأجنبي بحقيقة تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور موسى وجماعته

على مسرح الأحداث. وخاصة أن علم الآثار الحديث قد مكن الباحثين من الوصول إلى كثير من الحقائق التاريخية منها:

أ- تحقيق أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في مدونات التوراة.

ب - تعيين تواريخ الحوادث بصورة صحيحة، حسب تسلسلها الزمني، وعلاقة الأقوام ببعضها، وتعيين أدوارها وتطور لغاتها وثقافاتها.

جـ - تتبع تنقل وجولان القبائل العربية في طول الأرض العربية وعرضها.

د - توصل العلماء إلى معرفة، أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصول عربية قديمة، موجودة في المدونات السومرية والأكادية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية. مما يُثبت أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم.

هـ - عرف الباحثون أن مواد عديدة كُتبت في التوراة، مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة في المنطقة العربية. اقتبسها اليهود وأدخلوها في كتبهم المقدسة.

و - إن كل ما يملكه اليهود من مقومات ثقافية، ومن ضمنها كتابهم المقدس مقتبس من حضارة العرب القدماء، وأن الأسماء التاريخية الواردة في

التوراة، سواء كانت أسماء أشخاص أو أسماء أماكن قديمة إنما هي من أصل عموري وأرامي عربي ترجع إلى ما قبل ظهور اليهود بزمن بعيد.

إن الباحثين والمؤرخين الغربيين الذين يقولون، أن الوقت قد حان لاعتماد علم الآثار للكشف عن حقيقة التوراة وعلاقة تاريخ اليهود بالمنطقة العربية قديماً وحديثاً، فإن الحق والعدل يوجب عليهم التحرر من اعتماد التوراة في كتاباتهم.

وبالنسبة للعرب فقد آن الأوان أيضاً لكتابة تاريخ الأمة العربية، من جديد في ضوء الاكتشافات الآثارية، والتطور الفكري في العالم وللتأكيد على أهمية ذلك نورد على سبيل المثال ما كتبه المؤرخ البريطاني ((وول ديوارنت)) في كتابه (قصة الحضارة) الجزء الأول - الفصل الأول - صـ 10، يقول: ((وقصارى القول أن "الآريين" لم يشيّدوا صرح الحضارة، بل أخذوها على بابل ومصر، وأن اليونان لم ينشئوا الحضارة انشاءاً، لأن ما ورثوه منها أكثر مما ابتدعوه، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين، جاءت إلى موانئهم مع مغانم التجارة والحرب. فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمنا شأنه، فإنا بذلك نعترف بما علينا من دَينٍ لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأميركية، وهو دَين كان يجب أن يؤدى من زمن بعيد)).

هل يتعظ المكابرون من أعداء الأمة العربية بقول ديورانت هذا ؟!.

الفصـل الأول

الأرض العربية والشعب العربي

إن رقعة الأرض العربية (الوطن العربي) والتي شغلها الشعب العربي منذ أقدم العصور وحتى الآن هي المنطقة التي تمتد بين البحرين؛ الهندي والعربي جنوباً، وبين جبال طوروس شمالاً، ومن شواطئ الخليج العربي وجبال زاغروس شرقاً وحتى البحر المتوسط غرباً، ضاماً مصر وشمال إفريقيا بحيث يصبح البحر الأحمر بحراً عربياً بأكمله.

وهذا يعني أن الأرض العربية تضم: ((شبه الجزيرة العربية، والعراق وسوريا الطبيعية ومصر وادي النيل)). وقد استطاع العرب العموريون ومنهم الفينيقيون، بصورة خاصة، أن يوسعوا رقعة الأرض العربية لتشمل معظم جزر البحر المتوسط، وإقامة ثمانين محطة (مدينة) عربية فينيقية منتشرة على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط حتى المحيط الأطلسي.

دور المؤرخين في تزييف حقيقة الأرض العربية:

بدأ المؤرخون يهتمون بالمنطقة العربية في وقت متأخر نسبياً، وذلك مع قيام حركة الاستعمار في أوروبا. بينما نجدهم وقد عكفوا على دراسة تاريخ اليونان بكل تفاصيله، واعتبروا اليونان ((أم الحضارة)) بالنسبة للعالم بأسره.

غير أن أعمال بعثات التنقيب والاكتشافات الآثارية، والتي بدأت تعمل زمن السيطرة الاستعمارية على معظم المناطق العربية. قدمت تلك الأعمال للعالم معلومات كانت مطوية، فتحت عيون العالم على حقائق جديدة، أدت إلى طي صفحات كاملة غير صحيحة من تاريخ البشرية، ونشر صفحات جديدة كانت مجهولة، جعلت أنظار الباحثين تتجه نحو المنطقة العربية.

غير أنه من المؤسف حقاً، أن عمل تلك البعثات جاء في صيغة تاريخية مغلوطة:

1- عمدت تلك البعثات إلى إخفاء معالم الوحدة الحضارية للأرض العربية، انطلاقاً من واقع التسلط الاستعماري الذي أدرك أن مصلحته تعتمد على عدم إيقاظ المشاعر القومية لدى السكان، فعمدوا إلى إبداع مسميات مثل ((ما بين النهرين)) و ((الشعوب السامية)) و ((اللغات السامية)) و((الهلال الخصيب)) و ((الشرق الأدنى)) و((الشرق الأوسط)). وغير ذلك من التسميات التي تتناقض مع وحدة الوطن العربي الحضارية والبشرية.

2- جعلوا من شبه جزيرة العرب، منطقة دفع لهجرات متعاقبة نحو ((العراق وسوريا الطبيعية ومصر)) على شكل غزوات همجيّة وفتوحات واغتصاب للأرض.

3- إن ما أطلقوا عليه اسم دول ((سومرية، أكادية، بابلية، آشورية، كلدانية، عمورية، كنعانية، أرامية، مصرية)) كانت في تصور الباحثين، تظهر فجأة على شكل غزوات بدوية. مع أن القول بقدوم ذلك الشعب من شبه جزيرة العرب، على شكل هجرة أو نزوح ليستوطن منطقة جديدة ويقيم حضارته عليها، يعتبر في الوقت ذاته مناقض لروح العلم والمنطق.

أما الشعب العربي الذي أقام فوق الأرض العربية منذ ما قبل آدم بزمن طويل فينقسمون حسب لهجاتهم إلى:

أ - عرب سريان ((سوريون أبناء سر)) كان موطنهم ما يسمى الهلال الخصيب في الشرق والشمال الشرقي، وتطورت لهجتهم الجبلية في الأصل، بسبب معايشتهم كثيراً من الأقوام الأخرى على تخوم الوطن العربي، ومن ثم تعرضهم لكثير من الغزوات، واحتكاكهم عن طريق الممرات التجارية الدولية الواقعة في منطقتهم، مع كثير من الشعوب.

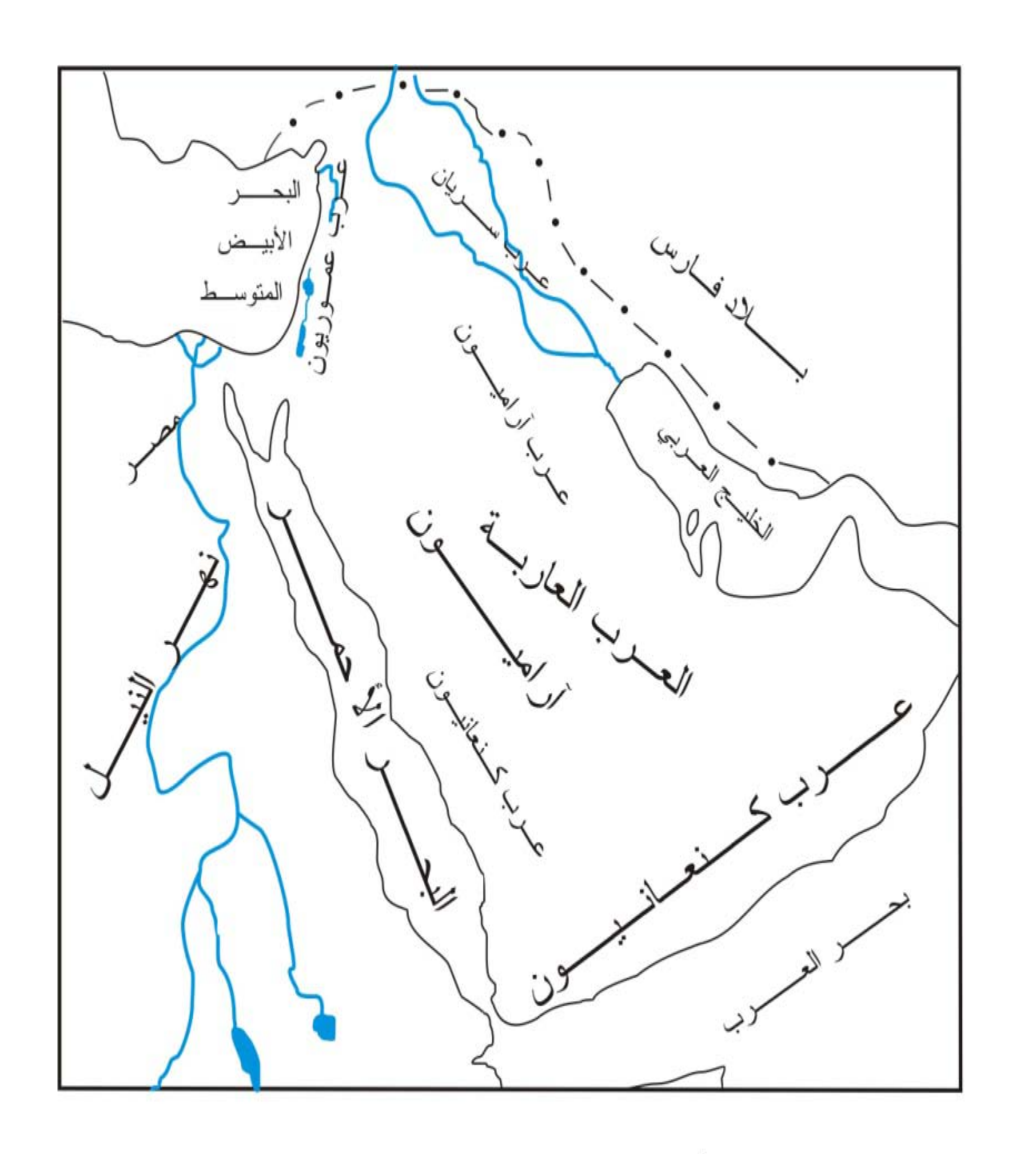
ب_ عرب عموريون (أموريون) أبناء :مر أو عمرو. وكان موطنهم سوريا الطبيعية، ولهجتهم العربية العمورية الغربية. وانقسمت إلى قسمين:

1- شمالية غربية

2- جنوبية غربية.

جـ - عرب شبه جزيرة العرب: أي سكان البادية (العريبي) وقد حافظ هؤلاء على نقاء اللغة لقلة اختلاطهم بالشعوب الأخرى ولعدم وصول غزوات من أقوام أخرى إلى البادية. وذلك لعدم وجود ما يُغري الغزاة بمنطقة البادية بعد أن ظهر فيها التصحر.

انظر الخريطة:



الأرض العربية والشعب العربي

الفصل الثانـي

جَوَلان القبائل العربية

أو ما يسمي بـ ((الهجرات السامية))

درج المؤرخون على الحديث عن ((هجرات سامية)) متتالية من شبه جزيرة العرب إلى منطقة (الهلال الخصيب) الذي يمتد على شكل قوس من الخليج العربي شرقاً، مروراً بسوريا الطبيعية، وانتهاءً بدلتا نهر النيل في مصر غرباً.

خرجت تلك الهجرات، حسب رأي المؤرخين، على شكل طفرة سكانية متكررة خلال فترات زمنية معينة، وقد أجمع المؤرخون على القول:

أ - حوالي 3500ق.م اتجهت هجرة سامية من شبه جزيرة العرب نحو الشمال الشرقي (العراق وأقامت هناك ما يسمى بالدولة الأكادية جنوب العراق في المنطقة السومرية.

ب- ثم بعد ذلك وحوالي 2500 قبل الميلاد، حصلت هجرة أخرى من البادية أتت بالعموريين ليتوزعوا في سوريا الشمالية ومنهم الفينيقيون، والكنعانيون في سوريا الجنوبية. لكن الكنعانيين ليسوا من العموريين ولم يكن وطنهم فلسطين كما سنرى عند الكلام عنهم.

جـ - وحوالي 1500 _ 1200ق.م خرجت جماعات أخرى من شبه جزيرة العرب، عرفت باسم ((الآراميون)) الذين استقروا في سوريا الداخلية ومنطقة دمشق.

د - وحوالي 500 ق.م دفعت هجرة جديدة بالعرب الأنباط، ليستقروا جنوب البحر الميت وشمال شرق (سيناء) عند مفترق القوافل التجارية، وكانت عاصمتهم البتراء التي لا تزال خرائبها قائمة إلى الآن.

هـ _ كان آخر اندفاع من شبه جزيرة العرب على مقياس واسع، ذلك الذي حصل في القرن السابع الميلادي، تحت راية الإسلام، انتشر هذا السيل ليشمل (سوريا والعراق ومصر وشمال إفريقيا وبلاد فارس وبعض أجزاء من آسيا شرقاً وإسبانيا غرباً).

وقد أجمع المؤرخون على جعل أسباب تلك الاندفاعات هو ((عامل الجفاف)) دون أن يبحث أولئك عن زمن ما قبل الهجرات المزعومة، فكيف يمكن أن نتصور أي جفاف يحدث ثم يختفي على مدى ألف عام، ثم يظهر فجأة ليدفع بموجة جديدة من قلب الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب أو إلى سورية لإقامة صرح حضاري جديد؟!.

وكيف يمكن أن يُحدِث مثل ذلك التجمع القبلي البدوي الهائل دوياً حضارياً فور وصوله إلى المناطق، دون أن يُسمع بذكره في مكان وجوده السابق؟!.

فإذا عدنا إلى علم الجغرافيا والمناخ، نجد أن ظاهرة الجفاف لا يمكن أن تحدث فجأة بل كان ذلك يجري في عملية بطيئة استغرقت آلاف السنين.

ويعلق الدكتور أحمد داوود في كتابه ((تاريخ سوريا القديم)) على موضوع الهجرات السامية فيقول: ((في الواقع إن هجرة القبائل، لم تحدث على النحو الذي صورتها المصادر التاريخية، بل كان ذلك يتم على شكل جولان في كل الاتجاهات وإن هذا الجولان الدائم والمستمر دون انقطاع، جعل تلك الجماعات المتحركة بمثابة مستودع بشري متحرك وعلى تماس دائم ومباشر مع تخوم المناطق المستقرة. مما أتاح الفرصة دائماً لعملية ((الارتشاح)) بحيث يتم امتصاص كل العناصر التي نضجت فيها إرادة الاستقرار، والتخلي عن حياة الرعي والتنقل، مع العلم أن البدوي لا ينتج حضارة قبل الاستقرار على الأرض. وإن الاستقرار عملية طويلة ومعقدة بكل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية، ولا تتم بين ليلة وأخرى)).

وإذا عرفنا أن الأرض العربية أرض مكشوفة ومفتوحة لكل القبائل العربية، تتحرك فيها في كل الاتجاهات، أدركنا أن حركة تلك القبائل أو استقرارها لم تكن نتيجة حرب أو غزو أو اغتصاب، بل كانت نتيجة ظروف أملتها شروط البيئة، وأنماط الحياة، ضمن المنطقة التي بقيت حتى يومنا هذا تسمى (الوطن العربي). وإن سكان هذه المنطقة هم من أصل واحد هو العرق العربي.

والخلاصة فإن الحركة السكانية التي ملأت الأرض العربية منذ فجر التاريخ إنما هي حركة جولان وتنقل دائم ولم تكن في ما مضى هجرات أطلق المؤرخون عليها ظلماً وخطأ اسم ((الهجرات السامية)). وتلك الحركة هي التي رسمت حدود الوطن العربي منذ آلاف السنين، دون أن تتعداها إلى أرض أخرى، وقد حافظت على وحدة الوطن العربي وعلى عروبته.

ولم تتمكن أية قوة من أن تقف حائلاً دون هذه الحركة الداخلية، التي بقيت على مدى العصور بمثابة الدم الجوال في عروق البدن الواحد.

وإن نظرة واحدة على تواجد وتوزع وانتشار وتحرك وجولان قبائل مثل ((عنزه أ وشمّر أو عرب النعيم)) أو غيرها من القبائل العربية اليوم، تعطينا صورة واضحة عن تحرك وانتشار القبائل العربية منذ القديم وحتى الوقت الحاضر.

ولو أنصف المؤرخون فتخلّوا عن أهدافهم الاستعمارية، لأمكنهم أن يتخيلوا حركة الجولان والانتشار هذه قبل آلاف من السنين، وإن قيام حكومة في (ماري أو دمشق أو إيبلا أو بابل، أو أكاد أو سومر. لم يكن يعني خلو بقية الأرض العربية، بل بقيت دائماً تعج بحركات القبائل ضمن إطار الوطن العربي الكبير التي رسمت حدوده بحركاتها وجولانها وحافظت على تلك الحدود.

الفصل الثالث

العرب الكنعانيون - في المصادر العربية - في المصادر الأجنبية
الكنعانيون والحضارة - الكنعانيون وفلسطين

أولاً: الكنعانيون في المصادر العربية:

تكاد المصادر العربية القديمة تُجمع على أن ((الكنعانيين هم أولاد العماليق الجبابرة، أولاد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح)) وتذكر تلك المصادر أن سكنى الكنعانيين، امتدت من البحرين إلى عُمان إلى الحجاز وإلى نجد وسواحل البحر الأحمر الشرقية. وقد أكدت الاكتشافات الأثارية صحة ما ورد في المصادر العربية، حيث عُثر على شواطئ الخليج العربي على مدن تعود إلى الألف الرابع ق.م تحمل أسماء المدن الكنعانية في غرب شبه جزيرة العرب.

وإذا عدنا إلى المصادر العربية الإسلامية للبحث عن حقيقة الكنعانيين نجد في كتاب ((الكامل في التاريخ)) لأبن الأثير الجزء الأول صـ44 ما يلي: ((كانت امرأة سام بن نوح (صلب) ابنة بتوايل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له: ارفخشاد، وآثور، ولاوذ، وأرام. فمن لاوذ بن سام ((عمليق)) وهو أبو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام)).

فالكنعانيون عند إبن الأثير، هم الجبابرة أولاد عمليق. انتشروا في البحرين وعُمان واليمن ومنطقة يثرب قبل أن تُبنى. وفي مكان آخر من كتاب إبن الأثير نجد: ((وأما حام فولد كوش ومصراييم وقوط وكنعان)) ومن ذلك نستدل على وجود كنعانيين حاميين آخرين، أقاموا في جنوب مصر (منطقة النوبة) وفي الحبشة أي على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر.

أما الطبري فيروي في تاريخه الجزء الأول صـ14 ما يلي: ((نكح لاوذ بن سام بن نوح (شبكة ابنة يافث بن نوح فولدت له، طسم وعمليق وهو أبو العماليق كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق منهم وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم... وكانوا جميعاً قوماً عرباً لسانهم العربي)).

انظر الخريطة في الصفحة التالية

موطن الكنعانيين (في بلاد غامد وزهران)

الساحل الشرقي للبحر الأحمر

وفي مكان آخر من تاريخ الطبري جـ1 صـ/140_142/ نجد ما يلي: ((وأما حام بن نوح فولد كوش ومصراييم وقوط وكنعان ... وأما الكنعانيون الحاميون أولاد كنعان بن حام فقد أقاموا على السواحل الجنوبية للبحر الأحمر)).

وإلى هؤلاء بالذات ينتسب العرب الكنعانيون الذين شغلوا الساحل الغربي من شبه جزيرة العرب ((منطقتي غامد وزهران)) وهؤلاء تحديداً هم الذين يقترن

ذكرهم دائماً في قصص التوراة، وغيرها من المصادر القديمة، مع المصريين (أبناء مصراييم) والكوشيين ويتاخمونهم في السكن.

هل كان الجبابرة الكنعانيون هم العرب الأوائل الذين شغلوا تلك المناطق؟ تشير الدلائل إلى أن تحركات القبائل التي تأخذ في معظم الأحيان طابع جولان الشعب الواحد في الأرض العربية، والتي كانت تتم بصورة سلمية، كما حدث لإبراهيم وأبنائه، إنما تدل على أن جميع السكان الذين كانوا يشغلون تلك المناطق، قبل ظهور الكنعانيين، كانوا ينتمون لأرومة واحدة ولشعب واحد هو الشعب العربي.

موطن الكنعانيين (في بلاد غامد وزهران)

الساحل الشرقي للبحر الأحمر

- ثانياً: الكنعانيون في المصادر الأجنبية:

إذا استعرضنا نماذج من أقوال المؤرخين الغربيين، عن الكنعانيين وموطنهم، لوجدنا أن أحداً منهم لم يعتمد أي مصدر في كلامه عن الكنعانيين سوى مدونات التوراة، التي اعتبروها من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش. وحينما لم يعثروا على أي دليل من الاكتشافات الآثارية يؤيد تسمية سكان سوريا بـ ((الكنعانيين)). فبدلاً من أن يعيدوا النظر بمدونات التوراة وتفسيراتها وترجماتها وبالجغرافية التوراتية، عمدوا إلى تصحيح الخطأ بالبحث عن أصل التسمية في لغات الشعوب الأخرى. على الرغم من أن جميع المعلومات المبنية على الاكتشافات

الآثارية، دلت بشكل قاطع أن سكان سورية هم العرب العموريون (الأموريون) والفينيقيون.

لقد توصل علماء الآثار الذين قاموا بعمليات التنقيب في بعض المدن، إلى معرفة أن تلك المدن تحمل أسماء عمورية أصيلة مثل: ((أريحا وبيت شان ومجدّو وجازر)). وإن تاريخ تلك المدن يعود إلى فترات زمنية موغلة في القدم، فتاريخ مدينة أريحا يعود إلى ما قبل سبعة آلاف سنة ق.م.

ولو رغب أولئك المؤرخون في البحث الصحيح عن الحقيقة، لأدركوا أن كتبة التوراة عمدوا إلى تزوير الحقائق الجغرافية والتاريخية لغرض في نفوسهم. وإن التوراة كُتبت على مدى أكثر من ألف عام. ولذا جرى فيها خلط لكثير من المعلومات، كما حدثت عمليات تزييف وتحريف وإضافات واجتزاءات، ولا سيما إبان السبي البابلي في القرن السادس ق.م. مما جعل أولئك المؤرخين يخطئون فيما أوردوه من معلومات جغرافية وتاريخية.

1- يقول المؤرخ (سميث **Smith**) في كتابه ((الجغرافيا التاريخية)) صـ/4و5/ ما يلي:

((إن اسم بلاد كنعان هو تسمية سامية ويعني الأرض المنخفضة، وهو مشتق من فعل (كَنَع) أي انخفض أو سكن السهل المنخفض)).

وقد وافقه في ذلك كثيرون، ولما لم يعثروا على ما يدل على وجود الكنعانيين في سوريا، عمدوا إلى تبرير هذا الخطأ دون معرفتهم بأن العرب لم يكن من عاداتهم أبداً أن يسموا أنفسهم بأسماء الأمكنة التي يحلون فيها.

2_ أما الدكتور فيليب حتّي، فيقول نقلاً عن المؤرخ أولبرايت ما يلي: ((إن اسم بلاد كنعان أصبح الآن مشكوكاً في أصله السامي ويُظن أنه من أصل غير سامي، والاشتقاق الجديد يجعله من أصل حوري ((**Knaaai**)) بمعنى الصباغ الأرجواني)).

ولقد جهل هؤلاء أن الاسم العربي (كنعان) معروف منذ ما قبل الطوفان وحتى اليوم، حتى أن مدونات التوراة لم تغفل عن ترديده عشرات المرات، فكيف يصبح هذا الاسم عند الدكتور حتّي وغيره من المؤرخين، بدعة لم يُسمع بها من قبل؟.

فبدلاً من البحث عن الوطن الحقيقي للكنعانيين، لجأوا إلى صيغة قريبة من لغة شعب آخر ولو كان ذلك من القبائل ((هندو - أوروبية)). لأن في العودة إلى البحث عن موطن الكنعانيين الحقيقي فضيحة للتوراة ولمؤلفيها ولمترجميها ومفسريها.

3_ يقول المؤرخ (روجرز **Rogers**) ما يلي: ((لقد ورد ذكر كنعان في رسائل (تل العمارنة)(1) والتي تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م باسم

((كناكني **KNAKHNI**))، وكانت هذه التسمية تطلق حينذاك على القسم الجنوبي من بلاد الشرق المشتملة على أرض فلسطين.. أما القسم الشمالي فيسمى (أمورو) أو عمورو وكان يشمل لبنان وشرقي الأردن)).

لقد أورد (روجرز) ذلك دون أن يفطن إلى التناقض في قوله، لأن بلاد كنعان التي تقع في القسم الجنوبي من بلاد الشرق كما ذكر، ولكن بلاد الشرق بالنسبة لمصر ليست سوريا، ولبنان وفلسطين، بل هي شرق البحر الأحمر بكل تأكيد.

وإن بلاد كنعان المقصودة التي تقع في مكان ما غرب شبه جزيرة العرب، مجاورة لبلدة (فلشته) وسكانها هم الفلشتيم باللهجة الكنعانية. وإن هؤلاء هم العرب الفلسطينيون الذين تذكرهم التوراة.

وكما ورد في رسائل العمارنة، فإن الشمال يسكنه العموريون. وهذا الشمال هو سوريا بما في ذلك (فلسطين الحالية ولبنان).

ويمكن أن ندرك هذا التناقض عند مؤرخي الحقب الاستعمارية، إنما يهدف إلى تمرير أهداف الدول الاستعمارية والحركة الصهيونية في المنطقة العربية.

4- ويعترف المؤرخ (لودز **LODS**) في كتابه (إسرائيل)، بوجود شعب حضاري في فلسطين، منذ العصر الحجري الحديث (7000- 5000)ق.م ولكنه أطلق على العرب العموريين سكان سوريا الأصليين، اسم (الكنعانيين)

حتى لا يخرج عن مدونات التوراة ومرامي الحركة الصهيونية. فخَلَطَ بذلك بين سورية العمورية، وبين بلاد كنعان الواقعة على السواحل الشرقية للبحر الأحمر.

5- أما العالم الألماني الدكتور (أنطون موتغارت) يقول في كتابه تاريخ الشرق الأدنى القديم) ما يلي: (إاننا نعلم من خلال الحفريات التي أجريت في مناطق مختلفة مثل، جبيل، ومدينة ماري، وفي تل العطشانة، بالقرب من أنطاكية، أن أناساً ساميين غربيين قد قطنوا بلاد الشام على الأقل منذ الألف الثالثة ق.م أما من ناحية التسمية الخاصة فنطلق على هؤلاء الساميين في بلاد الشام اسم الكنعانيين)).

مع العلم أن جميع الحفريات والمراسلات المشار إليها، لم تذكر اسم الكنعانيين، لكن موتغارت وغيره من المؤرخين، هم الذين أطلقوا هذه التسمية على العرب العموريين في سوريا.

بعد هذا الاستعراض لأقوال بعض المؤرخين الغربيين، يمكن أن نخلص إلى بعض الملاحظات الهامة:

أ- إن الاكتشافات الآثارية التي وصل إليها المنقبون عن الآثار في سوريا، دلت وبصورة واضحة على أن أولئك السكان، هم العموريون والفينيقيون، وليس الكنعانيون.

ب - إن إطلاق اسم بلاد كنعان على فلسطين الحالية، يدل بما لا شك فيه، أن أولئك المؤرخين كانوا مدفوعين بمراعاة التيار التوراتي.

جـ - إن جميع المصادر اليهودية والصهيونية، تُصرّ على اعتبار العموريين (كنعانيين) لتوظيف ذلك في أهداف الدول الاستعمارية والحركة الصهيونية، في اغتصاب فلسطين.

د - هذه الظاهرة، كان الدافع لها هو إنكار الوجود العربي كليّة، وربط المنطقة العربية وحضارتها، بشعوب غريبة لا تمت بصلةٍ للمنطقة العربية (كالحوريين والحيثيين والميتانيين وغيرهم).

هـ - لقد خلط كثير من المؤرخين بين أسماء الأشخاص وأسماء المواقع والمدن مثلاً:

1- الخلط بين أرض كنعان في غرب شبه جزيرة العرب ((بلاد غامد)) وبين ما دُعي بأرض كنعان في فلسطين الحالية.

2- الخلط بين مصر (بلاد ميسور) في بلاد غامد، وبلاد المصريين (مصراييم) أبناء كنعان الحاميين في منطقة (زهران) من جهة، وبين مصر وادي النيل من جهة أخرى.

3- الخلط بين الفلستيين ((فلشتيم)) سكان قرية فلش ته في بلاد زهران، والمتاخمين للمصريين ((مصراييم)) في بلاد زهران. وبين (الفلسطينيين) الذين قال

عنهم المؤرخون أنهم من شعوب البحر، فأطلقوا اسمهم على القسم الجنوبي من سوريا العمورية، وذلك بعد أن بدأت عملية التغيير المقصود في أسماء التوراة وجغرافيتها بسبب ترجمة التوراة إلى اليونانية.

لذلك نرى أن الجغرافيين التوراتيين يعمدون إلى توسيع رقعة البلاد التي يسكنها الكوشيون الحاميون في بلاد زهران ليجعلوا منها (إثيوبيا) أو الحبشة.

كما جعلوا مصر وادي النيل تحل مكان المنطقة التي يسكنها المصريون أبناء (ميسور)، والمصريون أبناء (مصراييم) الحامي في غرب جزيرة العرب. وجعلوا سوريا الطبيعية كلها من حوض الفرات الأعلى إلى حدود مصر وادي النيل، تحل محل المنطقة التي تسكنها القبيلة العربية الكنعانية في (غامد وزهران) من غرب شبه جزيرة العرب.

4- الخلط بين (ثرات) و(فرات)، كذلك بالنسبة لـ (نهران) أي (النهرين)، وهي منطقة الآراميين المحصورة ما بين مجرى نهر (ثرات) ونهر (رانية) في غرب شبه جزيرة العرب، والتي نُقلت إلى اللغة اليونانية باسم (ميزوبتاميا) وصارت تطلق على حوضي دجلة والفرات في العراق.

5_ الخلط بين جبال (لبنان) في بلاد غامد، وهما جبلان متقابلان شرقي مكة (لبن الأعلى ولبن الأسفل)، وليس المقصود بهما جبال لبنان الغربية والشرقية على ساحل سورية المطل على البحر المتوسط.

6- الخلط بين جبل (جاسي) في سراة زهران واسمه اليوم (جبل القشاشية) ويقع إلى الشمال من مكة، وبين الجبل الأقرع (كاسيوس) باليونانية ويقع إلى الشمال من اللاذقية في سورية كما يقول جغرافيو التوراة.

7- طور سيناء (هو جبل سيناء) وطور زيتون هو (جبل الزيتون) في أرض الكنعانيين في بلاد غامد. ويذكر الطبري في تاريخ الجزء الأول صـ 83، هذين الجبلين في حديث عن ابن عباس روى فيه: ((أن آدم حين قدم مكة وأُمر ببناء البيت، بناه من خمسة أجبل هي: طور سيناء وطور زيتون ولبنان والجودي)).

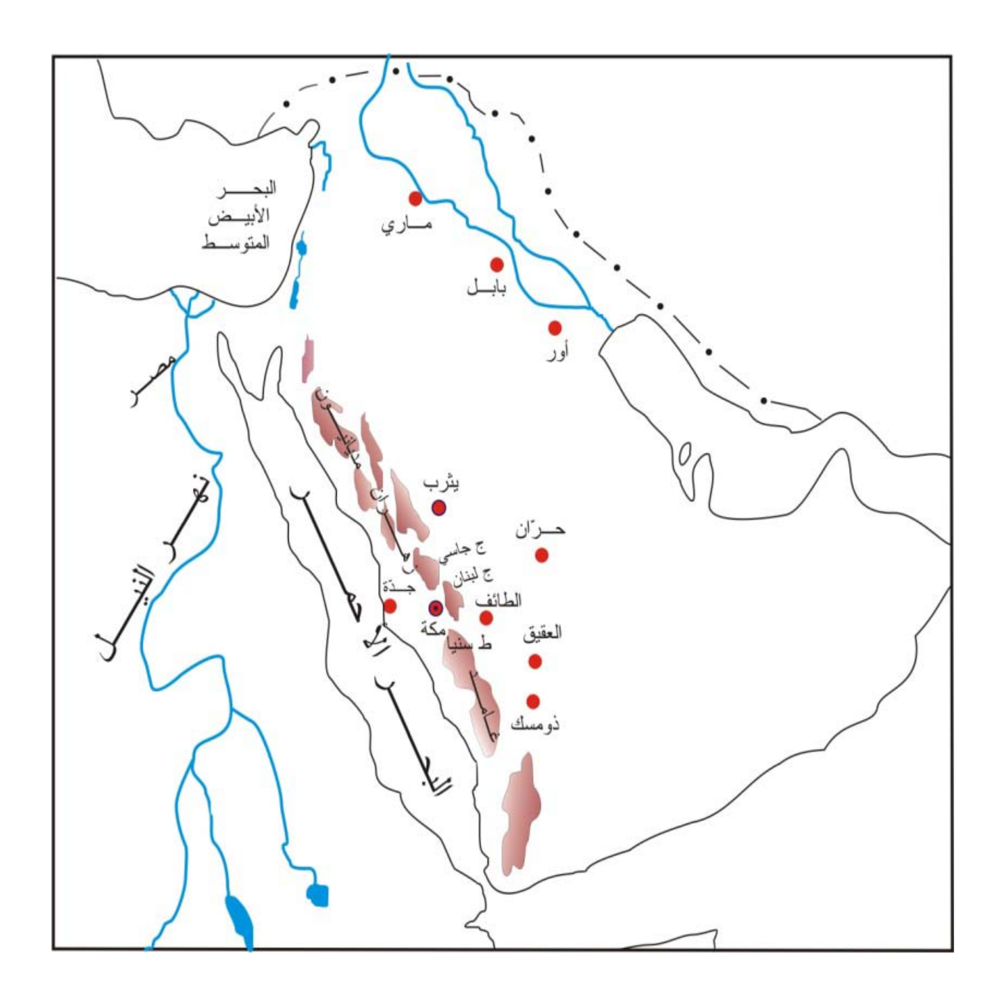
وتأكيداً لما ذُكر سابقاً، حول عملية تبديل أسماء المواقع من قبل كتبة التوراة وبخاصة بعد ترجمتها إلى اليونانية. نورد قول المؤرخ العربي الفينيقي (ملك) الذي عاش بين /233_305م/ ويعرف باسم (برفوريوس) ما يلي:

((إن (سانخونياتن البيروتي) يقص مع الحرص الكبير على الحقيقة في جميع ما له علاقة باليهود، لأنه لم يغيّر الأمكنة والأسماء)).

وفي ذلك دليل واضح لكل ما تعرض له تاريخ سوريا وجغرافيتها، على أيدي كهنة التوراة، الذين بدّلوا في أسماء المواقع بشهادة (ملك) نفسه. وكان ذلك كافياً لتدمير مؤلفات سانخونياتن وفيلون الجبيلي الذي ترجمها إلى اليونانية. وسيأتي الكلام عن ذلك فيما بعد.

ويعلّق الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) على هذا الموضوع ما يلي: ((إن محاولة تحريف نصوص التوراة، واستثمارها لغايات استعمارية، كما تفعل الصهيونية اليوم، هو الأمر الآخر الذي تجب مجابهته بشتى الطرق، لإيضاح مواقع التشويه والتزوير في نصوص التوراة. وإن ما قدمته لنا الاكتشافات الآثارية سواء في (أوغاريت أو نينوى، أو تل العمارنة)، يتيح للمؤرخين، وبخاصة العرب منهم، أن يقوموا بفرز الحقائق بكل يسر وسهولة لتعرية الحركة الصهيونية اليوم بكل مواقعها في العالم).

أنظر الخريطة المرفقة :



أسماء بعض المواقع الواردة في النص

ثالثاً: الكنعانيون والحضارة:

كان للكنعانيين حضارة مزدرهة في النواحي الزراعية والصناعية والتجارية والعلمية الدينية؛ ومما لا شك فيه أن حضارة الكنعانيين كان لها أثر كبير على من جاورهم من الجماعات، كما أنهم أعطوا اليهود كثيراً من الجوانب الحضارية (كاللغة والدين وغير ذلك).

اشتهر الكنعانيون بالزراعة؛ كزراعة الكروم والتين والحبوب والقطن. وتروي التوراة في سفر التثنية أن أرض الكنعانيين ((أرض جيدة وواسعة تفيض لبناً وعسلاً، أرض حنطة وشعير وكروم وتين ورمان، أرض زيتون وعسل)).

أما في الصناعة، اشتهر الكنعانيون بصناعة العاج والزجاج والنسيج الصوفي والقطني، وصناعة الأصباغ ولا سيما القرمزي والأرجواني.

وقد عرفوا أيضاً التعدين، بعد أن اكتشفوا النحاس اللين، ثم مزجوه مع القصدير لإنتاج البرونز. فكان لهم الأسبقية في إدخال فن التعدين مما ساعد السكان في إنتاج الأدوات المعدنية. وقد بدأوا في استخدام الحديد في صنع الأدوات منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد.

وتمكنوا من ابتكار وسائل للدفاع عن مدنهم، وكرّسوا جهودهم لتحصينها بسبب تعرض المدن الكنعانية للغزوات لوقوعها على طريق التجارة.

وازدهرت تجارة الكنعانيين التي مارسوها بكفاءة تامة، فكانت لهم تجارة برية وبحرية، وكانت قوافلهم التجارية في الداخل تصل إلى نصيبين في شمال سورية، وتصل أيضاً إلى سواحل المتوسط وسواحل الخليج العربي.

وأعظم عمل قدمه الكنعانيون للحضارة الإنسانية هو اختراع الأبجدية الهجائية حيث تغلبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت شائعة آنذاك.

ومما لا شك فيه أن العقائد الدينية الكنعانية التي كانت تحتفظ بالطابع العربي السامي وتقوم على عبادة الإله (إيل) وتركت تأثيراً واضحاً على الديانة اليهودية التي لم تتمايز عن الديانة الكنعانية.

رابعاً: الكنعانيون وفلسطين:

إن فلسطين الحالية هي القسم الجنوبي الغربي من سوريا الطبيعية، أو ما يعرف ببلاد الشام. ويحد فلسطين الآن من الشمال الجمهورية العربية السورية وجمهورية لبنان، ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق نهر الأردن وبرية شرق الأردن.

ومن الثابت أن سكان فلسطين القدماء، كانوا كلهم من العرب العموريين(الأموريون) والذين كانوا يشغلون الأرض السورية ومن ضمنها

فلسطين، منذ الألف الرابعة قبل الميلاد. وذلك قبل ظهور موسى وجماعته على مسرح الأحداث بما يزيد على ألفي عام.

من المؤسف حقاً، أن المؤرخين الغربيين، والذين اعتمدوا جغرافية التوراة بما فيها من تحريف وتزييف، درجوا على اعتبار فلسطين موطناً للعرب الكنعانيين. وقد بينا سابقاً أن أرض الكنعانيين تمتد من عُمان واليمن في جنوب الجزيرة العربية، إلى شواطئ البحر الأحمر الشرقية، أي ما يعرف ببلاد غامد وزهران، وتعرف الآن باسم الحجاز وتهامة.

غير أن جميع الحفريات الآثارية، التي أُجريت في مواقع متعددة من سوريا بما فيها فلسطين، لم تذكر اسم الكنعانيين كسكان في فلسطين، بل دلت تلك الآثار إلى أن سكان سوريا بأكملها هم العرب العموريون. وأن إطلاق اسم الكنعانيين على فلسطين ناتج من اعتماد المؤرخين على جغرافية التوراة المزورة، أو أنهم كانوا مدفوعين بمراعاة التيار التوراتي، والمخطط الاستعماري الصهيوني.

إن المعلومات المبنية على الاكتشافات الآثارية، تدل على أن أول شعب سامي أقام في البلاد السورية هم (العرب العموريون)، وأن وجودهم يعود إلى فترة سحيقة في القدم قد تعود إلى (14000سنة ق.م) وأن نسبهم العربي يعود إلى جدهم الأعلى (عمرو). وقد حافظ هذا الاسم على شكله القديم حتى يومنا هذا.

وتواجد العرب العموريون في شتى أطراف الوطن العربي السوري من (سومر وعيلام شرقاً، إلى ماري وأعالي الفرات شمالاً، إلى أوغاريت وجبيل ودمشق وأريحا وجزر غرباً، وتدل آثارهم المكتشفة، على وحدة الطابع السكاني والحضاري، مما يؤكد انتماءهم إلى أصل واحد، وأن لغتهم واحدة. وبقيت مدينة ماري عاصمتهم حتى عهد الملك (سرجون الأكادي) في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد. وليس الفينيقيون غير أولئك العرب العموريين الذين شغلوا الساحل السوري من أنطاكية حتى جنوب صور.

ويرى بعض الخبراء أن العموريين انتشروا في سوريا ومن ضمنها فلسطين منذ الألف الرابعة أوالخامسة قبل الميلاد، فكانت لهم مدن هامة كثيرة منها (ماري، وإيبلا (عبلا) وأوغاريت وجبيل وحلب وحماه وحمص ودمشق وصيدا وصور وغزة واشدود وجزر وأريحا وغيرها.)

أسس العرب العموريون أول دولة عمورية عربية، كان من أشهر ملوكها (سرجون الأكادي) وقد عرف بالأكادي نسبة إلى العاصمة (أكاد) التي أقامها بعد احتلاله لمدينة ماري وقد دام حكمه بين (2350_2300ق.م).

ويعتبر سرجون العظيم أول من قام بتوحيد البلاد في دولة عمورية عربية واحدة. امتدت تلك الدولة من شواطئ الخليج العربي شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، ومن أعالي جبال طوروس شمالاً إلى بحر العرب، جنوب الجزيرة العربية

جنوباً. وجعل البحر الأحمر تحت سيطرة الدولة بالنظر لأهميته بالنسبة لخطوط التجارة مع مصر وإفريقيا والهند. وتصدى (لملك مصر بيبي) الذي حاول السيطرة على منطقة البحر الأحمر وأجبره على التراجع إلى ما وراء حدود بلاده.

وهنا تجب الإشارة إلى أن أهمية منطقة البحر الأحمر، كانت دوماً موضع تنافس بين مصر وادي النيل وبين الدولة العربية السورية منذ القديم، للسيطرة على طرق التجارة العالمية.

كانت منطقة البحر الأحمر، وبشكل خاص الساحل الشرقي، من أهم المناطق بالنسبة للدولة العربية. فالبحر الأحمركان بحراً مثالياً بالنسبة للصيد البحري والملاحة والتجارة. بالإضافة إلى أن منطقة شرقي البحر(الحجاز وتهامة) كانت ملتقى طرق القوافل التجارية بين اليمن وبين سورية ومصر وبين الخليج العربي والعراق.

وقبل أن يعود الملك سرجون إلى عاصمته (أكاد)، قام بتعيين ممثلين أو نواب عنه في تلك المنطقة، يشرفون على سير الأمور، ويسهرون على حماية وأمن طرق التجارة وتوفير الأمن في المنطقة. وسيكون لهذا الأمر أهمية بالغة في موقف ذوي الشأن من اليهود في ما يأتي عند الكلام عن السبي.

وهكذا نرى أن العرب العموريين، كانوا يشغلون سورية الطبيعية كلها. وأن العرب الكنعانيين يشغلون مناطق (عُمان وجنوب الجزيرة العربية ومنطقة غامد

وزهران من غرب شبه جزيرة العرب). ولم يكن للكنعانيين أي وجود في فلسطين كما بينت الاكتشافات الآثارية. خلافاً لما ورد في مدونات التوراة المزوّرة، والتي جعلت من فلسطين (أرض الميعاد). بالإضافة إلى جملة الأساطير التي غرستها الحركة الصهيونية في ذهن الإنسان اليهودي، أينما وجد وجعلته يؤمن أن الإله (يهوه) قد وعدهم بأرض الميعاد التي تمتد من الفرات إلى النيل.

وبذلك نرى أن تسمية سكان سورية بالكنعانيين، هي تسمية خاطئة قائمة في أساسها على تبديل الأسماء والمواقع في جغرافية التوراة. ولكن الباحثين وعلماء الآثار، حتى يومنا هذا، لم يتمكنوا من العثور على أي أثر من شأنه أن يدل أو يؤكد أو يشير إلى وجود للكنعانيين في سورية الغربية.

ولكن الحقيقة تكشف لنا أن العرب العموريين هم الذين غطّوا الساحة العربية السورية، منذ أقدم العصور، ولم يكن سكان سومر وأكاد وبابل وماري وإيبلا، وأوغاريت ودمشق وأريحا وغيرها من المدن، منذ خمسة آلاف سنة على الأقل، غير أولئك العرب العموريين، الذين أطلق علهم المؤرخون اسم (الكنعانيين) استناداً إلى التفسير الخاطئ لجغرافية التوراة.

إذن إن إطلاق تسمية (أرض كنعان) على فلسطين الحالية ليس إلا مصطلحاً توراتياً، نقله واضعوا التوراة السبعونية من مكانه في (غامد وزهران) من غرب شبه جزيرة العرب إلى القسم الجنوبي الغربي من سوريا، والذي يدعى (فلسطين).

ولما أظهرت الاكتشافات الآثارية، في كثير من المواقع السورية بما فيها فلسطين الحالية، أن لاوجود لأي أثر للتسمية (كنعان)، عمد ممثلو الفكر التوراتي إلى الزعم بأن العموريين هم الكنعانيون، في محاولة منهم للتستر على فضيحة كذب المصطللحات التوراتية السائدة حتى اليوم.

الفصل الرابع

التوراة تُزيّف الحقائق

دأب المؤرخون، اعتماداً على جغرافية التوراة، في اقناع العالم كله، بأن الأرض التي (جاء موسى بقومه إليها هي أرض فلسطين الحالية)، وإن رقعة الأرض والقرى التي غزاها أو دمرها (يشوع) هي في فلسطين.

كذلك قال أولئك المؤرخون أن اسم (فلسطين) مشتق من اسم شعوب البحر الذين قدموا من منطقة بحر إيجه، والذين دعاهم المؤرخون باسم (فلستينيون) نسبة إلى اسم بلادهم (بالاستو **Palasto**) على حدّ زعم أولئك المؤرخين ومنهم :

- المؤرخ جيمس هنري براستد الذي يذكر في كتابه (العصور القديمة) صـ 278 ما يلي: ((وكانت فلسطين الجنوبية البلد الوحيد الذي كان عدد المهاجرين الإيجيين فيه كافياً لاحتلاله، وتأليف أمة فيه.. فقد استطاعات قبيلة كريتية عرفت باسم (الفلسطينيين) أن تحرز لنفسها مقاماً وتبني عدداً من المدن الزاهرة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد)).

- أما المؤرخ فيليب حتّي في كتابه (تاريخ سورية ومن ضمنها لبنان وفلسطين)) يعزو تحرك هذه المجموعات إلى حركات غامضة تعرضت لها شعوب آسيا الصغرى وبلاد إيجية في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد. أدت إلى تفرّق قبائل بكاملها تبحث عن موطن لها في مناطق أقل اضطراباً. ويضيف إلى ذلك

قوله : ((وتوافدت جماعات من المهاجرين بينهم قبائل الفلسطينيين بطريق البر والبحر نحو سورية الجنوبية الذي صار يسمى (فلسطيا).)).

يعلّق الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سورية القديم) صـ/ 724-725/ على ما أورده المؤرخون حول أصل التسمية (فلسطين) وحول الفلسطينيين بالذات فيقول: ((لم يُعرف حتى اليوم لتلك الجماعات، أي موقع، ولم يُعثر لهم على أي ذكر إلا في مدونات التوراة. إذ لا يعقل أن تتمكن مجموعة من القبائل مهما كانت كبيرة أن تغطي المساحة الممتدة من الأناضول شمالاً حتى وادي النيل جنوباً)).

ثم يقول أيضاً: ((وفوق ذلك كله فقد غابت هذه القوة التي دُعيت باسم شعوب البحر، كما ظهرت دون أن تترك خلفها أي أثر، مما جعل المؤرخين يسردون الوقائع التي دوّنتها التوراة، بعد ما جرى النقل في الأسماء والتبديل في المواقع الجغرافية)).

ويستدل الدكتور أحمد داوود على حيرة المؤرخين وارتباكهم حول هذا الموضوع مما قاله المؤرخ البريطاني (آرنولد توينبي) في كتابه تاريخ البشرية جزء أول صـ 148 ((في المنطقة الإيجية ثمة تناقضات في عدد من الأمور، بين الدليل الأثري والرواية، وهذا ينقص قيمة الرواية، ولكنه لا يضع بين أيدينا المعلومات الإيجابية الصحيحة. وتاريخ انسياح الشعوب في حوض البحر الإيجي بين 1250

و950 ق.م يجافيها الكثير من الأحاجي التي لم يستطيع الدليل الأثري أن يحلها إلى الآن.))

غير أن الدكتور أحمد داوود يذكر في كتابه المذكور سابقاً صـ 722 قائلاً:

((أما الفلسطينيون فهم سكان قرية (فلسرته) المجاورة لقرية (مصر) والقرى التابعة لها في منطقة زهران، غرب شبه جزيرة العرب، واسمهم في مدونات التوراة (فلشتيم) أي الفلستينيين، وقد دمّرت البراكين والزلازل هذه القرية في القرن الخامس قبل الميلاد)).

وكما جاء في التوراة من أن الأحداث التي كانت تجري في منطقة (غامد وزهران)، أي بلاد كنعان، دُوّنت على أنها كانت تجري حول نهر الفرات في شمال سوريا. وهذا ما جعل المؤرخين يقعون في حيرة وارتباك، وأن يخلطوا بين أسماء المواقع بحيث افترضوا، أن الفلسطينيين عبارة عن مجموعة من القبائل ظهرت فجأة في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واجتاحت ودمّرت عدداً من الممالك (الحثية والميتانية ومملكة أوغاريت وغيرها من الممالك السورية) إلى أن وصلت إلى مصر وادي النيل. ثم انتهى بهم الأمر إلى الاستقرار في جنوب سورية (على حد اعتقاد أولئك المؤرخين)، وأسسوا مجموعة من القرى منها (غزة واشدود وعسقلان وعقرون).

وقد أجمع المؤرخون على أن ظهور أولئك الشعوب، يعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولكن المؤرخين لا يعرفون عن أصلهم وموطنهم وكيف اختفوا دون أن يتركوا أثراً.

وهكذا نرى أن الفلسطينيين ليسوا من شعوب البحر، قدموا من جزر بحر إيجه، بل هم سكان بلدة (فلسته) في سراة زهران والقرى المحيطة بها. وهم من العرب الكنعانيين الذين عاش بينهم إبراهيم الخليل وأولاده. وإنهم موجودون في تلك المنطقة منذ عهد إبراهيم واسحاق، كما تروي التوراة ذاتها.

ولم يقف الأمر عند تحريف أسماء الأماكن والمواقع والحوادث في الترجمة ((السبعونية)) بل تابع كهنة وكتاب اليهود تدعيم ذلك التزوير. ومن هؤلاء المؤرخ اليهودي المعروف باسم (يوسفوس) والذي كتب ((أيام اليهود القديمة)) حوالي عام70ب.م واعتبر فيه كون فلسطين الحالية مسرحاً لجميع الأحداث في تاريخ اليهود وكأنها حقيقة مسلماً بها.

فصارت أورشليم بدلاً من (يبوس) المدمرة، وصارت معارك اليهود بين وادي مصرايم ووادي ثرات في غرب شبه جزيرة العرب، والتي لا يتجاوز أقصى عرض لها عشرة كيلومترات، ونتيجة للتحريف صارت هذه المنطقة تشغل المساحة الممتدة من نهر الفرات في أعالي سوريا إلى وادي النيل في مصر.

وقد انبرى المؤرخون السوريون إلى فضح أكاذيب واضعي نص التوراة، ولكن الظروف لم تكن في جانب المؤرخين السوريين في ظل الاحتلال اليوناني. ومع ذلك فقد بقي لنا ما ذكره (فيلون الجبيلي) في تقديمه لترجمة تاريخ (سانخونياتن)) الذي كان قد سجل أحداث معارك اليهود في شبه جزيرة العرب بالتفصيل في كتابه (تاريخ فينيقية) بشكل يفضح التزوير في التاريخ والجغرافية مما دعى (أوزيب اليهودي) إلى تدمير مؤلفات سانخونياتن لأنها تشكل خطراً على المشروع اليهودي وما يدعى (أرض الميعاد).

ويقول (فيلون الجبيلي)، ((إن سانخونياتن البيروتي يقص مع الحرص الكبير على الحقيقة، في جميع ما له علاقة باليهود، ولأنه لم يغيّر الأمكنة والأسماء)).

كذلك هتف السيد المسيح(عليه السلام) في وجه كهنة اليهود وأنبيائهم قائلاً: ((أقول لكم إني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سرّاق ولصوص)).

إنجيل يوحنا- 10: 7 - 8

وهذا (ارميا) لم يعد يحتمل كذب أولئك الكهنة فيقول لهم مخاطباً: ((كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب. خزي الحكماء ارتاعوا وأُخِذوا. ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم)).

إرميا (8 : 8- 9)

ويقول أيضاً : ((يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين. يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب... ويختل الإنسان صاحبه ولا يتكلمون بالحق. علّموا السنتهم التكلم بالكذب وتعبوا في الإفتراء)).

إرميا (9 :2- 5)

ونقرأ في كتاب (صابئة حرّان) لمؤلفه محمد عبد الحميد الحميد ص153 ما يلي: ((إن القديس أوغسطين الذي عاش (بين 354 و 430) ب.م ، يقول: كان الكتاب اليهود يحرّفون النصوص قصداً ، لتأييد مسألة مقبولة لديهم، أو لدفع اعتراض عليها. ويقول في مخاطبته لطريفون اليهودي؛ أنتم أيها اليهود حرّفتم كتباً كثيرة من العهد القديم لتظهروا مخالفتها للعهد الجديد)).

وقد أكد القرآن الكريم بوضوح على أن كهنة التوراة، قد زوّروا كثيراً من النصوص؛ حيث جاء في سورة الأنعام الآية 91؛ ((وما قدّروا اللّه حق قدره إذ قالوا ما أنزل اللّه على بشرٍ من شيء، قُلْ من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تُبدونها وتُخفون كثيراً وعُلّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قُلْ اللّه، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)).

صدق اللّه العظيم.

وجاء أيضاً في سورة البقرة الآيات: 144 - 145

((ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آيةٍ ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعتَ أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين. الذين أتيناهم الكتاب يعرفونها كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)).

صدق الله العظيم

وبعد استعراض كل ما تقدم حول موضوع (التوراة تُزيّف الحقائق) نخلص إلى التأكيد على أن ((أرض الكنعانيين هي مجموعة القرى المنتشرة في المنطقة الممتدة من جبل (جاد) الملاصق لجبل (لبنان) بالقرب من مكة والواقع في بلاد غامد شمال (جذانه)، إلى جبل (صفوان) في بلاد زهران. وإن كل ترجمة أُخرى لهذه البلاد إلى اسم (سوريا أو فينيقية أو فلسطين) إنما هي إحدى عمليات الخلط الكبرى التي أضاعت حقائق التاريخ والجغرافيا معاً)).

ولا بد من التأكيد على أن هذه المنطقة التي تدعى (غامد وزهران) إنما هي القسم الغربي من شبه جزيرة العرب على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمد والمعروفة الآن باسم (الحجاز وتهامة).

ويُعطينا الدكتور أحمد داوود في كتابه تاريخ سوريا القديم صـ/ 733- 734- 735/، مجموعة من أسماء المواقع في بلاد غامد وزهران على سبيل المثال لا الحصر:

- أرادوس - عرّاد في بلاد زهران - في الترجمة أرواد.
- أردانا - عرده في بلاد زهران - في الترجمة أرواد أيضاً.
- جي مت - غميط شرق زهران - في الترجمة حماه.
- بيت لحم - هي قرية أفراته أو بيت لحم في سراة زهران قرب البطلية.
- ياهص - الوهصة في بلاد زهران.
- جازر - غزير في مرتفعات غامد.
- صور - قرية صُر في جبال لبنان شرق غامد دمرتها البراكين والزلازل.
- أرحا - يرحو أو قرية وراخ في بلاد زهران - تُرجمت إلى أريحا في سوريا الجنوبية.
- عربه - جبل غارب ووادي غارب في سراة زهران - في الترجمة بحر العربة.
- جبل هور - جبل الهرة في سراة زهران الشرقية.

- يؤان - الياب في بلاد غامد.
- بحور - جبل بُهر **BUHUR** في شرق زهران.
- العين - العين بين غامد وزهران.
- دان - الدندانة، دان في بلاد زهران.
- جت - غطيط في بلاد زهران.
- صرعة - الزرعة في بلاد زهران (فيها ولد شمشون)
- حبرون - الخربة في بلاد زهران.
- لخيش - بني قيس في بلاد زهران.
- أدواريم - الدارين في بلاد زهران.
- بيت إيل - البطيلة في بلاد زهران.
- تعنك - الكعنة في بلاد زهران.
- منسى - المنشية، في سراة زهران.
- رأوبين - الربيان، في بلاد زهران.
- حوليه - حواله، في سراة غامد.
- كريت - وادي كريت أووادي قرية، جنوب بلاد غامد. منطقة القنفذة.

- جبل إبراهيم- شمال شرق بلاد زهران.

- وادي طوى- شرق بلاد زهران، قرب وادي وراخ (أريحا في سراة زهران.

- الفرات - وادي الثرات في سراة زهران.

ولابد من الإشارة إلى أن أسماء الأماكن الواردة في مدونات التوراة قد أنهكت سلطات الاحتلال الصهيوني، في البحث عن أية آثار لواحدة منها في فلسطين الحالية دونما جدوى. ولذلك أخذت تطلق الأسماء التوراتية عشوائياً على مسميات أخرى حديثة وقديمة هادفة إلى تثبيت ذلك في أذهان العالم وفي التاريخ والجغرافيا مع تقادم الزمن.

الفصل الخامس

إبراهيم الخليل والعبرانيون

1 - العبرانيون.

2 - الخبيرو.

3 - الأخلامو.

4- إبراهيم الخليل - نسبه - حياته - ديانته – رحلته.

قبل الكلام عن إبراهيم الخليل، لا بد من التعرف على بعض التسميات التي وردت في التوراة واعتبرها الباحثون، أنها تسميات لمسمى واحد، أو مترادفات تمثل جميع الأدوار دون تمييز.

أولاً: العبرانيون:

كانت كلمة (عبري) تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد ، أو قبل ذلك، على مجموعة من القبائل العربية المتواجدة شمال الجزيرة العربية، وبوادي الشام. وكانت العبرية لغة تلك القبائل وغيرهم من الأقوام البدوية حتى صارت كلمة عبري مرادفة لإبن الصحراء أو إبن البادية بوجه عام. في وقت لم يكن لليهود أي وجود. ولما ظهر اليهود، كانوا هم أنفسهم يقولون عن العبرية (شفة كنعان أي لسان أو لغة كنعان).

ومن مدونات التوراة أخذ الدارسون الغربيون سلسلة نسب العبرانيين هؤلاء كما يلي: ((عابر بن شالح بن أرفخشاد بن سام بن نوح)). دون أن ينتبهوا إلى أن التوراة جعلت هذه السلسلة تستمر حتى إبراهيم الخليل، لغرض في نفوسهم، وقد وقع مدونوا التوراة في تناقض صارخ حينما وضعوا إبراهيم في شجرة النسب، واحداً من أحفاد (عابر) بن شالح بن أرفخشاد، ثم اعتبروه أرامياً كما جاء في سفر (التثنية - 5:26) (ثم تصرّح وتقول أمام الرب إلهك أرامياً تائهاً كان أبي)). وفي ذلك من التناقض الواضح مع ما تذكره المصادر العربية القديمة التي تقول أن عابر بن شالح هو أبو قحطان وإليه ينتسب العرب القحطانيون، كما انتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم فيما بعد (العدنانيون أو عرب الشمال).

وتؤكد المصادر العربية القديمة، أن نسب إبراهيم يعود إلى (عابر بن أرام) وأن عابر الأرامي هذا قد انتقل مع أخوته وبنيه من منطقة بابل إلى منطقة الأراميين في شبه جزيرة العرب كما ورد في تاريخ الطبري.

وكما ورد في مدونات التوراة أيضاً، التي جعلت أسرة إبراهيم تأتي من مركز الأراميين في بابل إلى شبه جزيرة العرب.

ويتضح من كل ذلك أن إبراهيم وبنيه هم عرب أراميون وبذلك ينتفي خط النسب الذي وضعه مدونوا التوراة، وينتفي معه انتساب إبراهيم إلى عابر بن شالح بن أرفخشاد.

إذن من أين أتى لقبه (العبراني)؟ لقد اختلف المؤرخون حول تفسير هذه التسمية فدائرة المعارف البريطانية تقول: ((إن إبراهام كان شبه بدوي ينتمي إلى القبائل القديمة المسماة بالعبيرو ولعله ينحدر من هذا العرق القبلي نفسه))

فالعبيرو في هذا التفسير هم عرق قبلي....!

أما المؤرخ (جورج بوست يقول في مصنفه ((قاموس الكتاب المقدس))، (أن لقب إبراهيم بالعبراني، لم يُقصد به الإسرائيلي وإنما يمكن تفسيره بإبرام النازح أو المهاجر)).

فالعبراني هنا هي صفة لوضع مؤقت أو طارئ (النزوح) وليست عرفاً أو جنساً أو انتماءً.

أما العالم (فرويد) في كتابه (موسى والتوحيد) صـ 47 فيعلق على هذه المسألة بقوله: ((نحن نعرف أخبار هؤلاء المحاربين من الرسائل المكتشفة عام 1887م في سجلات مدينة العمارنة المهدمة، فهي تسمّيهم بـ (العبيرو) وقد أُطلق هذا الاسم فيما بعد، ولا ندري كيف، على الغزاة الجدد (اليهود). ولم تذكرهم رسائل العمارنة لأنهم (أي اليهود) جاؤوا في زمن لاحق)).

فالعبيرو هنا هم جماعة من المحاربين دون تحديد جنس لهم.

أما المؤرخ (ولفنستون) في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب) يقول: ((ثم أصبحت كلمة عبري تشمل جميع الآراميين وكلهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة العرب، قبل أن يكون لليهود وجود)).

وبذلك فالعبرانيون هم العرب الآراميون. ويؤكد مؤرخون آخرون أن كلمة (عبري أو عبراني) كانت تُطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد، أو قبل ذلك، على مجموعة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب وفي بادية الشام. حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام. فالعبرانيون هنا مجموعة من القبائل العربية البدوية.

ونستدل مما سبق أن العبرانيين، موجودون قبل أن يكون لليهود أي وجود بزمن طويل، وأن اليهود لا يمتون بصلة للعبرانيين العرب. ولنا من قول التوراة دليلٌ على صحة ذلك. تقول التوراة في سفر الخروج 21: 1 و 2((إن الرب يخاطب

موسى: هذه هي الأحكام التي تضع أمامهم إذا اشتريت عبداً عبرانياً ، فست سنوات يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً...)).

وفي هذا دليل على أن العبرانيين، ليسوا يهوداً بل كانوا جماعة من البدو الفقراء الذين يبيعون خدماتهم مقابل توفير العيش لهم.

ولكن كهنة التوراة، قاموا باستعمال مصطلح (عبري أو عبيرو)، وأعطوا إبراهيم الخليل لقب (العبراني)، وذلك لربط تاريخهم بأقدم العصور، واعتبار وجود اليهود متصلاً بأقدم الأزمنة.

ويؤكد المؤرخ كروهمان في بحثه عن أصل العرب فيقول: ((من المؤكد أن العنصر العربي البدوي في شبه جزيرة العرب، هو على الأرجح، مصطلح مرادف لتسمية (أرام وعبيرو وخبيرو) وجد في الأصل في المنطقة التي تمتد بين سوريا وبلاد ما بين النهرين (العراق) والتي تعد أقدم مركز للساميين)).

فكلمة (عبيرو) هنا تأتي مرادفة لكلمة عربي آرامي.

ثانياً: الخبيرو:

يخلط بعض المؤرخين بين التسميتين (عبيرو) و(خبيرو)، ويجعلونهما أسماً لمسمى واحد. ويذكر الدكتور فيليب حتّي في كتابه تاريخ سورية جـ 1 صـ 173

((أن اسم (الخبيـرو) أطلق لأول مرة على المحاربين في عهد الملك (نارام سين) حوالي 2170 ق.م .. وكما يبدو فإنه ليس اسماً عرقياً وإنما تسمية أُطلقت على جماعات (الرّحل والأجانب) الأشقياء المستعدين للانضمام إلى صفوف أي جيش لقاء أجرة، أو بدافع الحصول على الغنائم)).

وبذلك يكون الخبيرو هم الفقراء الذين يؤجرون عملهم أو ما يدعى اليوم، (المرتزقة).

وتؤكد ذلك وثائق (نوزي) التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتذكر الخبيرو على : ((أنهم عبيد أصبحوا كذلك باختيارهم)). وهذا يعني أنهم الفقراء المعدمون الذين يبيعون عملهم في الخدمة العسكرية أو في العمل الزراعي أو في الرعي، مقابل قوتهم. وبذلك نجد أن التسمية (خبيـرو) أخذت تنحو منحى مستقلاً عن (العبيـرو).

ثالثاً: الأخلامـو:

تعني كلمة أخلامو في اللهجات العربية القديمة (الرفاق أو الأصدقاء أو الأصحاب). وقد حافظت على معناها حتى اليوم. ففي المعاجم نجد؛ أن (الخلم) هو الصديق والصاحب والجمع أخلام.

ولكن المؤرخين والدارسين استخدموا هذه التسمية مقترنة بالوجود العربي الآرامي، دون معرفة معناها ضمن التطور السياسي والاقتصادي في تلك المرحلة.

ويقول الدكتور أحمد سوسه في كتابه (مفصل، العرب واليهود في التاريخ) ما يلي: ((كان الآراميون مكونين من جملة عشائر وقبائل، فيهم فرع ورد اسمه بصيغة (أخلامو) وهي تسمية شاملة وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية. وأصبح الأخلامو في العهد الأخير مرتبطين بالآراميين، ونظراً لشهرة هذه القبائل صار اسمها كثيراً ما يُطلق على جميع الآراميين)).

ويتضح من خلال هذا أن بعض السمات المشتركة بين (العبيرو والخبيرو، والأخلامو)، جعلت المؤرخين لا يميزون فيما بينهم. ((فهم جميعاً من العرب الآراميين، البدو أو الفقراء، بوجه عام، ويتحركون في منطقة واحدة من شبه جزيرة العرب)).

إن وضوح منطقة تحركهم في شبه جزيرة العرب، أسقطت كل التفسيرات الجغرافية التوراتية المزورة حول ما دعي بأن وجودهم في (بلاد الرافدين) والتي صارت بتغيير أسماء المواقع، تعني نهري (دجلة والفرات).

وبناء على ما تقدم، نستطيع أن نميّز بين هذه التسميات: (عبيرو، وخبيرو، وأخلامو) كما يلي:

فالعبيرو: هم الجماعات والأفراد الذين اختاروا العبور إلى المنطقة الغربية أي (غربي جبال السراة) حيث الأرض الزراعية الخصبة، أي إلى منطقة الكنعانيين

المزدهرة زراعياً من بلاد غامد وزهران في غرب شبه جزيرة العرب، وتشمل تلك الجماعات، الأغنياء من العرب الآراميين مالكي القطعان.

أما **الخبيرو** : فهم البدو الفقراء والمعدمون الذين لايملكون إلا جهدهم فيعملون كإجراء للعمل في الأرض أو الرعي أو الخدمة لدى الأغنياء أو كمرتزقة في الجيوش المحاربة، مقابل قوتهم.

أما **الأخلامو**: أو الرفاق، هم المعدمون الذين لم تكن تتوفر لهم فرص بيع جهدهم للعمل، فكانوا يتحولون إلى مجموعات عصابية تسطو على الممتلكات وتقوم بنهب المحاصيل والثروات في المدن، أو الإغارة على طرق القوافل التجارية.

وقد استمرت ظاهرة الأخلامو في المراحل اللاحقة من التاريخ العربي ولا سيما في شبه جزيرة العرب. ولم تكن تنظيمات العرب الصعاليك إلا أحد أشكال هذه الظاهرة.

والمهم أن جميع المصادر تُجمع على أن وطن تلك الجماعات إنما هو شبه جزيرة العرب، وأن لغتهم هي لغة العرب الكنعانيين، وليس لهم أية علاقة باليهود.

رابعاً: إبراهيم الخليل:

(نسبه - حياته - ديانته - رحلته)

أ - نسبه : اعتمد المؤرخون، في بحثهم عن نسب إبراهيم الخليل، على ما أوردته التوراة في سفر (التكوين 11: 25) حيث قالت ما يلي: ((إبرام هو ابن

تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح)).

ولعل مدونو التوراة قصدوا من ربطه بهذا النسب، ليجعلوا منه عبرانياً نسبة إلى عابر بن شالح. وفي هذا تناقض واضح مع نسب إبراهيم الأرامي أي أنه يعود إلى آرام بن سام بن نوح. بالإضافة إلى أن نسب إبراهيم وأولاده، الآرامي مؤكد سواء من ناحية الأب أو من ناحية الأمهات.

مع الإشارة إلى أن التوراة نفسها قد ذكرت حول نسب إبراهيم، في سفر التثنية 26 :5 ما يلي: ((آرامياً تائهاً كان أبي)). وبذلك يثبت لنا أن مدوني التوراة، عبثوا بشجرة الأصول وزوروا نسب إبراهيم في جملة عمليات التزوير التاريخية الكبيرة لغرض في أنفسهم.

فإبراهيم لا يمكن أن يكون آرامياً، وارفكشادياً في آنٍ معاً. وأنه لا يمكن أن يكون ابناً لتارح إلا إذا كان تارح آرامياً أيضاً. وإذا عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا ما يؤكد عملية التزوير، حيث جاء في (سورة الأنعام: الآية 74) ما نصه((وإذ قال إبراهيم لأبيه (آزر) أتتخذ أصناماً آلهة... إني أراك وقومَك في ضلال مبين)). صدق الله العظيم

ومما تقدم يتضح بما لا يقبل الشك، أن إبراهيم لم ينتسب إلى جدٍ غير آرام.

وأما لقبه العابري أو العبراني أو العبري، لم يكن يعني أنه من الخبيرو أو

الأخلامو، بل كان واحداً من أولئك الأمراء العرب البدو الذين يملكون القطعان من المواشي ويؤجرون عدداً كبيراً من الخدم والرعيان.

وأما لقب العابري يمكن أن يكون قد لصق به نتيجة لعبوره الجرود(يردن) إلى أرض كنعان في بلاد غامد وزهران، غرب شبه جزيرة العرب.

ويعلّق الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم)صـ 630 بقوله: ((ثم إننا نرى كيف أن أبناءه من بعده لم ينتسبوا إليه. فأبناء إسماعيل؛ دعوا بالإسماعيليين، وأن أولاد يعقوب (إسرائيل) دعوا بالإسرائيليين، ولم ينتسبوا إلى إبراهيم. إذاً أُلصقت تسمية العبراني بإبراهيم وأهل بيته أثناء حياته. ولم يبقَ من العبرانيين شيء غير الظاهرة التي استمرت مع استمرار العبور، يقوم بها أناس وجماعات شتى من أبناء القبائل العربية وعشائرها، دون أن يكون ثمة أي جامع فيما بينها غير صفة العبور. إذ هي أشتات من قبائل عربية وليست فرعاً واحداً. ومن هنا تسقط مقولة الشعب العبراني أو اللغة العبرانية من منطق التاريخ)).

أما أسرة إبراهيم فتنقسم إلى فرعين:

1- فرع إسماعيل وهم العرب العدنانية.

2- فرع إسحق ويضم:

أ- عيسو.

ب- يعقوب ولقبه (إسرائيل) ومعناه (إسرا - إيل) أي الذي اصطفاه إيل.

ب- حياة إبراهيم:

ورد في روايات بعض المؤرخين أن إبراهيم الخليل، ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وأنه ينتمي إلى القبائل العربية الآرامية، كما مرّ سابقاً. وأن تلك القبائل قد نزحت من جزيرة العرب واستقرت على ضفاف الفرات، وأستقر فريق منهم في جنوب العراق ومنهم أسرة إبراهيم الخليل.

ويتفق المؤرخون أن مولده كان في العراق، في مدينة (أور) وفي رواية أخرى وُلد في مدينة (كوثا) التي كانت مركزاً مهماً للساميين في العراق منذ أقدم العصور. إن العصر الذي عاش فيه إبراهيم هو عصر عربي قائم بذاته، وله مقوماته: ((القومية واللغوية والدينية)) وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبقبائلها وبلغتها الأم.

ومع أن إبراهيم الخليل قد استقر مع عشيرته في العراق، إلا أنه كان على اتصال دائم مع القبائل العربية التي يرتبط بها بصلة القربى والوطن الواحد. وكانت له جمال وأغنام، واتصالات تجارية مع القبائل العربية التي تسكن البادية المتصلة بالفرات وبوادي الشام والحجاز.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد هذه الصلة، حيث قُرِنَ اسم إبراهيم وابنه إسماعيل بالجزيرة العربية وبالبيت العتيق في (مكة). وقد جاء في سورة البقرة الآيات: (124- 126- 127) ما نصه:

((وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع والسجود .... وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبّل منا إنك السميع العليم، ربنا إجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم....)) صدق الله العظيم.

جـ - ديانـته:

يتفق الباحثون على أن إبراهيم كان صاحب رسالة دينية، تستند إلى عبادة الإله (إيل) الذي كان معبوداً ومعروفاً في كنعان، وله كهنته ومؤسساته الدينية المستقرة، إن إبراهيم الخليل لم يعرف الرب باسم (يهوه) اليهودي، بل عرفه باسم (إيل) الكنعاني، ولذا لُقّب بالخليل أي (خُل - إيل) وتعني حبيب إيل أو صديق إيل.

وعلى الرغم من قلة المعلومات عن الديانة الإبراهيمية، فإن الدلائل تشير إلى وجودها الفعلي وإلى تطورها داخل الديانة الكنعانية عبر الاتجاه الإيلي. ويمكن تتبع أخبار الإبراهيمية في المراجع الدينية (اليهودية والحنفية والإسلامية) وفي

مراجع غير دينية كالأخبار والروايات التي كانت متداولة في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، والتي تدل على أن التوحيد الإبراهيمي (الإيلي) قد خطا خطوة واسعة نحو صورة أوضح للذات الإلهية الواحدة.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد في سورة آل عمران الآية 65 مانصه:

((يا أهل الكتاب لمَ تحاجون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده، أفلا تعقلون))

صدق اللّه العظيم

وفي الآية 67 من سورة آل عمران نجد: ((ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)). صدق اللّه العظيم.

ومما لا شك فيه أن إبراهيم الخليل قد نادى بعقيدة التوحيد، وأن دعوته كانت موجهة إلى عبادة الإله (إيل) الإله الأوحد، إله السموات والأرض. وتعتبر دعوته هذه أول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمعنى التوحيد. وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في سورة الأنعام الآية 74 التي تنص: ((وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهةً.... إني أراك وقومك في ضلالٍ مبين))

صدق اللّه العظيم.

حينما نادى إبراهيم الخليل بعقيدة التوحيد الإيلية بين قومه والأقوام الأخرى التي كانت على الوثنية، عُذب واضطُهد، واحتجّ الناس عليه فسُجن، ولكنه استمر في مناقشة الناس أياماً وهو في السجن، فخاف الملك أن يُفسد عليه سياسته فنفاه.

ويعتقد بعض المؤرخين أن ذلك كان دافعاً لرحيله مع عشيرته من (أور) في جنوب العراق، والعودة إلى الجزيرة العربية. ولكن نبؤة إبراهيم انتشرت في مناطق واسعة من الأرض العربية مما خلّد اسمه في جميع البقاع التي حلَّ بها. ((لقد كان إبراهيم الخليل رسولاً وزعيماً عربياً يحمل رسالته الدينية إلى الإنسانية جمعاء، دون أن تقيدها حدود ولا تقف في سبيلها عصبية الأقوام والأمم)).

كان إبراهيم الخليل ينتمي في نسبه إلى عشيرة عربية آرامية في (حرّان) في الجزيرة العربية، رحل مع قسم منها إلى (كوثا) و(أور) في جنوب العراق، ثم ارتحل عائداً إلى حرّان من جديد مع عشيرته الأرامية ثم إلى (ذومسك) التي تسميها التوراة (دمشق)، وهي في بلاد زهران، ثم إلى حبرون، ثم إلى بلاد مصراييم(المصريين) وفلشتيم (الفلسطينيون).

د - رحلة إبراهيم الخليل:

يؤكد المؤرخون أن رحلة إبراهيم الخليل من جنوب العراق، هي رحلة حقيقية لا مجال للشك في صحة حدوثها معتمدين، بالدرجة الأولى على مدونات التوراة، كمصدر يكاد يكون وحيداً، دون أن يعمد أحدٌ منهم إلى مناقشة ما ذكرته التوراة عن الرحلة، من أرض أور جنوب العراق، إلى أرض الكنعانيين جاعلين زمن الرحلة (نهاية القرن التاسع عشر) قبل الميلاد إستناداً إلى تسلسل أحداث التوراة. لا إلى وثائق تاريخية تستند إلى النصوص القديمة أو إلى الإكتشافات الآثارية.

تحدد التوراة رحلة إبراهيم بأربعة أشخاص هم (تارح وإبراهيم وساراي امرأة إبراهيم ولوط بن هاران) ((وأخذ تارح إبرام إبنه ولوطاً بن هاران .. وساراي كنته امرأة ابرام ابنه فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان)).

التوراة - تكوين (11: 31.)

إن هذا التحديد لأشخاص الرحلة، إنما يخالف تماماً ما تعوّدت القبائل العربية عند تحركها، فهي تنتقل من مكان إلى آخر، إنتقالاً يضم مجموعة من القبائل.

ومن المؤكد كان الانتقال يضم مجموعة من العشائر العربية الآرامية، بين الفرات وجنوب سورية وشبه جزيرة العرب، انتقالاً تفرضه الشروط الطبيعية كالزلازل أو الشروط الاقتصادية، كالبحث عن أماكن الرعي، أو الظروف

السياسية كالحروب وغارات الأقوام الأخرى. وإن تلك الموجة التي جاءت مع إبراهيم لم تكن مؤلفة من أسرة صغيرة عددها أربعة أشخاص كما ذكرت التوراة. بل كانت موجة بشرية كبيرة، دانت بالولاء لإبراهيم كأمير عربي وكزعيم ديني له من الاحترام والتأييد بين صفوف تلك القبائل.

ويتفق المؤرخون الذين أخذوا برواية التوراة، على أن إبراهيم رحل مع أسرته من منطقة أور في جنوب العراق، سالكاً طريق القوافل في محاذاة الجانب الأيمن لنهر الفرات ومعه ممتلكاته من قطعان الأغنام والماعز والجمال والدواب، ماراً بمدينة (ماري) على نهر الفرات، ثم إلى (حاران) وتقع على نهر البليخ في شمال سوريا. ثم يتابع إبراهيم التحرك إلى دمشق ومنها إلى فلسطين الحالية قاطعاً مسافة (960) كلم.

وبالعودة إلى النصوص التي ذكرتها التوراة عن الرحلة نجدها على النحو التالي، وبعد استعراض رواية التوراة، نعود إلى مناقشتها واحدة بواحدة:

1- من أور العراق إلى حاران:

تقول التوراة في سفر التكوين (11: 31) ما نصه: ((وأخذ تارح أبرام ابنه، ولوطاً بن هارون إبن إبنه وساراي كنته إمرأة أبرام إبنه، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى (حاران) وأقاموا هناك ... ومات تارح في حاران)).

2- من حاران إلى أرض كنعان:

وتروي التوراة في سفر التكوين، (12 : 1- 5) ما يلي: ((وقال الرب لأبرام، اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بين أبيك إلى الأرض التي أُريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأبارك اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. فأخذ أبرام ساراي إمرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهم التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان)).

3- في أرض كنعان:

وتتابع التوراة روايتها عن الرحلة في سفر التكوين (12 : 6- 9) فتقول: ((واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان (شكيم) إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر فيه. ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحاً للرب ... ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب)).

4- من كنعان إلى مصر:

تقول التوراة في سفر التكوين (12: 10- 20) ما يلي:

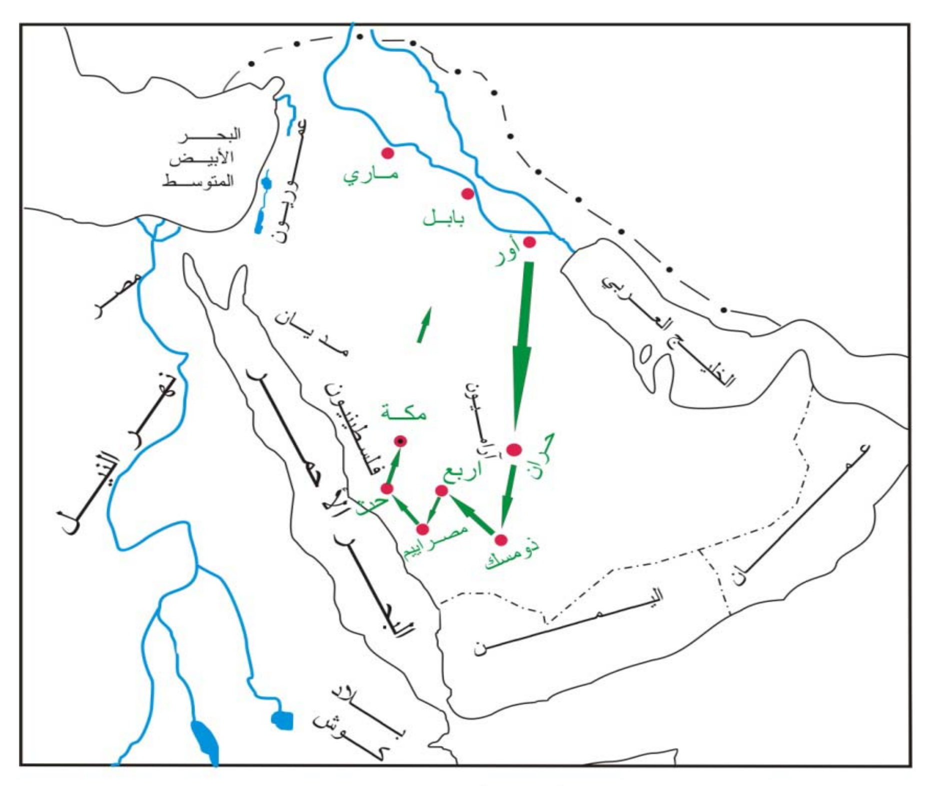
((وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك. ولأن الجوع كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل إلى مصر أنه قال لساراي إمرأته، إني قد علمتُ أنك إمرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآكِ المصريون أنهم يقولون هذه إمرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي أنك أختي، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك)).

((فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً، ورآها رؤوساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وجمال. فضرب الرب الفرعون وبيته ضربات عظيمة، بسبب ساراي امرأة أبرام، فدعا فرعون أبرام وقال له، ما هذا الذي صنعته بي، لما لم تخبرني أنها امرأتك، لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك، خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له)).

5- من مصر إلى أرض كنعان:

تذكر التوراة رحلة إبراهيم من مصر إلى أرض كنعان في سفر التكوين (13: 1- 4) فتقول: ((فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب. وكان أبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب. وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداءة بين

بيت إيل وعاي إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً، ودعا هناك أبرام باسم الرب)).



خط سير رحلة إبراهيم من أور إلى أرض كنعان حوالي 1900−1850 ق. م

6- في أرض كنعان:

أعادت التوراة إبراهيم من مصر إلى أرض كنعان، لتروي هنا مجريات حياة إبراهيم في أرض كنعان، في سفر التكوين (13: 5- 13) فتقول: ((ولوط السائر مع أبرام كان له أيضاً غنم وبقر وخيام لم تحتملها الأرض أن يسكنا معاً، إذ كانت أملاكهما كثيرة، فلم يقدرا أن يسكنا معاً. فحدثت مخاصمة

بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط. وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذٍ ساكنين في الأرض. فقال أبرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك... لأننا نحن أخوان. أليست كل الأرض أمامك. اعتزل عني إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً ، وإن يميناً فأنا شمالاً.... فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن ، وارتحل شرقاً. فاعتزل الواحد عن الآخر. أبرام سكن في أرض كنعان ، ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم)).

و المقصود هنا بالأردن منطقة الجرود الجبلية في سراة زهران.

وتقول التوراة أيضاً في سفر التكوين: (13 : 18) ما يلي: ((فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون. بنى هناك مذبحاً للرب)).

((ثم انتقل من هناك إلى الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرّب في جرّار)) تكوين 20 : 1.

وتكف التوراة عن تسمية (أبرام) بل تجعل اسمه (إبراهيم) بدءاً من الإصحاح السابع عشر ، وذلك بعد أن ولد له إسماعيل.

وفي ذلك تقول التوراة في سفر التكوين (17 : 4- 6) ما نصه: ((وتكلّم اللّه معه قائلاً: أما أنا فهوذا عهدي لك وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يدعى إسمك بعد أبرام بل يكون اسمك (إبراهيم))).

ثم تروي التوراة موت إبراهيم في سفر التكوين؛ (25 : 7_9) فتقول: ((وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها. مئة وخمس وسبعون سنة. وأسلم إبراهيم روحه ومات.... ودفنه اسحق وإسماعيل إبناه في مغارة المكفيلة في حقل عقرون بن صوحر الحثي الذي أمام ممرا)).

بعد استعراض رحلة إبراهيم الخليل وعشيرته الآرامية من أور الكلدانيين في جنوب العراق إلى أرض كنعان كما وردت في التوراة، نجد من الضرورة ذكر الملاحظات التالية، لتبيان التناقض في ما روته التوراة حيث تعمّد واضعوها تزوير الحقيقة.

أ- يذكر الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سورية القديم صـ 812) عن رحلة إبراهيم التي استعرضنا تفاصيلها في مدونات التوراة. فيقول: ((إن الطريق التي سلكها إبراهيم في رحلته إلى أرض كنعان هي كما يلي؛ من أور الكلدان جنوب بابل، إلى حاران على بعد حوالي خمسين كيلو متراً شرقي زهران، ثم إلى أرض الكنعانيين في الجزء الشرقي من زهران نفسها، ومنها إلى بلاد المصريين (مصراييم) في غرب زهران، ثم إلى الموضع نفسه (قرية أربع أو حبرون) في القسم الشرقي من زهران)).

ب- إن تحرك أية مجموعة من العشائر البدوية لا بد أن تضم الرجال والنساء والأولاد وجميع ما تملكه تلك العشائر من قطعان. ومن هنا فإن تحرك

إبراهيم الخليل لم يقتصر على أسرة مؤلفة من أربعة أشخاص، بل كان تحركاً قبلياً يضم القبائل الأرامية العربية.

جـ - إن تحرك هذه القبائل كان مع كل ما تملكه من قطعان ومواشي وأمتعة لأن تحرك أية قبيلة مع ممتلكاتها، إنما هو تحرك رعوي، بمعنى أن الماشية تتقدم ببطء وهي ترعى ثم تقيل وتستريح حتى لا تنفق في الطريق، وأن قطعان الأغنام لا تصلح للانتقال عبر مسافات طويلة، وكما قدّر المؤرخون أن المسافة التي قطعها إبراهيم في رحلته تقارب الألف كيلو متر.

د- تجعل التوراة تحرك إبراهيم من أور في جنوب العراق إلى (حاران). وتجعل حاران في شمال سورية، بينما نجد أن حاران هذه هي مركز أرامي بدوي في شبه جزيرة العرب وفيها أهل إبراهيم وبيت أبيه وعشيرته الآرامية.

هـ - حينما انتقل إبراهيم إلى مصر، تقول التوراة أن أبرام قال عن ساراي أنها أخته وليست زوجته خوفاً على حياته، مما جعل فرعون مصر يتزوج منها. بينما الحقيقة أن هذا الملك ليس فرعون مصر وادي النيل، الذي تمتلئ قصوره بالحسناوات، كما أنه لا يجوز أن يتزوج إلا من البيت المالك. وبالتالي فإن الملك المقصود إنما هو ملك (مصرايم) سكان قرية مصر (ميسور) في بلاد غامد وزهران غرب شبه جزيرة العرب.

يضاف إلى ذلك، ما ذكرته التوراة أن إبراهيم قدّم ساراي زوجته إلى ملك مصر. في الحقيقة أن ذلك يتنافى مع غيرة العربي والبدوي بشكل خاص، على المرأة وتضحيته بنفسه للدفاع عنها وحمايتها. فكيف يمكن أن يحدث ذلك مع إبراهيم وهو أمير عربي آرامي؟!..

و - تقول التوراة أن تحرك إبراهيم إلى مصر، بسبب حدوث جوع في الأرض والحقيقة أن ذلك يعني جوع المواشي، بسبب فقدان المرعى، وإن صح ذلك فكيف يمكن أن يقطع إبراهيم المسافة الطويلة عبر صحراء سيناء ليصل إلى مصر وادي النيل بمواشيه؟

ز - جعلت التوراة الأرض التي وعد الرب إبراهيم بها، تمتد من الفرات إلى النيل، بينما كان إبراهيم في المنطقة الجبلية (جبل السراة) وليس من المعقول أن يرى إبراهيم من النيل إلى الفرات وهو واقف تحت بلوطته.

ويعطينا الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 651 تفسيراً لعملية التزوير والتبديل في أسماء المواقع فيقول: ((وبناء على التبديل في أسماء المواقع والأماكن الذي حدث في الترجمة السبعونية للتوراة، فقد درج المؤرخون على اعتبار (حاران) في شمال سوريا في أعلى الفرات، وبلاد كنعان هي سورية المتوسطية كلها، وأن مصر المقصودة هي مصر وادي النيل، وأن فلسطين هي الجزء الجنوبي من سوريا المتوسطية، وبناء عليه فإن الأرض التي وقف إبراهيم

يتملاها بعينيه .... وعده الرب بأن يجعلها ملكاً له ولنسله من بعده، هي الأرض الممتدة من الفرات إلى النيل)).

وبالعودة إلى مناقشة بعض أسماء المواقع التي أوردتها التوراة خلال رحلة إبراهيم نجد: أن (**حاران**) هي أحد مراكز الآراميين العرب في غرب شبه جزيرة العرب وأن سكانها كانوا من الرعاة وأصحاب المواشي والذين يمارسون التجارة في البوادي أيضاً.

ومن المعروف أن إبراهيم كان أحد رؤساء البدو الأغنياء الذين يملكون القطعان الكبيرة. وأن حاران كانت مقر إبراهيم و عشيرته، الذين عادوا إليها جميعاً حينما ضاقت بهم الأحوال في برية أور غرب الفرات وجميعهم من العرب الآراميين.

وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في سورة البقرة (الآيات: 125 – 126- 127) حيث قرن اسم إبراهيم وابنه اسماعيل بالجزيرة العربية وبالبيت العتيق (مكة المكرمة). ((وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود... وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك السميع العليم....))

صدق الله العظيم

أما **مصر** : التي ذكرتها التوراة في رحلة إبراهيم، هي ليست مصر وادي النيل. وفي ذلك يقول الدكتور أحمد داوود في تاريخه المذكور سابقاً صـ/656-657/ ما يلي: ((يذكر المؤرخ السوري(سانخونياتن) أن هنالك (مصر) في أرض (ميسور وصديق) غرب شبه جزيرة العرب. وأن مصرايم هم السكان الذين استقروا في بلاد غامد وزهران من شبه جزيرة العرب، والذين جاوروا أبناء عمومتهم الكنعانيين في بقعة واحدة)).

ونجد أنه حينما عاد إبراهيم من مصر إلى أرض كنعان، لم يتجه شمالاً، كما هو مفروض في من يذهب من مصر وادي النيل إلى فلسطين بل اتجه جنوباً إلى بلاد كنعان. ((فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب)).

تكوين (إصحاح 13: 1)

وكذلك فإن القادمين من مصر وادي النيل إلى فلسطين، ليسوا بحاجة إلى أن يعبروا نهر الأردن. والحقيقة أن مصر هذه هي قرية متاخمة لقرى الكنعانيين ويتبعها مجموعة من القرى الأخرى والمنازل الأصغر، وكان لها ملك لقبه (فرعون) وأن مصر هذه تقع على روافد نهر (الدوقة) المنحدرة من غرب زهران وتقع في منطقة جبلية وليس في منطقة منبسطة فهي ليس لها علاقة بمصر وادي النيل.

ومن النصوص التوراتية حول إقامة إبراهيم في أرض كنعان تبرز مسألة أخرى هي:

مسألة الحثيين:

في بحث مسألة الحثيين، اتفق معظم المؤرخين على أنهم من الشعوب الشمالية أو من عرق (هندو - أوروبي) ويبدو أن المؤرخين تعمدوا إساءة فهم هذه المسألة، بقصد اتخاذها وسيلة لتهريب الحضارة العربية وطمس ما للعرب السوريين من دور حضاري في سوريا الغربية المتوسطية.

وذلك بنقل اسم (بلاد كنعان) من منطقة غامد وزهران في غرب شبه جزيرة العرب، إلى سوريا المتوسطية كلها. ثم نقل فرع من العرب الكنعانيين وهم الحثيون (بنو حث الكنعاني)، إلى سورية المتوسطية، وجعل بني (حث) قسم من القبائل الشمالية الهمجية التي لا يُعرف لها أصل حتى الآن. وربطوا المنطقة السورية بما أسموه (الحثّيون) بعد أن عثروا على الحثيين في مدونات التوراة. وجعلوا أولئك الحثيين وكأنهم شعب آري أو هندو - أوروبي في سورية المتوسطية بعد تسميتها بأرض كنعان اعتماداً على الجغرافيا التوراتية.

بينما نجد أن التوراة نفسها جعلت الحثيين أبناء (حث) بن كنعان كما ورد في سفر التكوين إصحاح (10 : 15- 18) ((وكنعان ولد صيدون بكره، وحثاً،

واليبوسي، والأموري، والجرجاشي، والحوي.. وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني)).

وتروي التوراة أن إبراهيم أقام بين الحثيين الكنعانيين في قرية (أربع) الحثية، وهناك ماتت زوجته (سارة) ودُفنت في قبر أعطاه الحثيون لإبراهيم.

وفي ذلك تقول التوراة في سفر التكوين (23: 2- 6) ما نصه ((أسمعنا يا سيدي أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا ادفن ميتك)).

بينما تجعل التوراة الحثيين من الفرع الكنعاني العربي، يجعل المؤرخون من الحثيين إمبراطوربية كبرى في شمال الأناضول بسبب التناقضات المتشابكةحول تاريخ الشعوب.

وحول هذا الموضوع يقول المؤرخ موتغارت في كتابه (تاريخ الشرق الأدنى القديم) صـ178 ما نصه: ((إنه لمن المستحيل إعطاء صورة حية ذات تفاصيل وافية عن الشعوب المختلفة لتاريخ الشرق الأدنى خلال الحقبة الواقعة ما بين (1500-1200) ق.م ، وأن نتعقب، بنفس الوقت، تشابك الحوادث الدولية والحقائق لنجعل منها وحدة تامة)).

مع العلم أن تلك الإمبراطورية التي دُعيت (بالحثية) لم يُعرف لها حتى الآن مركزاً أو عاصمة فمرّة يقول بعض المؤرخين، (عاصمتهم كوشار) ولكن هذه

العاصمة ما زال مكانها مجهولاً. ومرة أخرى تكون العاصمة (خاطي) في تركيا الآن ومرة ثالثة تصبح العاصمة (كركميش) جنوب طوروس.

كل ذلك يؤكد أن الحثيين الذين يذكرهم المؤرخون، هم قبائل لا يُعرف لها أصل، بل جاءت تسميتهم من الإنكليزية (حثي **Hitti**) وهي تسمية مأخوذة بدورها من مدونات التوراة، أي من بني حث الكنعانيين. فقبل مدونات التوراة لم يكن يُعرف لتلك القبائل اسم، وبعد أن تمّ تغيير أسماء المواقع، صار اسم (الحثيين) يُطلق على تلك القبائل (الهندو- أوروبية) في شمال الأناضول.

ويقودنا البحث إلى استعراض بعض أسماء الأماكن التي ارتبطت بحركة الحثيين:

1- نهارين:

ورد اسمها في مدونات التوراة بالكنعانية (نهريم) أي النهرين. ووردت أيضاً بصيغة (أرم نهريم) أي أرام النهرين. ثم جرى تغيير المكان إلى موضع آخر معروف في شمال سوريا، بحيث يسهل التصور أن المقصود (بالنهرين) دجلة والفرات. ومن هنا ظهرت التسمية (بلاد الرافدين).

ولكن الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ / 696-697/ يقول: ((أن حاران هي مركز (أرام النهرين) الواقعة على نهر (الثرات) شرقي الجرود (يردن) شرق بلاد زهران في شبه جزيرة العرب، وليس في شمال

سورية.. وأن أرض الحثيين والكنعانيين هي في بلاد غامد وزهران، وأن فلسطين هي بلدة (فلس ته) وقراها، والفلسطيني ون هم سكان تلك البلدة، وليس في فلسطين الحالية)).

2- كركميش:

تتألف الكلمة من (كرك) ومعناها الحصن و(كاميش) وهو اسم أحد العرب المقدسين في سومر وتصبح الكلمة معناها (حصن كاميش) ومن المعروف أن كركميش هي قرية حثية، يحيط بها الأراميون من كل جانب. ولكن بعض المؤرخين قالوا أن موقع كركميش هو مكان مدينة (جرابلس) الحالية في شمال سورية. بينما تقع كركميش على نهر (الثرات) شرق زهران، وبينها وبين أراضي الكنعانيين في بلاد غامد تقف (جبال لبنان) التي ينبع منها نهر (رنية) وروافد نهر الثرات.

3- الأردن ولبنان:

أشارت التوراة إلى موقع جبل (لبنان) هذا في أكثر من موضع. ففي سفر التثنية إصحاح (3: 25) تقول التوراة ((وقف يشوع بجماعته عند بوابة أريحا في الجرود الجبلية.... ونظر ودعا ربه قائلاً: دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان)). فلبنان هنا هو أحد الجرود التي عليه أن يعبرها مع جماعته إلى أرض كنعان.

إذن يعتبر النص أن جبل (لبنان) يقع مقابل أريحا. فكيف يصح هذا مع لبنان وفلسطين شرق المتوسط؟!

ولكن الحقيقة هي أن ((الأردن)) التي تعنيها التوراة هي الجرود في سفوح جبال السراة والمؤلفة من الجبل (الجيد) وجبل (لبنان) وهناك تم العبور إلى أرض كنعان وليس في أي مكان آخر.

4 - قادش:

ورد هذا الاسم في التوراة باسم (قادش برنيع) وتعني بلاد الشمس المشرقة ، وتعني (مقام رنيا) وهو الإله الشمس ورب المرتفعات في بلاد زهران، وباسمه تسمى وادي رنيا المنحدر من الجبال نحو الشرق ليتحد بنهر الثرات الذي ينبع هو أيضاً من هذه الجبال.

وقد أخطأ المؤرخون حينما اعتمدوا جغرافية التوراة، فجعلوا بلدة (قادش) دفعة واحدة، لتصبح على نهر العاصي في أواسط سورية.

ويقترن اسم قادش وأرواد خلال حملات فرعون مصر (تحوتمس الثالث) (1490-1436) ق.م حيث تذكر المصادر التاريخية أن تحوتمس احتل قادش بعد أن تغلب على ملكها، ثم استولى على أرواد. وسجل في بيانه الحربي الذي أعلن فيه سقوط (أرواد) بيده فيقول: ((أن جلالته قهر مدينة أرواد وما فيها من قمح، وقطع جميع أشجارها الجميلة. انظر! لقد كان فيها محاصيل كل بلاد زاهي

لقد كانت جنائنها ملأى بثمارها وخمورهم، كانت معاصرهم كالمياه الجارية،وحبوبهم على الجلول كانت أكثر من رمال الساحل)).

الدكتور أحمد داوود، في تاريخه صـ 712

نقلاً عن المؤرخ بريستد **Breasted**

ولكن الدكتور أحمد داوود يعلق على هذا فيقول: ((جزيرة أرواد السورية لا يمكن أن تكون مدينة تغص بالأشجار والبساتين والثمار والحبوب. وهي أرض صخرية منذ أن وُجدت لا تصلح لشيء إلا للملاحة وصيد البحر)).

ولكن الحقيقة أن لفظ (أرواد) باليونانية هو (**Arados**) أي أنها (أراد) أو (عراد) على نهر عرادة في بلاد زهران.

5- دمشق:

ورد اسم (دمشق) في مدونات التوراة بصيغة (ماشك) و(ذمشك) وفي رسائل العمارنة وردت بصيغة (دومشكا) أو (دي مشكا)، وكلها صيغ مختلفة لقرية (ذومسك) الأرامية، شرقي زهران، مجاورة لقرى الكنعانيين والمصريين والفلسطينيين في بقعة واحدة لا تتجاوز مساحتها بضعة كيلو مترات مربعة.

وهذا يدل أن الخلط بينها وبين مدينة (دمشق) العمورية السورية إنما حصل في تبديل الأسماء في جغرافية التوراة.

وتعدد التوراة مجموعة من القرى تجعلها تابعة لـ (دمشق) منها : (أماتي، أرفاد، باطح، حلبا، أفيق). ولكن واضعي جغرافيا التوراة استبدلوا الأسماء الكبيرة الشهيرة بالأسماء الصغيرة المجهولة. فجعلوا مدينة (حلب) بدلاً من قرية (حلبا)، وجعلوا مدينة (حماه) بدلاً من القرية المجهولة (أماتي).

ويذكر الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم صـ 715) تعليقاً على ذلك التناقض فيقول:

((إن (دمشق) هذه تقع على أنهار (كوش) ولم يذكر أحد من المؤرخين حتى الآن، أن الكوشيين كان لهم أي ذكر في سور يةالعمورية المتوسطية. وأن هذه الأنهار تخترق (دمشق) إلى جبل صهيون، وهذا القول ينطبق على قرية (دومسك) الأرامية، جنوب شرقي الظفيرة الحالية.. فكل ذلك لا يذكرنا بمدينة دمشق (السورية) من قريب أو بعيد)).

الفصل السادس

موسى وجماعته

1- شخصية موسى.

2- من هم قوم موسى: تفسير التسميات التالية:

- عبرانيون.
- بنو إسرائيل (إسرائيليون).
- يهود.

3- قصة الخروج من مصر.

4- قوم موسى بعد موته (يشوع بن نون).

أولاً: شخصية موسى:

يلف الغموض شخصية موسى، والجدل ما زال دائراً حول نسب موسى وأصله. وعلى الرغم من أن (البرديات) المصرية لم تأتِ على ذكر موسى ونشأته المصرية. غير أن المؤرخين والباحثين اعتمدوا ما روته التوراة عن حياة موسى. فوجدوا في سفر الخروج تفصيلاً مطولاً عن موسى في طفولته ونشأته حتى موته.

لكن تلك المرويات ليست سوى مجموعة من الأساطير التي دونها كهنة التوراة أيام السبي البابلي وفيما بعد ذلك. وأن الخيال التوراتي لم يكتفِ بأن نسب موسى إلى سلالة إبراهيم الكهنوتية النبيلة بل جعله ربيباً لفرعون مصر وابناً لابنته بالتبني. كل ذلك ليس إلا محاولة لابتكار أصلٍ ملكي نبيل لموسى.

وأن قصة إلقائه في الماء صغيراً وانتشاله من قبل ابنة فرعون، ونشأته في البلاط الملكي، ليست إلا تكراراً لقصة طفولة (الملك سرجون الأكادي)، مع اختلاف في الأسماء والمكان. ويُعتقد أن كتبة التوراة قد اقتبسوها أثناء السبي البابلي.

وإذا عدنا إلى التوراة نجد في سفر الخروج المعلومات المدونة عن حياة موسى على النحو التالي: ((ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يولد تطرحونه في النهر))

خروج (إصحاح 1: 22).

وتمضي التوراة في سرد الأسطورة فتقول: ((حبلت امرأة من بيت لاوي ... وولدت ابناً ورأت أنه حسنٌ، خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها تخبئته بعد أخذت له سفطاً من البَرْدي وطلته بالحُمّر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر)). خروج (2 : 1- 4).

بعد ذلك تقول التوراة: ((فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على حافة النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته. ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكي .. فرّقت له ... وأحضرت له مرضعة... ولما كبر الولد جاءت به المرضعة إلى ابنة فرعون. فصار لها ابناً ودعت اسمه موسى)) خروج (2 :5- 10).

ثم تمضي التوراة في الكلام عن موسى، تاركة أيام طفولته وفتوته فتقول: ((لما كبر موسى، أنه خرج إلى أخوته لينظر في أثقالهم. فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوانه... فقتل موسى المصري وطمره في الرمل)). خروج (2 : 11 و 12)

وتقول التوراة: ((فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يُقتل موسى. فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض (مديان). وجلس عند البئر)) خروج (2 : 15).

يتضح من هذه الأسطورة، التي نسجتها التوراة حول موسى، أنها كانت ترمي إلى سوق الحوادث نحو الوصول إلى هدف معيّن، كانت التوراة ترمي إلى

تحقيقه. وكأن كتبة التوراة كانوا يهيئون موسى ليكون بطلاً لتلك الأسطورة.

ومن هنا يقتضي الأمر مناقشة تلك المرويات وإبداء الملاحظات التالية عليها:

أ - إن التوراة المتداولة الآن هي التوراة البابلية، والتي كتبها كهنة اليهود إبان السبي البابلي، في القرن السادس قبل الميلاد، أي بعد موسى بستة قرون، وهناك في بابل أخذوا قصة الملك سرجون الأكادي وجعلوها وكأنها حصلت لموسى.

ب- إن موسى لم يكن في مصر مطلقاً بل وُلد وتربى وعاش في شبه جزيرة العرب، وفي بلدة (مصر) في منطقة زهران، ثم انتقل إلى (مديان) وكان يرعى الغنم للكاهن (يثرون).

جـ - إذا كان موسى، قد تربى في بلاط فرعون مصر وادي النيل، وأصبح إبناً بالتبني لابنة فرعون، ثم يصبح قائداً في الجيش المصري، كما تقول التوراة، فكيف يهرب من وجه فرعون لأنه قتل رجلاً من عامة الشعب؟ .

د - كيف نقلت التوراة العبرانيين العرب من شبه جزيرة العرب إلى مصر وادي النيل لتجعل منهم أرقاء مضطهدين؟! مع أن العبرانيين هم مجموعة من القبائل العربية كان تواجدها في شبه جزيرة العرب وبوادي الشام. كما أنه لا يوجد أي دليل تاريخي على وجودهم في مصر وادي النيل.

هـ - كيف عرف موسى أن أولئك الأرقّاء هم أخوته؟!. وهو حسب الأسطورة التوراتية نشأ مصرياً في البلاط الملكي. هل كلمه الرب بذلك؟! التوراة لا تذكر أن وحياً نزل عليه.

كل هذه المتناقضات، أخذها المؤرخون الغربيون عن التوراة، دون مناقشة، ودون أن تثير لديهم أدنى شك بصحتها. فمن المؤرخين الذين كتبوا عن موسى، المؤرخ اليهودي (يوسفوس) الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد، في كتابه ((تاريخ اليهود القديم)) فيقول: ((إن موسى كان قائداً كبيراً بالجيش المصري)).

ومن العلماء المحدثين الذين بحثوا في حياة موسى، العالم النفساني المشهور (سيغموند فرويد) في كتابه (موسى والتوحيد) حيث جعله مصرياً مؤمناً بديانة إخناتون فرعون مصر، ويقول ((أراد كتبة التوراة أن يجعلوا منه يهودياً لأغراضهم)).

ويشارك (فرويد) في رأيه عن موسى، المؤرخ (وِلْ ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) الجزء الثاني صـ326، فيقول: ((إن موسى اسمٌ مصري وليس يهودياً، ولعله اختصار لكلمة أحموسى)).

لقد وقع هؤلاء وغيرهم من المؤرخين، في خطأ الاعتماد على مدونات التوراة، وهم وإن قالوا أن موسى ليس يهودياً، لكنهم أكدوا على اعتباره مصرياً.

وقد أخطأوا أيضاً بقولهم أن موسى كان يحمل معه ديانة (أخناتون) فرعون مصر (الذي حكم بين 1379-1362 ق.م). لأن موسى لم يكن بحاجة إلى الديانة الأخناتونية. لأنه حصل على منبع الديانة الإيلية أثناء وجوده في مديان. تلك الديانة التي نادى بها إبراهيم الخليل والتي انتشرت بين القبائل العربية.

ثانياً: قوم موسى أو جماعة موسى:

في القسم الأول تناولنا شخصية موسى وآراء بعض المؤرخين حول حياة موسى، كذلك مناقشة التناقضات الحاصلة بسبب الاعتماد على مدونات التوراة. وسنتناول في هذا القسم، موضوع (قوم موسى) للوصول من خلال المصادر التاريخية إلى معرفة، من هم قوم موسى؟.

لذلك لا بد من تفسير بعض التسميات التي اعتقد المؤرخون أنها أسماء لمسمى واحد، ولها علاقة بقوم موسى:

أ - قوم موسى:

هم الذين ورد الكلام عنهم في سفر الخروج، حيث تروي التوراة عنهم أنهم الجماعة التي قادها موسى في رحلة الخروج. وتروي بعض المصادر أن هؤلاء ظهروا على مسرح الأحداث في غرب شبه جزيرة العرب، حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كمجموعة من العشائر البدوية الصغيرة والفقيرة، كانت تتجول بحثاً عن عمل. ويعتقد بعض المؤرخين أن هؤلاء كانوا من العرب (الميديانيين) الذين

مسكنهم شرقي بلاد زهران شمال العقيق. وأكثرهم يعملون كرعاة عند أغنياء البدو أصحاب المواشي الكثيرة أو كعمال زراعيين عند المضريين سكان منطقةزهران أو (المصريين) سكان قرية (مصر).

ويُعتقد أن عدداً منهم انضم إلى مجموعات السطو على المناطق الزراعية وعلى طرق القوافل التجارية. ومن هنا كانت ملاحقة (المصريين) أو المضريين سكان زهران لهؤلاء الذين وصفتهم التوراة بالأرقاء. وقد أرسل الرب موسى لإخراجهم من بلاد (المصريين) وإسكانهم في أرض تفيض لبناً وعسلاً.

ب- عبرانيون:

العبرانيون هم القبائل العربية الآرامية التي كانت تقيم في شمال شبه الجزيرة العربية وبوادي الشام والعراق، حوالي الألف الثانية قبل الميلاد ، أو قبل ذلك بكثير ، قبل أن يكون لموسى أو لجماعته أو لليهود أي وجود.

وأن ما ورد في التوراة من نعت إبراهيم الخليل (بالعبراني) إنما أُريد به تأييد أهداف كهنة اليهود من ذلك، وهو الانتساب إلى العبرانيين العرب، ومن ثم إلى إبراهيم بعد جعل نسبه (عبرانياً) . مع العلم أن عصر إبراهيم إنما هو عصر آرامي عربي قائم بذاته، وليس له أية صلة بعصر موسى وقومه الذي يأتي بعد عصر إبراهيم بستة قرون.

وفي هذا الصدد يقول البروفسور (درايفر) أستاذ اللغة العبرية في جامعة أوكسفورد ما نصه: ((إن التوراة حينما تحدثت عن لغة جماعة موسى، لم تقل لغة العبرانيين بل دعتها ((شفة كنعان)) أي لسان كنعان، ثم أطلقوا عليها (يهوديت) أي اللغة اليهودية، بعد أن اقتبسوها وأخذوا يتكلمون بها،ثم (لسون حقوديس) أي اللسان المقدس)).

ثم يضيف قوله: ((وفي وقت لاحق وجد الحاخامون اليهود، أن أفضل طريقة لربط تاريخهم بأقدم العصور، واعتبار عصر اليهود متصلاً بأقدم الأزمنة وذلك باستعمال مصطلح (عبري) أو (عبيرو)، للدلالة على اليهود بوجه عام)).

جـ -إسرائيليون أو بنو إسرائيل:

إسرائيل هو لقب يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وبنوا إسرائيل هم أولاد وأحفاد يعقوب، الذي لقبته التوراة بـ (إسرائيل) ومعناه الذي اصطفاه الإله (إيل). وعلى الرغم من أن إبراهيم وأولاده وأحفاده ينتمون إلى القبائل العربية الآرامية، غير أن كهنة التوراة جعلوا اليهود ينتمون إلى يعقوب (إسرائيل) واعتبروا أن تاريخ بني إسرائيل أو اليهود يبدأ بانفصال هؤلاء عن العشائر الإبراهيمية الآرامية، ثم أطلقوا على أنفسهم (شعب الله المختار).

ولذلك فإن أكثر الكتّاب المتأثرين بالتوراة، قد درجوا على ربط تاريخ اليهود بإبراهيم الخليل، ويذكر أولئك نصوصاً فيما كتبوا تدعوا للعجب فمثلاً

نجد أن أحد النصوص يقول: ((إن الشعب اليهودي نـزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد، بقيادة إبراهيم الخليل، ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة آلاف شخص)).

إن مثل هذا الخلط والتزييف يُدرّس الآن في مدارس اليهود في الولايات المتحدة الأميركية وغيرها. ومن المؤسف حقاً، أن أولئك المؤرخين لم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال؟!: كيف يمكن أن يخرج إبراهيم مع اليهود وهو لم يكن موجوداً في الألف الرابعة قبل الميلاد، وهو الذي عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد؟! ثم كيف يمكن أن يكون إبراهيم يهودياً، وهو الآرامي العربي، وأنه عاش ورحل من العراق قبل أن يكون لموسى أو لليهود أي وجود. وقبل أن يولد يهوذا بقرون عديدة؟!...

د- يهود:

أُطلق اسم (يهود) على بقايا الجماعة التي سباها الملك الكلداني (نبوخذ نصّر) إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد. وهذه التسمية مشتقة من اسم يهوذا أحد أسباط اليهود كما تقول التوراة.

كان هؤلاء يتكلمون اللغة الآرامية بعد أن أطلقوا عليها اسم (العبرية) وما يزال اليهود الآن يتكلمون تلك اللغة مع بعض التعديل. وكتب أحبارهم التوراة البابلية باللغة الآرامية أيضاً.

وجعلت التوراة من اليهود الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله جميع الحوادث المدونة في توراة بابل، فعدتهم موجودين في كل زمان ومكان حتى في جميع الأدوار التي سبقت ظهور إبراهيم وإسحق ويعقوب إلى عالم الوجود.

واعتبرت التوراة أيضاً أن الوجود اليهودي متصلاً في جميع الأدوار اللاحقة، من عهد القضاة وعهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك من حوادث.

أما الحركة الصهيونية الآن، فتعتبر أن جميع اليهود في العالم مثل : يهود الخزر الذين اعتنقوا الديانة اليهودية في القرون الوسطى، ويهود أوروبا وأميركا ويهود الحبشة والهند وغيرهم من أبناء يعقوب (إسرائيل).

والأغرب من ذلك أن كثيراً من المؤرخين يتقبلون هذا الخلط والتزوير البعيد عن الحقيقة كل البعد((وسيأتي الكلام عن يهود العالم فيما بعد)).

وبعد تفسير التسميات التي اعتبرها المؤرخون مقترنة بقوم موسى، وأنها مسميات لاسم واحد. نعود بعد ذلك إلى الموضوع:

- من هم جماعة موسى أو قوم موسى؟

كما ورد معنا سابقاً، أن هؤلاء، هم الجماعة التي ورد ذكرهم في التوراة أثناء رحلة الخروج من مصر. وقد اعتبرتهم التوراة شعب الله المختار، حيث تذكّر الرب وعده لهم، فأوحى إلى موسى ليخرجهم من أرض العبودية إلى أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً. ولاندري كيف اختار الرب هذه المجموعة، من دون البشر

جميعاً ، ليجعلهم شعبه المختار؟!. ولعل ذلك الاختيار ابتدعه الكهنة على لسان (يهوه).

أما الحقيقة التي غابت عن أذهان جميع المؤرخين، هي أن هذه المجموعة هم أشتات متفرقة من البدو الفقراء التي كانت تنتقل بين بوادي شبه الجزيرة العربية شرقاً وبين جبال السراة وبين المناطق الزراعية الخصبة فيما يسمى الآن الحجاز وتهامة، سعياً وراء إيجاد عمل عند أصحاب المزارع أو عند مالكي قطعان الأغنام والماعز والجمال.

ثم ظهرت من هؤلاء جماعات امتهنت الغزو والسطو على القرى الداخلية في كنعان (منطقة غامد وزهران) تسطو مرة على هذه القرية، وتنهزم ثم تعود لتغزو قرية أخرى مما أحدث بلبلة في تلك المناطق الزراعية الخصبة.

وهكذا تبدأ قصة تلك الجماعة في بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي حوالي عام (1290) ق.م على حسب ما رواه المؤرخون.

ولكن الدكتور أحمد داوود يعطينا رأياً يختلف عما روته التوراة، في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 754 فيقول: ((وبدأت تحاك خيوط العملية بين موسى الهارب من أرض المصريين إلى مديان بسبب حادثة قتل المصري، وبين حميه يثرون المدياني، الذي تمكن من إقناع موسى بضرورة العودة إلى زهران، والعمل على إخراج أولئك العابرين الذين يعملون في (أورا) التي وردت في التوراة باسم (أفاريس)

عند فرعون المصريين في غرب زهران. وقيادة تلك الجماعة لغزو بعض أراضي الكنعانيين هناك)).

وبينما كان موسى يقود جماعته نحو أرض الكنعانيين، كان الأموريون يتغلغلون بين قرى ومدن (غامد وزهران) من الوسط والغرب، وبنو حث يوسعون نفوذهم في الوسط والشمال، وكانت جماعات أرامية أيضاً تضغط من الشرق على القرى والمدن الواقعة على سفوح الجرود الشرقية وتتوغل إلى الداخل في محاولة لتأسيس مراكز لهم على طول نهر الثرات في شرقي غامد وزهران[1].

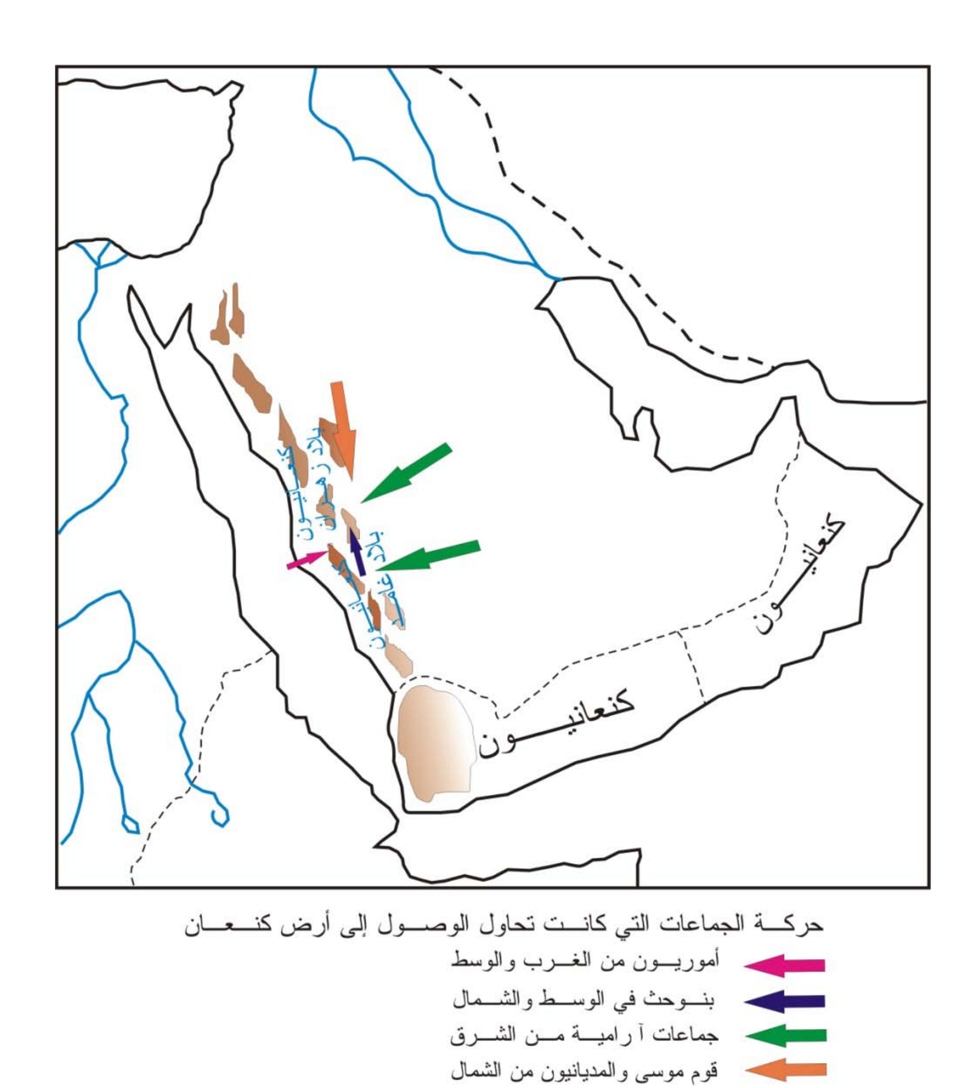
ومع حدوث تلك التحركات، كان يثرون وشيوخ المديانيين المنتشرين شمال شرق زهران، يطمعون في الحصول على حصة من تلك الأراضي الخصبة. وينجح موسى في إخراج تلك الجماعة (قوم موسى) من أراضي (قرية مصر) في غرب زهران، وتبدأ هذه الجماعة بقيادة موسى تغزو المنطقة الزراعية من أرض كنعان في غامد، والتي أطلقت عليها التوراة اسم(أرض كنعان أرض اللبن والعسل).

وفي الوقت ذاته، تصدى الفلستينيون، سكان قرية (فل سته) والقرى التابعة لها، لجماعة موسى لمنعهم من غزو أراضيهم في زهران. هؤلاء أطلقت عليهم التوراة اسم (الفلسطينيين). حيث جاء في سفر الخروج (13: 17 و 18) ما نصه ((وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها

[1] - انظر للخريطة.

قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً يرجعون إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف)).

وبعد موسى وفي زمن يشوع تبقى قرى الفلسطينيين دون أن يقربها أحد ، إلى جانب قرى كثيرة . فالفلسطينيون ليسوا إلا سكان قرية (فلسة) والقرى المجاورة لها



وبعد موت موسى تنتقل قيادة تلك الجماعة إلى (يشوع بن نون)، الذي عبر بهم الجرود ومخاضات السيول إلى أرض (أرخو) التي تذكرهاالتوراة باسم (أريحا) **Jerico**.

ولكن المؤرخين اعتبروا الأرض التي جاء موسى بقومه إليها هي أرض فلسطين المتوسطية. وأن القرى التي غزاها أو دمّرها يشوع، هي في فلسطين الحالية، والتي اعتبرتها التوراة أرض كنعان زوراً.

بعد أن وصلنا مع موسى وقومه ومع يشوع من بعده، إلى هذه النقطة في تجوالهم للوصول إلى أرض كنعان(أرض الميعاد) لا بد من استعراض بعض آراء المؤرخين حول الأصول التي ينتمي إليها اليهود، قبل متابعة التطورات اللاحقة في تاريخ تلك الجماعة.

من المؤرخين مَن جعل اليهود ينتمون إلى الحثيين الذين كانوا في شمال الأناضول، ومن هؤلاء ، الدكتور (جيمس هنري براستد) الذي يقول في كتابه (تاريخ العصور القديمة)

صـ 260 ما نصه: ((وترك الحثيون علامتهم الفارقة، الأنف الأقنى، على وجوه مجاوريهم في العالم الأيجي والهلال الخصيب. ووجود هذه العلامة الفارقة في وجوه اليهود دليل على أن الحثيين هاجروا من بلادهم وقطعوا الطرف الغربي من الهلال الخصيب، فساقتهم الأقدار إلى فلسطين، حيث تركوا هذا الأثر في الوجه اليهودي)).

وقد غاب عن ذهن المؤلف، أن الأنف الأقنى في الوجه اليهودي لم يأتهم من الحثيين بل إن هؤلاء اليهود ذوي الأنف الأقنى إنما هم أوروبيون عرقاً ونسباً

اعتنقوا الديانة اليهودية خلال العصور الوسطى، ولا علاقة لهم بقوم موسى الذين وُجدوا في فترة ما قبل الميلاد.

أما الدكتور فيليب حتّي، يعتبر اليهود بأنهم ينتمون إلى الحوريين، الذين أسسوا مملكتهم في شمال سوريا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ففي كتابه(تاريخ سوريا) الجزء الأول صـ/ 164 و165/ يقول: ((لقد بلغ من سعة انتشار الحوريين في سوريا في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، أن المصريين أخذوا يطلقون اسم (خورو) أي (حوري) على بلاد كنعان ... وتلقي محفوظات (نوزي) ضوءاً جديداً على طرق المعيشة في عهد أسلاف الشعب العبراني (يقصد اليهودي وإن كان هذا يبدو مستغرباً)).

ثم يتابع الدكتور حتّي قوله: ((والحوريون المذكورون في العهد القديم الذين كانوا يُعتبرون حتى فترة حديثة من القبائل الضئيلة الأهمية لم يكونوا سوى هؤلاء الحوريين)).

تعليقاً على هذه الأقوال نقرأ في (تاريخ سوريا القديم) للدكتور أحمد داوود الملاحظات التالية:

1- إن الحوريين الذين ورد اسمهم في التوراة سفر التكوين، ((هم بنو عيسو الذي هو أدوم وهؤلاء أمراؤهم: بنو سعير الحوري، لوطان وشوبان وصبعون وديشون وديشان)) إذن، فالحوريون الموجودون في أرض كنعان، هم أبناء سعير

الحوري، قوم عرب، سكنوا الطرف الغربي من شبه جزيرة العرب، ولا سيما الجبال المطلّة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ولا علاقة لهم بجماعة موسى أو من عُرفوا باسم يهود.

2- حينما يقرر بعض المؤرخين ومنهم الدكتور حتّي أن الحوريين هم أسلاف الشعب العبراني (بمعنى يهودي)، وفي الوقت ذاته يعتبرون الحوريين من العرق، الـ (هندو - أوروبي)، وأنهم قدموا من وراء القفقاس، فإن ذلك يوقع الحركة الصهيونية في مأزق، لأن ذلك ينفي الأصل السامي لليهود، كما ينفي انتماءهم إلى إبراهيم الخليل، فلا يمكن أن يكون اليهود من أصل سامي، ثم من أصل هندو - أوروبي. لأن انتماء اليهود إلى الحوريين، يكذب ادعاء الصهيونية بالانتماء إلى الأصل السامي، الذي تتخذه الصهيونية ذريعة استعمارية كاذبة للوصول إلى الأرض العربية.

3- ولكن الحركة الصهيونية سرعان ما تبرر الملامح الحثية أو الحورية، وذلك للوصول إلى أهداف أخرى، نجدها تبرر الملامح غير السامية، على أنها أتتهم عن طريق إبراهيم الخليل نفسه. وباعتبار أن الحثيين أو الحوريين لم يدخلوا أرض كنعان لا في غرب شبه جزيرة العرب ولا في فلسطين المزعومة. إذن تبقى هذه الملامح قد أتتهم من خلال عشيرة إبراهيم قبل رحيلهم من (حرّان) التي زعموا أنها واقعة في شمال سورية. وقبل رحيلهم إلى أرض كنعان حسب مدونات التوراة.

وإذا كان الحوريون قد غزوا شمال سوريا وأسسوا مملكتهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ثم قُضيَ عليها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كما يروي بعض المؤرخين. فكيف يمكن أن ينتقل تأثيرهم إلى إبراهيم الخليل وعشيرته الآرامية التي لم تكن إقامتها في حران السورية؟ ثم كيف يمكن أن يحصل ذلك التأثير ورحلة إبراهيم الخليل كانت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وزمن إبراهيم سابق على زمن الحوريين بخمسة قرون على الأقل؟!.

ونجد عند أحد الكتّاب اليهود المحدثين تعليلاً لهذا التناقض، هو الكاتب (هنري كوستلر) في كتابه (إمبراطورية الخزر وميراثها) الصادر عام 1976 ما نصه: ((كانت بلاد الخزر أول دولة إقطاعية في اوروبة الشرقية، وكانت على مستوى الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية. فإذا كان الحال كذلك فإن الانتساب إلى العرق الآري التركماني، يغدو مربحاً جداً، في وقت لم يعد فيه التنصل من العرق السامي مضراً ولا خاسراً، بعد أن استنفذ أغراضه باغتصاب فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها بقوة القانون الدولي والأمر الواقع)) يقصد بالأمر الواقع قرارات الأمم المتحدة.

ويتابع كوستلر قوله: ((ولكن هذا الحق لا يستند إلى الأصول المحتملة للشعب اليهودي، ولا إلى الميثاق الأسطوري بين إبراهيم ويهوه. ولكنه يستند إلى

القانون الدولي أي قرارات الأمم المتحدة 1947 القاضية بتقسيم فلسطين. ولا شأن لمسألة الوجود الخزري منذ ألف سنة بإسرائيل الحديثة)).

وعلى أية حال فإن انتماء اليهود إلى الحوريين أو الحثيين، ليس أبعد من انتمائهم إلى قوم إبراهيم العربي. ولن يزيدهم انتماؤهم إلى الدين اليهودي قرباً من إبراهيم العربي، إلا كما يقرّب الإسلام، أبناء الصين والهند وأندونيسيا وغيرهم من الانتساب عرقاً إلى محمد بن عبد الله.

وإلا كما تقرّب المسيحية معتنقيها في العالم، من الانتساب عرقاً إلى السيد المسيح (عليه السلام).

وهكذا نرى أن أسطورة (الشعب المختار) والمقرونة بأسطورة (أرض الميعاد) التي ظلت الصهيونية تتمسك بها، لتحقيق هدف الوصول إلى فلسطين، لم يعد اليهود الآن يأبهون بها كثيراً، بعد أن استنفذت أغراضها الاستعمارية في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، بالاغتصاب وبالدعم الكامل من الدول الاستعمارية، وبموافقة المنظمة الدولية في قرارها تقسيم فلسطين 1947 والاعتراف بقيام دولة إسرائيل عام 1948.

ثالثاً: قصة الخروج من مصر:

إن أسطورة خروج موسى وجماعته من مصر وادي النيل لا تختلف عن أسطورة شخصية موسى التي مرّت سابقاً، من حيث الهدف والقصد الذي دفع كهنة

التوراة أن يدوّنوا تلك الأساطير. وإذا كانت أسطورة موسى تستند إلى ممثل واحد هو (موسى)، غير أن أسطورة الخروج تقوم على عدد من الممثلين:

أ - إله اليهود (يهوه): الذي يخطط عملية الخروج، فهو رب اليهود الذي يتذكر آلام تلك الجماعة من الأرقاء في مصر وادي النيل، فيقرر أن ينفذ وعده (لإبراهيم وإسحق ويعقوب) كما تقول التوراة. فلا يدخر قوة إلا ويعطيها لموسى ليفعل السحر والأعاجيب، لإقناع فرعون مصر بأن يسمح لتلك الجماعة بالخروج من مصر، وكلما رفض فرعون الطلب كلما زادت العقوبات السحرية ضد فرعون وشعبه.

ب - موسى: الذي اختاره يهوه ليقوم بمهمة الخروج بعد أن زوده بقوة عمل السحر والأعاجيب، وبعد أن أعطاه (عصا) الرب السحرية.

جـ - هارون: وتقول التوراة أنه أخو موسى، مهمته مساعدة موسى لدى فرعون ولدى شيوخ إسرائيل، لإقناعهم بأن موسى قد أرسله الرب، ويجب الإيمان به وبرسالته.

د - يشوع بن نون وشيوخ إسرائيل: الذين يؤيدون موسى ويطلبون من الشعب إطاعة موسى في تنفيذ رحلة الخروج.

استرسل كتبة التوراة في شرح قصة خروج موسى وجماعته من مصر وخصصوا لها قسماً كبيراً من سفر الخروج. ولا ريب أنهم عكفوا أيام الأسر

البابلي على تدوين تاريخ اليهود كما يريدون ويرغبون، لا كما كان أو حدث فعلاً.

وقد اجتهدوا في جعل أصلهم يعود إلى أسمى الشخصيات التاريخية من الأجداد (إبراهيم وإسحق ويعقوب).

ولذلك اعتمد المؤرخون في تدوين قصة الخروج، على ما روته التوراة، لأنها المصدر الوحيد في اعتبارهم. ولأنهم نظروا إلى التوراة ككتاب مقدس لا يقبل النقاش. بغض النظر عن كونها كتاباً يروي تاريخ اليهود، وأنها كُتبت أثناء الأسر البابلي أي بعد سبعمائة سنة من قصة الخروج التي حصلت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حسب تقدير المؤرخين لذلك. وهنا جاءت تلك القصة مجانبة للحقيقة ومحوّرة بالشكل الذي يخدم مقاصد أو أهداف الكهنة.

بعد هذا التمهيد للدخول بالموضوع، نعود الآن إلى (سفر الخروج) من التوراة لنرى كيف هيأت الأحداث بعد هروب موسى من مصر بسبب ملاحقة الفرعون له كما مرّ معنا، ليعود موسى إلى مصر بأمر الرب لإخراج بني إسرائيل من مصر، وإنقاذهم من العبودية، (يقودهم إلى أرض الميعاد).

لقد تركنا موسى (أثناء الكلام عن قصة حياته)، في مديان يرعى الغنم عند الكاهن **يثرون**، الذي استقبل موسى لمساعدته لبنات يثرون عند البئر. ومن ثم تزوج من إحدى بنات الكاهن. وتذكر التوراة ذلك في سفر الخروج (2: 19-

22) فتقول: ((قالت بنات يثرون لأبيهن؛ رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وأنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم.فقال لبناته وأين هو؟ لماذا تركتنّ الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صِفّوره ابنته. فولدت له ابناً فدعاه جِرشوم)).

ثم تقول التوراة في سفر الخروج (2: 23- 25) ما نصه: ((وتنهّد بنوإسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى اللّه من أجل العبودية. فسمع اللّه أنينهم. فتذكر اللّه ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب)).

أما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. ولما كان في البرية ظهر له ملاك الرب بلهب نارٍ من وسط علّيقه. وهكذا تبدأ التوراة في سرد أسطورة الخروج بظهور ملاك الرب الذي خاطب موسى كما تقول التوراة:

((ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب... وقال الرب إني قد رأيت مذلّة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم.. فنـزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة. إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. فالآن هلمَّ فأرسلك إلى فرعون وتُخرج شعبي بني إسرائيل من مصر)) .

خروج (3: 6- 10).

انتهت المحاورة بين ملاك الرب وبين موسى بموافقة موسى على الذهاب إلى مصر، بعد أن وعده الرب بالمساعدة اللازمة وبعد أن منحه القدرة على عمل

الخوارق والعجائب لإقناع الشعب بأنه مبعوث الرب لإخراجهم من مصر أولاً ، وثانياً لإقناع فرعون، ليسمح للشعب بمغادرة مصر وفي ذلك تقول التوراة في سفر الخروج (4: 12- 17) ما نصه: ((فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به .. وقال الرب أليس ه ارون اللاوي أخاك. أنا أعلم أنه خارج لاستقبالك. فحينما يراك يفرح بقلبه. فتكلمه وتضع الكلمات في فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات)).

بعد ذلك عاد موسى إلى حميه يثرون وقال له أنا؛ اذهب إلى مصر وارجع إلى أخوتي لأرى هل هم بعد أحياء؟! فقال يثرون لموسى اذهب بسلام.

وتقول التوراة في سفر الخروج (4: 20) ما نصه((فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر. وأخذ موسى عصا اللّه في يده)).

كيف يمكن لموسى وأسرته أن يسافروا إلى مصر وادي النيل عبر صحراء سيناء، على ظهور الحمير؟ وكم من الوقت يحتاج لقطع تلك المسافة؟ وهذا يدل على أن مصر هذه هي قرية (مصر) في غرب زهران، غرب الجزيرة العربية.

لنترك موسى مسافراًمع أسرته إلى مصر كما تروي التوراة ولنستعرض بعض الملاحظات على ما سبق:

1- وُلد موسى ونشأ في شبه جزيرة العرب، في منطقة بلدة (مصر) من بلاد زهران. ولم تكن له أية صلة بمصر وادي النيل، ثم انتقل وعاش في بلاد مديان يرعى الغنم للكاهن يثرون. وهذا يدل على أن موسى لم يكن من أصحاب المواشي، بل كان يؤجر عمله عند أصحاب قطعان الماشية. وهناك في مديان تزوج من ابنة الكاهن يثرون.

2- لو أن موسى تربّى في بلاط فرعون مصر كابن بالتبني لابنة فرعون، كما تقول التوراة. فكيف يمكن أن لا يعرف لغة أهل مصر. فلما طلب ملاك الرب منه أن يذهب إلى مصر لإخراج بني إسرائيل، كان جواب موسى: ((اسمع أيها السيد. لست أنا صاحب كلام. بل أنا ثقيل الفم واللسان)). خروج (4 : 10).

3- تقول التوراة أن الرب أرسل موسى إلى مصر لإخراج أخوته العبرانيين (أي بني إسرائيل)). بينما تدل المصادر أن كلمة عبري أو عبراني كانت تطلق على مجموعة من القبائل العربية في شمال شبه جزيرة العرب وفي بوادي الشام والفرات حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد في وقت لم يكن لليهود أي وجود ولما وُجد قوم موسى كانوا يقولون عن العبرية، أنا شفة كنعان أي لسان كنعان. ويتضح من ذلك أن العبرانيين لا علاقة لهم ببني إسرائيل. بدليل ما ورد في التوراة سفر الخروج (21 : 1- 2) ما ينص على: ((وهذه هي الأحكام التي تضع أمامهم، إذا اشتريتَ

عبداً عبرانياً فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً. إن دخل وحده فوحده يخرج)).

يضاف إلى ذلك، عدم وجود أية مدونات مصرية تشير إلى وجود هؤلاء العبرانيين في أرض مصر وادي النيل.

4- عمد مدونو التوراة إلى الأساطير فيما يتعلق بموسى وبعودته إلى مصر لتنفيذ أوامر الرب وإخراج الشعب من مصر. تقول التوراة: ((وقال الرب لموسى عندما تذهب إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك، واصنعها قدام فرعون)). خروج (4: 21).

التقى موسى بهارون، ومضيا معاً، وجمعا شيوخ بني إسرائيل[1]. كما تروي التوراة: ((فتكلم هارون بجميع الكلام الذي كلّم الرب موسى به، وصنع الآيات أمام عيون الشعب. فآمن الشعب)).

خروج (4: 30 و31).

بعد ذلك مضى موسى وهارون، وقالا لفرعون أن يُطلق الشعب كما يقول الرب إله إسرائيل. فرفض فرعون الطلب قائلاً ((من هو الرب حتى أستمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلق)).

---

[1]- اعتبرت التوراة أن جماعة موسى، هم مجموعة من الأرقاء تحت سلطة فرعون مصر وأن (يهوه) سمع صراخهم فتذكر وعده (لشعبه) فكيف يمكن أن يكون لهؤلاء الأرقاء (شيوخ) أو زعماء؟! في حين أن الرقيق كان يعامل معاملة قاسية ظالمة كفرد أو كجماعة.

خروج (5 : 1و2).

لكن موسى قام بأمر الرب، بتحويل العصا إلى ثعبان، وتحويل مياه النهر إلى دم، فمات السمك ولم يقدر المصريون أن يشربوا من ماء النهر. ثم ضرب تخوم مصر بالضفادع التي تخرج من النهر وتهاجم بيوت فرعون وبيت الشعب. ومع ذلك رفض فرعون طلب موسى بإطلاق سراح الشعب.

ويتابع موسى عمل السحر والعجائب، فيضرب تراب الأرض فيصير بعوضاً يملأ أرض مصر. ثم يرسل الذباب ليملأ بيوت المصريين. وبأمر الرب نفقت جميع مواشي المصريين. وأخذ موسى ملء يديه رماداً وذراه أمام عيني فرعون فصار دمامل وبثور طالعة في الناس وفي البهائم. فأمر الرب موسى أن يمد يده نحو السماء، فكان (بَرَد) في كل أرض مصر. كذلك أمر الرب بإرسال الجراد فغطى وجه الأرض وأكل كل شيء من النبات والأشجار على وجه الأرض.

مع كل هذه العجائب التي فعلها موسى أمام فرعون ((لكن شدّد الرب قلب فرعون فلم يُطلق بني إسرائيل من أرضه)) خروج (10 : 18).

لكن الرب كان يكثر من عجائبه في أرض مصر، وتقول التوراة: ((فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكْرٍ في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيّه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة. فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين، وكان صراخ عظيم في مصر. لأنه لم

يكن بيت ليس فيه ميت. فدعا موسى وه ارون ليلاً وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً)). خروج (12: 29- 31).

وهكذا تبدأ رحلة الخروج كما دوّنها كهنة التوراة في سفر الخروج. ومما لا شك فيه، أن تلك الرحلة إنما كانت رحلة أسطورية، خيالية لا تستند إلى واقع تاريخي، ابتدعها كتبة التوراة في القرن السادس قبل الميلاد أثناء الأسر البابلي وبعد عدة قرون من التاريخ الذي وضعه المؤرخون لتلك الرحلة. ولذلك جاءت بالشكل الذي يخدم مقاصد وأهداف اليهود.

وقد حددت التوراة عدد الذين خرجوا مع موسى بستمائة ألف رجل ما عدا الأولاد. وفي هذا من المبالغة المقصودة، لأن بعض الباحثين قالوا إن العدد كان ((ستة أو سبعة آلاف)).

وتقول التوراة أن بني إسرائيل مكثوا في مصر ((أربعمائة وثلاثون سنة)) وهذا القول أيضاً إنما هو محض اختلاق، لأنه لم يعثر في المدونات المصرية ما يؤيد هذا القول.

ومن ناحية أخرى كيف سكت إله اليهود (يهوه) عن بقاء شعبه رهن العبودية والاضطهاد مدة أربعة قرون أو أكثر؟! لماذا لم يتذكر شعبه قبل ذلك؟!.

ألا يدل ذلك على أن (يهوه) هو أيضاً من اختراع كتبة التوراة؟!.

ولنتابع ما دوّنته التوراة عن رحلة الخروج التي تصف الطريق التي سلكها موسى وجماعته والحوادث الأسطورية التي اعترضت طريقهم فتقول: ((وكان لما أطلق فرعون الشعب، فارتحلوا من مدينة رعمسيس إلى سكوت ... لأن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعون إلى مصر.. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف)). خروج (13: 17و18).

وتقول التوراة أن الشعب تابع الرحلة ((من سكوت إلى إيتام في طرف البرية واجتازوا منطقة البحيرات عند فم الحيروت، حيث سعى فرعون بج يش كبير وراءهم)).

تروي التوراة أن جماعة موسى قد فزعوا جداً وصرخوا إلى الرب. ولكن موسى قال لهم لا تخافوا لأن الرب سوف يخلّصكم من فرعون، انظروا ماذا سيحدث: ((مدّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء... فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حالته الدائمة. فدفع الرب المصريين في وسط البحر ورجع الماء وغطّى مركبات وفرسان وجميع جيش فرعون ... ولم يبقَ منهم ولا واحد)) خروج (14 : 21 إلى 28).

ولا تختلف هذه الأسطورة عن كل الأساطير التي ذكرتها التوراة جاعلة إله اليهود (يهوه) يفعل كل تلك الأعاجيب التي لا يمكن أن يصدقها العقل! وأية عصا هذه التي يمدها موسى لتشق البحر قسمين، وتجعل أرضه يابسة، ليعبر قوم موسى بسلام. ثم تعيد البحر إلى وضعه السابق ليغرق فرعون وجيشه!..

أليس من حق العالم أن يتساءل كيف يمكن أن يوجد إله حقيقي يفعل كل تلك الجرائم؟ وأليس من حق العالم الآن أن يعرف الحقيقة، ويرفض كل تلك الأساطير الكاذبة التي اختلقها كهنة التوراة؟! وهل يجعل هذا الاختلاق من التوراة كتاباً مقدساً، كما يعتقد الكثيرون؟!

وتمضي التوراة في الكلام عن خط سير الرحلة المزعومة فتقول؛ أن جماعة موسى وصلوا إلى برية (شور) ثم إلى (ماره) ثم إلى (إيليم) حيث توجد عيون وأشجار نخيل فنزلوا هناك. ثم رحلوا بعد ذلك إلى (رفديم) وفيها دارت معركة بينهم وبين العمالقة سكان البلاد. ثم رحلوا إلى برية (سين) ونزلوا مقابل جبل سيناء، وتسميه التوراة بـ (جبل موسى) وفيه نزلت الشريعة على موسى ومنها الوصايا العشر، كما تقول التوراة. وفي برية (سين) التقى موسى بحميه الكاهن يثرون.

وتقول التوراة أن الموسويين مكثوا في برية سين حوالي السنة. ثم رحلوا بأمر الرب إلى (قادش برنيع) مروراً ببلدة (حصيروت) على الضفة الغربية لخليج العقبة. ثم رحلوا إلى (عصيون جابر) آخر نقطة على ساحل خليج العقبة.

وحسبما تروي التوراة أن الموسويين رحلوا من عصيون جابر إلى (جبل هور) وهناك تصدى لهم العمالقة والكنعانيون وكسروهم، وتعزو التوراة ذلك إلى غضب الرب فتقول : ((فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب)).

غضب الرب على إسرائيل لأنهم طلبوا من ه   ارون أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم. فصنع لهم هرون (عجلاً) من ذهب وتقول التوراة أن الرب كلم موسى قائلاً: ((قد فسد شعبك الذي أصعدتُه من أرض مصر. زاغوا عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له)). خروج (32: 7 و8).

وهكذا جعلت التوراة خط سير الرحلة، يدور جنوب سيناء، مروراً بالساحل الشرقي لخليج السويس، ثم الدوران شمالاً حول سيناء بمحاذاة الساحل الغربي لخليج العقبة حتى وصل موسى وجماعته إلى جنوب برية الأردن.

وتروي التوراة أن ه   ارون مات في (جبل هور) السنة الأربعون لخروجهم من مصر. أما موسى فقد استمر في قيادة الجماعة، بعد أن تغلب على بعض الممالك

حسب رواية التوراة، إلى أن دخل في برية شرق الأردن مقابل مدينة (أريحا) في الجهة الغربية من نهر الأردن.

ويستفاد من مدونات التوراة أن موسى لاقى حتفه في ظروف غامضة، وقبل أن يدخل إلى أرض كنعان وفي ذلك يقول الباحث الألماني (سيللين) ما يلي: ((هناك دلائل، على أن موسى مات مقتولاً، اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم)).

ومن أغرب ما ابتدعته التوراة حول موت موسى، هو أن الرب اتهمه بخيانته فأمر بقتله، كما أمر بقتل أخيه ه ارون من قبله. وفي ذلك تروي التوراة ((كلّم الرب موسى قائلاً، متْ في الجبل كما مات أخوك ه ارون في جبل هور.... لأنكما خنتماني. عند ماء قادش في برية صين، إذ لم تقدساني... فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل... يشوع بن نون هو يدخل إلى هناك .. ولا تعبر هذا الأردن وأما يشوع فهو يعبر)). تثنية (32: 48 - 52).

ومن الباحثين من يرى أن يشوع هو الذي اغتال موسى بأمر الكهنة حيث أخذه إلى الجبل، ثم عاد بدونه ليعلن أن أمر الرب بموت موسى قد تمّ تنفيذه.

كيف يأمر الرب بموت موسى وهو الذي اصطفاه من دون البشر، ليقوم بمهمة أرادها (يهوه) لإنقاذ شعبه من العبودية والاضطهاد؟! ثم كيف يكون موسى خائناً بنظر الرب وهو الذي أوحى إليه بشريعته كما تقول التوراة؟!.

فإذا كان موسى قد خان الرب، فكيف تُنسب هذه التوراة الموجودة الآن إلى موسى، وكيف تُسبغ عليها صفة القداسة؟!.

تقول الأديبة والكاتبة أبكار السقّاف في كتابها ((إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة)). ما نصه: ((إن هذه التوراة التي بين أيدينا، هي مصدر العقيدة للدين اليهودي، تعتبر موسى خائناً، غضب عليه الرب وأمر بموته جزاء خيانته، فكيف بعد ذلك، أن يُنسب هذا الدين اليهودي الحالي إلى موسى))؟!.

وتعليقاً على ما مرّ معنا، لا بدّ من ذكر بعض الملاحظات إيضاحاً للتناقض الحاصل حول قصة الخروج كما دونها كتبة التوراة:

1- إن من يخرج من مصر وادي النيل إلى فلسطين الحالية، لا يتوجه نحو الجنوب بل يسلك طريق الشمال وهي أقرب الطرق بين فلسطين ومصر وادي النيل.

2- تقول التوراة، إن الرب غضب على الشعب (لأنهم عبدوا عجلاً مسبوكاً من الذهب) فأتاههم في البرية أربعين سنة). فكيف يحصل ذلك وموسى قائد الجماعة يعرف البرية تمام المعرفة، لأنه كان يرعى الغنم في بلاد مديان، قبل أن يغادر إلى مصر؟!.

3- يعتقد بعض المؤرخين ومنهم (فرويد) أن موسى خرج من مصر بعد أن تربى في بلاط الفرعون وهو يدين بديانة (أخناتون) فرعون مصر. بينما تؤكد المصادر العربية أن موسى كان يدعو إلى دين إبراهيم الخليل كما يذكر الطبري ذلك.

وتقول التوراة أيضاً أن موسى تلقى الشريعة ومن بينها الوصايا العشر، في جبل سيناء. وهذا دليل على أن ما بشر به موسى من المبادئ الدينية، ليس إلا ما كان معروفاً عن عقائد دينية، عند العرب قبل موسى.

4- ويقول الدكتور أحمد داوود في كتابه: (تاريخ سوريا القديم صـ 249) ما نصه: ((وانكببت مرة أخرى، قد تكون الخامسة على هذا الكتاب (ويقصد التوراة) ووضعت على ورقة بيضاء الخطوط الجغرافية العامة للمنطقة، ثم بدأت أتابع تحركات جماعة موسى من مصر، وأحرّك القلم معها أنى تتجه، وأضع الأسماء على الخارطة التي أمامي، وكانت المفاجأة، أن أحداً من موسى أو جماعته لم يقترب من فلسطين بل تبيّن أن جميع الأحداث المدونة في التوراة إنما كان مسرحها منطقة جد ضيقة ومحدودة من بلاد (غامد وزهران) في غرب شبه جزيرة العرب)).

ويتساءل الدكتور أحمد؛ فكيف إذن تمت عملية التغيير في الجغرافيا والتاريخ؟!. وجواباً على ذلك يقول في المصدر السابق ما يلي:

((في العهد السلوقي (اليوناني) بدأ كهنة التوراة تواجدهم الفعلي في سورية الجنوبية، ووجدوا الفرصة ملائمة لترسيخ أقدامهم في المنطقة الجديدة، فقام اثنان وسبعون كاهناً يهودياً بترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية (الترجمة السبعونية) وأحدثوا في مسمياتها الجغرافية تزويراً كبيراً بحيث حدثت عملية الخلط الكبرى)).

ثم يتابع كلامه فيقول: ((فصارت معارك اليهود بين (وادي مصرايم ووادي الثرات)، التي تتجاوز في أقصى عرض لها عشرة كيلو مترات. ونتيجة لعملية التحريف صارت تلك المساحة، تشغل المنطقة الممتدة من نهر الفرات في أعالي سوريا إلى وادي النيل في مصر)).

5- إن خروج موسى وجماعته لم يكن من مصر وادي النيل، بل من مصر المدينة الواقعة في جنوب بلاد زهران. وفي ذلك يقول الطبري في حديثه عن موسى فيقول: ((وخرج إلى مدين خائفاً وله إحدى وأربعون سنة وكان يدعو إلى دين إبراهيم. وكان فرعون (مصر) في أيامه، **قابوس بن مصعب بن معاوية))** تاريخ الطبري جـ1 صـ386.

وفي ما رواه الطبري عن موسى دليل واضح على أن رحلة الخروج كانت من (مصر) زهران، وليس من مصر وادي النيل حيث كان الملك رعمسيس الثاني هو فرعون مصر وليس (قابوس بن مصعب بن معاوية) فرعون مصرزهران.

6- ولعل الحملة التي قام بها رعمسيس الثاني (1301 - 1234 ق.م) آخر ملوك السلالة التاسعة عشرة، إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وتوغله شرقاً في أرض زهران، قد شجعت موسى على الخروج بجماعته من (مصر زهران) إلى أرض كنعان في غامد، لعله تحت مظلة هذه الأحداث، يتمكن من الحصول على قسم من أرض كنعان الخصبة بمعونة ملوك المصريين في غرب زهران وتشجيع حميه يثرون كاهن مديان.

7- ويقدم الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم ص 813) تفصيلاً لخروج موسى وجماعته من مصر، يخالف فيه كلية كل ما ورد في التوراة حول رحلة الخروج، فيقول: ((أما خروج موسى بقومه إلى أرض كنعان، فكان على النحو التالي: كان موسى في البدء مقيماً في بلاد المصريين (مصرايم) في شمال غرب زهران، إلى أن تورط في حادثة قتل المصري **(من سكان قرية مصرايم)**، فهرب شرقاً إلى مضارب المديانيين حول جبل حوريب (أي جبل الرب).

وبعد أن ظهر له الرب في وادي (وطوى) الذي يرفد وادي (كارا) شمال شرق العقيق، عاد إلى أرض المصريين ليخرج عشائر الإسرائيليين علّه يستولي بهم على بعض أجزاء من أرض كنعان (التي تفيض لبناً وعسلاً).

فسلك بهم الطريق التالي:

خرج بهم من أرض المصريين في غرب زهران، مروراً ببحر سوف وهو (نهر سوف)، واسمه حالياً وادي (الشعف)، ثم داروا حول أرض سكان (فل ستة) وهم الذين دعوا مؤخراً باسم (الفلسطينيين)، واتجهوا شمالاً إلى جبل قاسي (كاسيوس) باليونانية والذي ذكرته التوراة باسم (الجبل الأقرع).

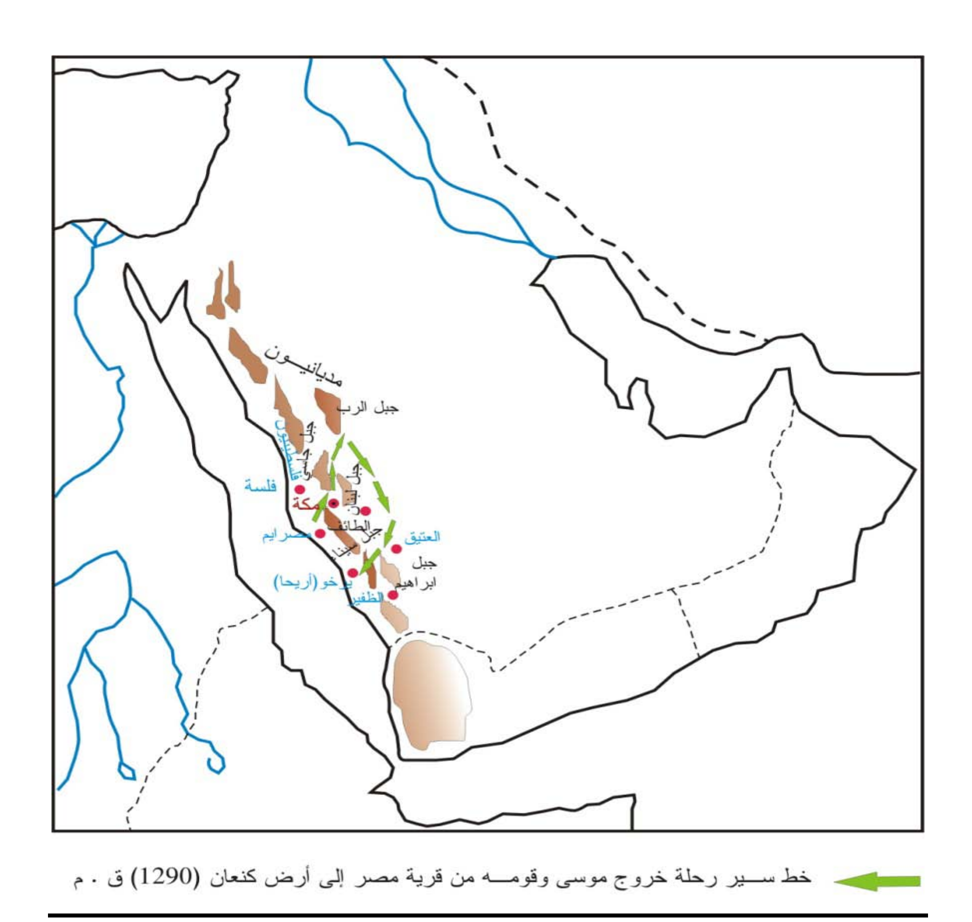
ثم عادوا مع مجرى النهر إلى برية ثور (شور) وهي اليوم غرب الطريق الدولي جنوب بلدة (الطاولة).ومنها إلى برية سين جنوب وادي (جِتْ) عند الجتمية حالياً. ثم داروا بأرض أدوم الذي هو (عيسو أخو يعقوب)، وبعد أن صدهم ملك بلدة (عرّاد) عند منبع وادي عردة، الكنعاني. أوغلوا شرقاً إلى أرض مديان إلى جبل (حوريب) عند وادي وطوى. وهناك استقبل موسى حموه مع زوجته وطفليه، وأمضى وقتاً طويلاً هناك، حيث تلقى أمور الشريعة، إلى جانب أمورتنظيمية وإدارية أخرى لقنه إياها حموه يثرون كاهن مديان. وعلّمه كيف ينظّم أمور جماعته، وكيف يكون موقعه منها وكيف يفعل في الخصومات. وقد ذكرت التوراة ذلك في سفر الخروج (18: 8- 24).

ثم تحرّك بالجماعة بمحاذاة طريق القوافل جنوباً إلى موضع العقيق، وحاول الصعود بهم بمحاذاة الطريق نفسه إلى بلاد غامد، ولكن الكنعانيين الساكنين هناك صدوهم ومنعوهم،وكذلك فعل الأموريون.

وصلوا بعد ذلك إلى (عربات مؤاب) مقابل جبال (أورخ)، وهناك عبروا الجرود ومخاضات السيول إلى (يرخو) التي دُعيت بالترجمة (أريحا). وكان ذلك بقيادة يشوع إلى جنوب (الباحة) من بلاد غامد، وذلك بعد موت موسى.

إنّ ما دفع موسى وجماعته إلى محاولة غزو بلاد الكنعانيين هو شهرة تلك المنطقة بخصوبتها وأهميتها الزراعية، لقد كانت بلاد المصريين في زهران وبلاد كنعان في غامد، من أخصب مناطق شبه الجزيرة العربية، وأكثرها سكاناً وعمراناً ولا يفصلها عن سهوب البادية، الممتدة حتى جنوب العراق، غير سلسلة جبال عسير أو (السراة) الممتدة على تخوم بلاد غامد وزهران الشرقية، من الشمال إلى الجنوب مما يجعلها بمثابة سور تتخلله فتحات أو معابر، يعبرها جماعات من البدو من الشرق البدوي إلى الغرب الزراعي والعمراني عبر تلك الجرود (يردن)، لغزو تلك المناطق الزراعية، كان ذلك يحفّز سكان تلك المدن والقرى والأرياف إلى توحيد جهودهم ودفع موجات البدو شرقاً إلى خارج الحاجز الجبلي بعيداً إلى عمق البادية. وهذا هو بالضبط ما حدث مع قوم موسى.

انظر الخريطة في الصفحة التالية:



خط سـير رحلة خروج موسى وقومـه من قرية مصر إلى أرض كنعان (1290) ق . م

رابعاً: قوم موسى بعد موته (يشوع بن نون):

مرّ معنا في القسم السابق أن موسى لقي حتفه في ظروفٍ غامضة، وتقول التوراة أن موت موسى كان بأمر الرب، حيث قام يشوع بتنفيذ الأمر ولعل كان ذلك بأمر الكهنة الذين قرّروا موت موسى وإعطاء قيادة الجماعة إلى يشوع بن نون ليعبر معهم إلى أرض كنعان.

وتقول التوراة في سفر يشوع (1: 1_2) ما يلي: ((وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، فالآن قمْ إعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل)).

ثم تضيف التوراة قائلةً: ((فبكر يشوع في الغد وارتحلوا من شطيم وأتوا إلى الأردن، هو وكل بني إسرائيل وباتوا هناك قبل أن يعبروا... ثم قال يشوع لبني إسرائيل إن اللّه الحي في وسطكم وطرداً يطرد من أمامكم الكنعانيين والحيثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين)). يشوع (3: 1- 10).

إن ما ذكرته التوراة في الآيات السابقة، إنما هو تمهيد لعبور بني إسرائيل، بقيادة يشوع بن نون، إلى أرض كنعان. وتقول التوراة، أن أول مدينة واجهت يشوع هي مدينة (أريحا)، لذا نجد وصفاً أسطورياً لحصار هذه المدينة، في سفر يشوع - الإصحاح السادس) فتقول ((وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بني إسرائيل.لا أحد يخرج ولا أحد يدخل. فقال الرب ليشوع انظر قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس... وفي ذلك اليوم (أي اليوم السابع) فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات... وأن يشوع قال للشعب اهتفوا إن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها محرّماً للرب.. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف

هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف)).

إن سقوط أريحا بيد يشوع وبني إسرائيل، إنما هو مجرّد أسطورة زائفة من تأليف كتبة التوراة الذين زيّفوا كل ما له علاقة بتاريخ اليهود.

وذلك لأن عبور بني إسرائيل بقيادة يشوع لم يكن عبوراً لنهر الأردن الحالي، بل كان عبوراً للجرود الجبلية في طريقهم للوصول إلى أرض كنعان في بلاد غامد في غرب شبه جزيرة العرب، وأن الخلط حاصل بسبب ترجمة كلمة (جرود - يردين) إلى اليونانية مما أدى إلى أن الكلمة أصبحت تعني (نهر الأردن) وفقاً لتبديل أسماء الأماكن والمواقع.

ثم أن مدينة (أريحا) هذه ليست أريحا الفلسطينية، الواقعة غرب نهر الأردن، بل هي مدينة (يرحو) أو (يركو) في بلاد زهران حيث تمت ترجمتها في السبعونية إلى (جيريكو **Jerico**) الواقعة في فلسطين.

أما سقوط أسوار المدينة، فيما لو حصل فعلاً، يكون بسبب موجة الزلازل التي تضرب المنطقة بين فترة وأخرى منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد وما بعد. ولكن كهنة التوراة كانوا يصفون الحوادث وكأنها حصلت بسبب سلطة (يهوه) وقدرته.

وتصف التوراة عمل بني إسرائيل في المدينة فتقول: ((وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها.إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب)). يشوع (6: 24).

ومن تلك الجرائم تعلم حكام إسرائيل الآن في فلسطين المغتصبة، كيف يقتلون الرجال والنساء والأطفال، ويهدمون البيوت، ويقتلعون الأشجار، إلى آخر ما علمهم (إلههم يهوه) وما علمتهم التوراة.

ولم يقتصر الأمر على إحراق المدينة بالنار بل تقول التوراة ((وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً ملعون قدّام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا)). يشوع (6: 26).

ثم تصف التوراة حروب يشوع ضد ملوك الأرض الذين اجتمعوا لمواجهة يشوع وجماعته فتقول: ((وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل.. في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير. وأعطاها يشوع لأسباط إسرائيل ميراثاً حسب فرقهم)).

يشوع (12: 7).

ولكن التوراة تروي أن يشوع أرسل ثلاثة آلاف رجل لاحتلال قرية (عاي) غير أن أهالي عاي ضربوا الجماعة وقتلوا منهم عدداً، ثم لحقوهم إلى خارج أبواب المدينة وأجبروهم على الهرب. وتعزو التوراة ذلك إلى غضب الرب على إسرائيل

فتقول: (وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام... فحمي غضب الرب على بني إسرائيل)).

يشوع (7: 1).

وتعليقاً على ذلك التزييف والخلط يقول الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم صـ 717)، ما نصه: ((فنتأمل معاً هذه الجغرافيا التوراتية التي ظل المؤرخون وأساتذة التاريخ، وما زالوا، يدرّسونها ويأخذون بها حتى اليوم؛ نحن نقف على نهر الأردن مقابل أريحا (حيث عبر يشوع)، وننظر إلى أرض كنعان التي تمتد أمامنا غرباً والتي ضربها يشوع ((وأعطاها لأسباط إسرائيل ميراثاً))، فإذا بها تمتد من لبنان إلى الجبل الأقرع، وبكلمة أخرى إنها أرض طرابلس وطرطوس واللاذقية الحالية..! أما (سعير) فهو أحد أولاد أدوم الذي هو عيسو أخو يعقوب. وقد دعي الجبل باسميهما معاً (أدوم وسعير)، وقد حدّد جغرافيو التوراة موقع (أدوم) على الجانب الشرقي من خليج السويس. فنتأمل هذا الجبل (الأقرع) الذي يقع غرب الأردن، ويقع شمال لبنان، ويصعد إلى خليج السويس في مصر)).

تقول التوراة أن عدد الممالك التي ضربها يشوع وبنو إسرائيل، يصل إلى واحد وثلاثين. مع العلم أن هذه الممالك جميعاً ليست إلا قرى ومزارع صغيرة وبيوتاً

ومنازل ومضارب خيام في أرض غامد وزهران يتزعم كلاً منها (ملك)، ولم يكن ملوك إسرائيل إلا من نوع هؤلاء الملوك.

وبعد أن شاخ يشوع وتقدمت به السن، دعا بني إسرائيل وقال لهم: ((أنا قد شختُ وتقدمتُ في الأيام.. انظروا قد قسّمتُ لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم)).

ويقصد بالشعوب الباقين (قرية فلشة) والقرى التابعة لها (أي أرض وقرى الفلسطينيين في زهران) دون أن يتمكن يشوع وبنو إسرائيل أن يقربوها أو التعرض لها.

وتقول التوراة في سفر يشوع (24 : 29): ((وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين)).

وقبل أن يموت كان قد قطع عهداً للشعب بأن لا يعبدوا إلهاً غير الرب وكتب ذلك في سفر شريعة الرب كما تقول التوراة.

بعد يشوع تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ تلك الجماعة حسب ما ورد في التوراة، هي (مرحلة القضاة) . وقبل الكلام عن المرحلة الجديدة هذه يقتضي الموضوع إيراد بعض الملاحظات:

أ - يحق لنا التساؤل عن ماهية هذا الإله (يهوه) الذي اختاره كهنة اليهود ربّاً لهم وخاصاً بهم من دون بني البشر جميعاً؟

ب- ثم أي إله هذا الذي يحارب من أجل مجموعة من الناس يقودهم موسى ثم يشوع من بعده، ويأمرهم بقتل غيرهم من الشعوب؟ وانتزاع أراضي ومدن وقرى وممتلكات تلك الشعوب ليمنحها ميراثاً إلى تلك الجماعة التي ادّعت بأنها (شعب الله المختار).

جـ - إن الله الذي خلق جميع البشر بالتساوي وأن (أكرمهم عند الله أتقاهم). كيف يمكن أن يختار الله مجموعة صغيرة من بني البشر لتكون شعباً مختاراً من دون بني الإنسان؟. ومن ثم يكو ن لها حق الاغتصاب والقتل؟.

د- إن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على أن هذه التعاليم التي يؤمن بها اليهود وتأمر بالقتل، والتدمير والحرق. هي تعاليم ابتكرها الكهنة ودونوها في التوراة على أنها تعاليم من عند الرب مع أنها انحراف عن تعاليم موسى التي تنهى عن القتل، بعد أن قتلوه بتهمة خيانة الرب.

واستناداً إلى هذه التعاليم يقوم حكام إسرائيل اليوم بإبادة الشعب العربي الفلسطيني واغتصاب أرضه، لتوطين اليهود الغرباء القادمين من مختلف أصقاع العالم محل العرب الفلسطينيين أصحاب الأرض والبلاد.

الفصل السابع

عهد القضاة

بعد موت يشوع، أصبح الموسويون مهددين بالفناء، وأُجبروا على إخلاء بعض المناطق التي استولوا عليها من قبل، وضاق بهم الأمر جداً، وتعزو التوراة ذلك إلى غضب الرب على بني إسسرائيل. فتقول: ((قام جيل جديد لم يعرف الرب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل وفعل بنوإسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم... وغضب الرب على بني إسرائيل ودفعهم ليد أعدائهم. فضاق بهم الأمر جداً. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم)).

قضاة (2: 10- 11).

وبذلك أُطلق على الفترة التي أعقبت موت يشوع **((عصر القضاة))**. واستمرت هذه الفترة حسب تقدير المؤرخين حوالي قرن ((1125 - 1025) ق.م واتصفت هذه الفترة من تاريخ الموسويين بالاضطراب وتعدد النكسات التي كادت أن تؤدي إلى القضاء عليهم.وتعترف التوراة بذلك وتعزوه إلى غضب الرب على بني إسرائيل، كما تعوّدت ذكره بعد كل نكسة أصابتهم.

لكن الحقيقة هي غير التفسير الذي تعطيه التوراة بعد كل هزيمة أو نكسة تصيب الموسويين، وتجعل ذلك يعود إلى غضب الرب. لكننا نجد أن الكنعانيين في بلاد غامد وزهران والفلسطينيين سكان قرية (فلشة)، قد أصبحوا من القوة

بحيث تمكنوا من إخضاع الموسويين بعد التغلب عليهم في فترات متواصلة خلال عصر القضاة.

وتعترف التوراة بصمود سكان كنعان أمام الموسويين، والدفاع عن أراضيهم، كما تؤكد التوراة أن الموسويين لم يتمكنوا من إجلاء الكنعانيين أصحاب البلاد من أراضيهم، بل سكنوا بينهم. كما جاء في سفر القضاة (3: 5و6): ((فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين ... واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم)).

يقدر المؤرخون أن الفترة الواقعة بين (1100- 950) ق.م استناداً إلى مدونات التوراة، قد اتصفت بالهزائم المتلاحقة التي أصابت الموسويين، حيث استمر الفلسطينيون في مطاردة جماعة موسى البدوية المتنقلة بين جبال غامد وزهران وألحقوا بهم هزيمة تلو أخرى. ((فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا، كل واحد إلى خيمته وكانت الضربة عظيمة جداً.. فأخذ الفلسطينيون تابوت الله)) صموئيل الأول (4: 12و 5: 1).

وفي هذه المرحلة نزل بنو إسرائيل في تلك الأرض، وتنقلوا فيها، يسطون مرة على القرى، ويطاردهم السكان مرة أخرى، كما هي العادة مع جماعات البدو الرحل المتنقلين بين الجبال والوديان، فلا تربطهم بالأرض أية رابطة، إلا بقدر ما توفره من غنائم وأسلاب ومراعٍ دونما تعب.

وبقيت تلك الجماعة تتنقل وتتسلل من وادٍ إلى وادٍ دون أن يسمع بذكرهم أحد. بل كان الموسويون يلاحق بعضهم بعضاً ، فيقتتلون من أجل فرض الهيمنة على الزعامة والاستئثار بأموال النهب والسلب. فاستمرت هذه الحالة حتى عهد الملك (سليمان).

وقد أسهبت التوراة في ذكر تلك المنازعات الداخلية بين الموسويين أنفسهم من أجل الحصول على الأموال والأتاوات التي كانوا يحصلون عليها من السطو والسرقة وأما من المحافظة على طرق التجارة لصالح فريق أو لآخر. وتذكر التوراة أن آخر القضاة كان صموئيل، ولما شاخ هذا ، طلب إليه الموسويون أن يعيّن لهم ملكاً أسوة بالملوك الكنعانيين. فعين لهم (شاؤل).

وتقول التوراة في سفر صموئيل الأول (11 : 14و15) ما يلي: ((وقال صموئيل للشعب هلمّوا نذهب إلى (الجلجال) ونجدّد هناك المملكة. فذهب كل الشعب إلى (الجلجال) وملّكوا هناك (شاؤل) أمام الرب)).

وبذلك تبدأ مرحلة جديدة بالنسبة للموسويين، هي مرحلة الملوك (حسب مدونات التوراة).

الفصل الثامن

عهـد الملـوك

ويقسم هذا العهد إلى قسمين:

الأول : عهد الملوك الأول (1025 - 931) ق.م.

الثاني: عهد الملوك الثاني أو عهد الانقسام (931 - 586)ق.م.

أولاً ــ عهد الملوك الأول : حكم في هذه الفترة ثلاثة ملوك هم (شاؤل وداوود وسليمان) وتمتد هذه الفترة بين (1025- 931)ق.م. حسب تقدير المؤرخين استناداً الى مدونات التوراة :

أ ـ شاؤل : دام حكمه خمس عشرة سنة ((1025- 1010ق.م)) وكان على شاؤل الرضوخ التام لأوامر الرب (يهوه) المنقولة على أيدي الكهنة، ولما أهمل شاؤل الرضوخ، خذله الرب وأوقعه بيد أعدائه الفلسطينيين (سكان قرية فلشة) حيث انهزم في المعركة وقُتل هو وأولاده الثلاثة.

في عهد شاؤل لم تكن الحروب والمنازعات مع الفلسطينيين فحسب بل كان شاؤل يواجه أعداءه من الإسرائيليين أنفسهم وتقول التوراة في سفر صموئيل الأول (23: 7و8) ((فلما سمع شاؤل أن داوود قد جاء إلى (قعيله).... دعا شاؤل جميع الشعب للحرب، للنزول إلى قعيلة لمحاصرة داوود ورجاله)).

دامت الملاحقة ضد داوود الذي كان يهرب من أمام شاؤل فانتهى الأمر بأن داوود لجأ إلى أحد الكهوف مع رجاله حتى لا يهتدي شاؤل عليه.

ولكن الحروب والمنازعات بين الإسرائيليين والفلسطينيين جعلت شاؤل يلتفت إلى محاربة الفلسطينيين وتذكر التوراة تفاصيل تلك الحروب فتقول في سفر صموئيل الأول (31: 1- 6) ما نصه: ((وحارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل (جلبوع). فشدّ

الفلسطينيون وراء شاؤل وبنيه وضرب الفلسطينيون أبناء شاؤل، واشتدت الحرب على شاؤل فأصابه الرماة.. فانجرح .. فأخذ شاؤل السيف وسقط عليه.. فمات شاؤل وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم)).

ب - داوود: بعد موت شاؤل تولى المملكة داوود، فحكم أربعين سنة (1010- 971)ق.م بناءً لما ورد في التوراة. صعد داوود إلى حبرون التي هي قرية (أربع) وأخذ رجاله معه. ثم أتى رجال يهوذا ومسحوا داوود ملكاً عليهم.

ومع ذلك لم يستقر الأمر لداوود، لأن الحرب وقعت بينه وبين بيت شاؤل. ولكنه تغلب عليهم وكسب تأييد الموسويين. وتقول التوراة في سفر صموئيل الثاني (5: 1- 3) ما نصه: ((جاء جميع أسباط إسرائيل إلى داوود إلى حبرون وتكلموا قائلين هو ذا عظمك ولحمك نحن .. وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل. وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داوود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داوود ملكاً على إسرائيل)).

حاول داوود احتلال مدينة اليبوسين (أورشليم) فلم يتمكن من ذلك، لذلك اتخذ من حصن صهيون مدينة له ((وأقام داوود في الحصن وسماه مدينة داوود التي هي الكهوف الصخرية في صهيون)).

وقد أسهبت التوراة في وصف عظمة مملكة داوود التي أورثها لإبنه سليمان، مع أن داوود لم يكن له بيت بل كانت مساكنهم هو ورجاله الخيام. حتى أن داوود استعان بالملك حيرام ملك صور (ليست صور الواقعة على ساحل المتوسط) لبناء بيت له. وتقول التوراة في سفر صموئيل الثاني (5 : 11) ما يلي: ((وأرسل حيرام ملك صور رسلاً إلى داوود وخشب أرز ونجارين وبنائين فبنوا لداوود بيتاً)).

وهذا يدل على أن الموسويين وملكهم داوود كانوا وما يزالون على البداوة ولا يعرفون بيوتاً سوى الخيام والمغاور والكهوف. واستمر الأمر هكذا إلى زمن سليمان وابنه رَحُبْعام.

وتقول التوراة في سفر الملوك الأول (12: 16- 18) ما يلي:

((فلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم، ردَّ الشعب جواباً على الملك قائلين أي قسم لنا في داوود، ولا نصيب لنا في ابن (يسَّى) .. إلى خيامك يا إسرائيل. الآن انظر إلى بيتك يا داوود. وذهب إسرائيل إلى خيامهم)).

كان داوود يعاني من الانقسام بين الموسويين أنفسهم؛ داوود في مدينة حصن صهيون شرق غامد على مقربة من طريق التجارة والقوافل. وابنه (أبشالوم) في قرية أربع (حبرون).

ولذلك لم يتمكن داوود من مواجهة الفلسطينيين سكان (فلشة) في زهران لأن الصراع الداخلي أخذ يتبلور إلى مجموعتين الأولى مع داوود وميولها إلى الدولة

المركزية في بابل عموماً. والثانية مع أبشالوم في الداخل والموالية لمصر وادي النيل. وأخذ الصراع يتفاقم بين الفريقين وكل منهما يحاول الفوز لنفسه بالعمالة إما للدولة السورية المركزية وإما للدولة المصرية في وادي النيل، من أجل السيطرة على طريق القوافل التجارية.

وقد بقيت سلطة كل من هذين الفريقين، لا تتعدى بعض القرى الصغيرة أو المخيمات. كما أن السكان الكنعانيين في المنطقة لم يشعروا بوجود أي منها، إلا من خلال عمليات السطو والنهب التي تتم بين فترة وأخرى.

وفي نهاية الصراع تمكن داوود من التغلب على ابنه أبشالوم، الذي قتله رجال داوود، وبذلك تصبح قرية السامرة وما حولها تابعة لسلطة داوود، الذي أصبح زعيم عصابة لها سلطة محلية على الطرق التجارية. محاولاً كسب ودّ إحدى الدولتين السورية المركزية أو مصر وادي النيل. ليكون عميلاً لأي منهما تعتمد عليه في حماية طريق القوافل وجباية الأموال، المترتبة على مرور القوافل (رسوم المرور) وتؤمن أيهما له الحماية والدعم.

وشاخ داوود وتقدم في الأيام، ويظهر التنافس بين الإخوة الطامعين في السلطة. فيدّعي (أدونيا) ابن داوود لنفسه الملك، ولكن أم سليمان زوجة داوود، تقف دون ذلك وتُعلم داوود بما حدث. فيؤكد داوود لأم سليمان أن ابنها هو الملك بعده كما تروي التوراة في سفر الملوك الأول.

ولما قربت أيام وفاة داوود، أوصى ابنه سليمان، كي يتشدّد ويكون قوياً، وأن يحفظ شعائر الرب وأن يحفظ وصايا وأحكام الرب كما هو مكتوب في شريعة موسى.

مات داوود ودُفن في (مدينة داوود) بعد أن ملك أربعين سنة، حسب قول التوراة. وجلس سليمان على كرسي أبيه داوود.

جـ- عهد سليمان: (971 - 931) ق.م:

وصفت التوراة، إلى درجة المبالغة، عظمة مملكة سليمان، ودرج المؤرخون على ترديد وصف التوراة عن اتساع وامتداد حدود مملكة سليمان، معتمدين على تلك المبالغات التوراتية، دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء البحث عن الحقيقة. التي تؤكد أن مملكة سليمان كانت في عنفوان مجدها لم تتخطى مفهوم القرية أو العشيرة. وأن بني إسرائيل في عهد سليمان لم يغادروا مضارب خيامهم أو كهوفهم، في هذا السفح أو ذاك، حول هذه القرية أو تلك، بين السكان أصحاب البلاد. ولم يتمكنوا من تجاوز بداوتهم ويندمجوا بالعرب الزراعيين أصحاب الأرض.

كما أن مملكة سليمان لم تتجاوز مفهوم السيطرة بالوكالة، على مجموعة من القرى أو المخيمات على طريق القوافل والتجارة الدولية، المار عبر القسم الشرقي من بلاد (غامد وزهران)، في غرب شبه جزيرة العرب.

إن الدور الذي لعبه الموسويون في عهد داوود وابنه سليمان، كان مجرد محاولة للارتفاع بقواهم الذاتية إلى مستوى يؤهلهم للقيام بدور العمالة للآشوريين (بني سار) أو للمصريين (بني مصرايم) في غرب زهران. من أجل القيام بحراسة ممر القوافل وجباية الأموال عن البضائع المارة، ويقدمونها بنسبة معينة لهذا الجانب أو ذاك أو اللعب بين القوتين الكبيرتين آنذاك (الدولة السورية المركزية) و (مصر وادي النيل). من أجل الانفراد في السيطرة علىخط القوافل، لصالح هذا أو ذلك، مما أدى إلى تصفية دورهم نهائياً في تلك المنطقة الحساسة، واستبدالهم بالسكان العرب من أبناء المنطقة ذاتها.

ويعلّق المؤرخ (ويلز **Wells**) على مبالغات التوراة في وصف مملكة سليمان في كتابه ((معالم تاريخ الإنسانية)) الجزء الرابع صـ 279 - 283 فيقول:

((كيف صوّر كتبة التوراة مملكة سليمان صورة تفوق الواقع بكثير، فمن الخير ألا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور، فسليمان لم يكن وهو في أوج عظمته إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة،وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقضِ بضعة أعوام على وفاته حتى زالت تلك المملكة. وإن قصة مُلك سليمان وحكمه التي أوردها الكتاب المقدس، تعرضت لحشو وإضافات على نطاق واسع... وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي بل والإسلامي على الاعتقاد بأن سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة)).

ويضيف الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 480 قوله: ((فسليمان في أوسع جغرافيا مزورة عن التوراة، بقي ملكه محصوراً في بقعة ضيقة من الأرض العربية ... في شبه جزيرة العرب والتي تشمل منطقة غربي جبال (عسير) أو السراة وشرقيها. وبالفعل فإن تلك المنطقة من بلاد زهران وغامد غربي الجرود (يردن) وشرقيها، شهدت لأول مرة في التاريخ المعروف، انحلال وسقوط ملكيات الإمارات والمدن الصغيرة وذوبانها في مملكة تشمل السفوح الغربية والشرقية معاً. وقد حدثت من أجل السيطرة عليها، منازعات كثيرة بين أولئك الملوك وبين حكام الدولة العربية السورية المركزية، بسبب أهمية تلك المنطقة على خط القوافل التجارية الدولي)).

وهكذا حدث في عهد سليمان أن تنبه ملوك مصر وادي النيل، وملوك الدولة السورية معاً، إلى أنه صار بالإمكان التعامل مع هذه الجماعة التي يتزعمها سليمان، والاعتماد عليها، مما أثار غضب ملوك الآراميين في المنطقة، الذين كانوا يتطلعون إلى الاستقلال والسيطرة على طرق التجارة دون سواهم.

ويستدل من تطورات الأحداث في ذلك الوقت، أن الكنعانيين قد وقفوا إلى جانب سليمان ودعموه في مواجهة الآراميين، لأنهم وجدوا فيه ملامح كنعانية أكثر مما يحمل من بداوة الموسويين، فأمه كنعانية، وأفكاره ومعتقداته جميعاً كانت تنزع إلى أخواله الكنعانيين. فتزوج منهم نساءً كثيرات.

وفي ذلك تقول التوراة في سفر الملوك الأول إصحاح (21) ما نصه ((فالتصق بهؤلاء بالمحبة.. وأن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً)).

كذلك وجد حيرام ملك صور في شرق غامد (وهي غير صور المتوسطية)، الفرصة سانحة لتثبيت ولاء سليمان وجماعته، كي يكون له بمثابة دريئة في وجه الآراميين. فقرر أن يساعد سليمان بتثبيت وحدة الموسويين تحت حكم سليمان، فبنى له معبداً في (أورشليم) وهي يبوس في شبه جزيرة العرب.

وانتهى بناء المعبد الذي أقامه سليمان بمساعدة حيرام ملك صور (المجاورة له) فدعا سليمان الشعب لحضور تدشين المعبد. وتقول التوراة في سفر الملوك الأول (8: 65) ما نصه : ((وعيّد سليمان العيد في ذلك الوقت، وجميع إسرائيل ومعه جمهور كبير من مدخل (حماه) إلى (وادي مصر) أمام الرب إلهنا، سبعة أيام وسبعة أيام أربعة عشر يوماً. وفي الثامن (أي اليوم الأول من الأسبوع الثاني)، صرف الشعب فباركوا الملك وذهبوا إلى خيامهم فرحين وطيبي القلوب)).

وتعليقاً على هذا الخلط يقول الدكتور أحمد داوود في كتابه المذكور سابقاً ما يلي: ((كيف يمكن أن يقبل أي مؤرخ أو أن يتصور أي باحث، أن جماهير الشعب رجالاً ونساءً شيوخاً وأطفالاً يأتون من مصر عبر صحراء سيناء،ومن حماة في وسط سوريا عبر السهول والجبال والوديان من أجل أن

يشهدوا حفل تدشين المعبد ؟!)) ويتابع : ((.. ولم تقل التوراة (عاد الشعب إلى مصر وإلى حماة) بل قالت بوضوح (لقد ذهبوا إلى خيامهم). إذن قد جاؤوا من خيامهم من قرى مجاورة. ثم عادوا إلى خيامهم في قرية (مصر) زهران، وقرية (أمات) وليست حماة. وهذا دليل واضح على أن مصر المذكورة ليست مصر وادي النيل بل هي قرية (مصر) في شبه جزيرة العرب)).

ومن ناحية ثانية يعتقد اليهود الآن أن معبد سليمان هذا قد بُني في مدينة أورشليم (القدس) في فلسطين الحالية.

وقد جهد حكام دولة إسرائيل بعد قيامها عام 1948 وبعد احتلال مدينة القدس أثناء حرب عام 1967، وأمعنوا في البحث والتنقيب لدرجة أنهم حفروا تحت المسجد الأقصى، ولكنهم لم يعثروا على أي دليل أو أي أثر لهذا المعبد، ولن يجدوه مهما حاولوا.

ولم يغبْ عن بال ملك (مصر) زهران، التقرب من سليمان بعدما لمسه من تعاظم نفوذه بسبب دعم الكنعانيين له، حيث اعتبروا سليمان (وكيلاً) لهم. ولما كان نفوذ مصر وادي النيل غائباً في تلك الفترة. قرر فرعون قرية مصر زهران أن يستميل سليمان إليه، فزوجه إحدى بناته، وغزا بلدة (جازر) التابعة لقرية (فلشة) وقدمها مَهراً لابنته زوجة سليمان.

وتذكر التوراة ذلك الزواج على اعتبار أن فرعون مصر هذا هو ملك مصر وادي النيل فتقول: ((وصاهر سليمان فرعون (ملك مصر) وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داوود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب)). ملوك الأول (3: 1).

ولم تغفل التوراة الكلام عن حياة سليمان الشخصية، فتقول في سفر الملوك الأول (11: 1 - 13) ما نصه:

((وأحب الملك سليمان نساء غريبات كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات، وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. (وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري)[1] . فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخته أن نساءه أملنَ قلبه وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ..وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداوود أبيه .. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب. فقال الرب لسليمان من أجل ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزّق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك)).

[1] ـ كيف يصدق العقل هذه المبالغات الكاذبة؟!.. ألا يدل على أن كل ما روته التوراة عن سليمان ليس إلا من باب المبالغات الكاذبة؟!.

مات سليمان بعد أن ملك أربعين سنة، تاركاً الملك لابنه (رَحُبْعَام) وتقول التوراة ((وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان على كل إسرائيل أربعين سنة ثم اضطجع سليمان مع أبائه ودُفن في مدينة أبيه، وملك رَحُبْعَام ابنه عوضاً عنه)). ملوك الأول (11 : 42و43).

وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الموسويين، هي عهد الملوك الثاني والانقسام، وتتميّز هذه المرحلة بالحروب والمنازعات بين الجماعات اليهودية. وقبل المضي في الكلام عن هذه المرحلة، لابدَّ من إيراد بعض الملاحظات عما سبق:

أ - هل كانت المملكة التي بالغت التوراة في وصف عظمتها في زمن داوود وابنه سليمان، تعني بحق مفهوم الممالك، كملوك الدولة البابلية أو الدولة الآشورية أو ملوك مصروادي النيل؟!.

في الحقيقة لم تكن كلمة (ملك) في ذلك الزمن تعني المفهوم الحالي لهذه الكلمة، بل كانت تُطلق على رئيس جماعة أو رئيس قرية أو مزرعة أو مدينة. أو حتى على قائد عصابة من الرجال. فمملكة داوود وسليمان لم تكن تتجاوز هذا المفهوم، حيث لم يكن لها حدود في الاتساع بل تقتصر على رقعة جد ضيقة من الأرض. كما أن اسم (مدينة) كان يُطلق على أي تجمع سكاني مستقر، سواء أكان في مضرب للخيام أم في بضعة بيوت، أم في قرية صغيرة أم في بلدة أم في مدينة.

لقد كان أولئك الملوك الصغار، يقومون بحراسة مصالح الدولة المركزية كلٌّ من موقعه، وتأمين سلامة خطوط التجارة الدولية عبر شبه جزيرة العرب، في شرق البحر الأحمر. وحينما كان يحدث ما يهدد سلامة طرق التجارة ويعرقل وصول السلع إلى شتى أنحاء الدولة وعلى الأخص مركز الدولة أو عاصمتها.

عندها لم يتردد الملك المركزي في تسيير الجيوش، لإخضاع تلك الممالك الصغيرة المتمردة أو الطامعة في الانفصال. فيعزلون ملكاً (وكيلاً) وينصّبون آخر،وكثيراً ما كان ملوك الدولة المركزية في بابل يتنازعون السيطرة على تلك المنطقة الهامة من خلال ملوكها الصغار، مع حكام مصر وادي النيل.

ب - هل كانت مملكة إسرائيل في زمن داوود وسليمان، تعتبر دولة يهودية تقتصر على اليهود وحدهم، ولا تضم آخرين من السكان؟!.

وبالعودة إلى التوراة، نجد نصوصاً كثيرة متفرقة في جميع الأسفار تؤكد على أن اليهود لم يكونوا أصحاب الأرض التي سكنوها، ليس فقط في زمن موسى ويشوع وفي زمن القضاة، بل وفي زمن مملكة داوود وسليمان. ونورد على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

((ولم يطرد مَنسَّى أهل بيت شان وقراها ولا أهل تعنك وقراها ولا سكان دُورَ وقراها ولا سكان يبلعام وقراها ولا سكان مجدّو وقراها. فعزم الكنعانيون

على السكن في تلك الأرض.. وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسط جازر)). قضاة (1: 27- 29).

وتعزو التوراة بقاء السكان العرب في أراضيهم، إلى رغبة الرب في امتحان إسرائيل. فتقول التوراة في سفر القضاة (3 : 1- 5) ما يلي:

((فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل، كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان، إنما لمعرفة أجيال إسرائيل لتعليمهم الحرب، الذين لم يعرفوها قبل قط. أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين. كانوا لامتحان إسرائيل بهم .. ثم سكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيثيين (أبناء حث) والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين)).

وتقول التوراة أيضاً في سفر القضاة (6 : 1و2و6) ما نصه: ((وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين فاعتزّت يد مديان على إسرائيل.. فذلّ إسرائيل جداً من قبل المديانيين)).

وفي سفر الملوك الأول (9: 20و21) تقول التوراة ما نصه: ((جميع الشعب الباقين من الآموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من بني إسرائيل أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يفنوهم فجعل سليمان عليهم سخرة إلى هذا اليوم)).

لم تعترف التوراة بعجز بني إسرائيل عن إفناء أو طرد كل السكان العرب من أراضيهم الذين قاتلوا الإسرائيليين دفاعاً عن أرضهم. بل تعزو ذلك إلى رغبة الرب في أن يمتحن بني إسرائيل، وليعلّم الأجيال التي لم تعرف الحرب، لتعليمهم الحرب، لأنهم لم يعرفوها قبل قط.

جـ - هل كانت لغة اليهود في زمن داوود وسليمان، لغة يهودية خاصة بهم؟!. وما هي اللغة والثقافة التي كانت سائدة في ذلك العصر (القرن العاشر ق.م)؟ ..

تدل جميع المعلومات والقرائن بوضوح تام، على أن تلك المملكة الصغيرة والتي تصفها التوراة بالعظمة، إنما كانت مملكة لم تتوفر فيها المقومات القومية والثقافية، فلم تكن لها لغة أو ثقافة أو حضارة خاصة بها، بل كانت قائمة على اللغة الكنعانية والتراث الحضاري الكنعاني البحت.

ولم يكن اليهود يملكون المقومات الأساسية للارتقاء من مرحلة البداوة إلى مرحلة الشعب الذي يملك كيانه الحضاري المستقل. فبعد دخولهم إلى أرض كنعان في غرب شبه جزيرة العرب. اقتبسوا اللغة الكنعانية وأخذوا عن الكنعانيين ثقافتهم وحضارتهم، وتقاليدهم وديانتهم. وأن اللهجة العبرية بمعنى (يهودية) والمقتبسة من الآرامية، والتي كُتبت بها التوراة أيام السبي البابلي، لم تظهر إلا في وقت متأخر ولم تكن معروفة في عهد داوود وسليمان.

كما أن اليهود كانوا حتى عهد رَحُبْعَام بن سليمان، ما يزالون جماعات من البدو يسكنون الخيام أو الكهوف. وأن ذلك المجد الذي قالت عنه التوراة في زمن داوود وسليمان لم يكن إلا كمية من الذهب والفضة ومجموعة من النساء الجميلات، التي شغل الكنعانيون بها سليمان من أجل أن تستمر خطوط التجارة تتدفق على أمراء كنعان دون سواهم.

ثانياً: عهد الملوك الثاني؛ (عهد الانقسام): 931 - 586ق.م:

بعد موت سليمان عام (931ق.م)، انتقل الأمر إلى ابنه (رَحُبْعَام) وبه تبدأمرحلة الضعف والانقسام، وكثرة الحروب والمنازعات بين عشائر الإسرائيليين، بالإضافة إلى تعرضهم لغزوات الممالك الأخرى.

ولم يستتب الأمر لرَحُبْعَام، بل نافسه في السلطة (يُرُبْعام) بن نباط. الذي اعتمد على قسم كبير من عشائر الإسرائيليين، ضد رَحُبْعَام. اغتنم ملوك المصريين في غرب زهران فرصة الخلاف بين الاثنين، فناصروا يَرُبْعام وجعلوه ملكاً على بني إسرائيل.

وتقول التوراة في سفر الملوك الأول (12: 1و3و4) ما يلي: ((وذهب رَحُبْعَام إلى (شكيم)، لأنه جاء إلى شكيم جميع إسرائيل ليملّكوه... وأتى يَرُبْعام وكل جماعة إسرائيل وكلموا رَحُبْعَام قائلين: إن أباك قسّى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك)).

ولكن رَحُبْعَام رفض الاستجابة إلى طلب إسرائيل، وأعلن بقاءه على التمسك بسياسة القوة التي مارسها أبوه، معتمداً على تأييد الكنعانيين له. غير أن عشائر بني إسرائيل دعوا يَرُبْعام وملكوه على جميع إسرائيل، ولم يبقَ مع رَحُبْعَام إلا سبط يهوذا وحده.

فهرب رَحُبْعَام من شكيم إلى (أورشليم) لأنه وجد في المعبد الذي بناء أبوه وسيلة لإعادة توحيد عشائر بني إسرائيل من حوله، وليتمكن من محاربة يَرُبْعام. وهكذا تبدأ مرحلة انقسام عشائر بني إسرائيل إلى مملكتين:

- مملكة يهوذا وملكها رَحُبْعَام بن سليمان.
- مملكة السامرة وملكها يَرُبْعام بن نباط.

كان هذا الانقسام، بداية لفترة جديدة من المنازعات والتحالفات سببت في النهاية تهديداً للتجارة الدولية وخطوطها الرئيسية في منطقة غرب شبه جزيرة العرب. كما أن النزاع بين رَحُبْعام ومؤيديه وبين يَرُبْعام ومؤيديه أدى إلى إضعاف الفريقين، لدرجة أن رَحُبْعَام أخذ يتقرب من الأمراء الآراميين في (صوبا) و(ذومسك) بتقديم الأموال والهدايا لهم لإشراكهم في حربه ضد يَرُبْعام.ولما لم يؤدي ذلك إلى نتيجة تساعد في حسم الموقف. لجأ رَحُبْعام إلى الاستعانة بملك آشور (بني سار) في جنوب شرق زهران.ولما خلف (أحاز) رَحُبْعَام على الملك في يهوذا، استمر في الاعتماد على ملك الآشوريين في (بني سار)، وبذلك تخلص

(أحاز) من منافسة (ملك السامرة) ووجد نفسه في موقف يسمح له باللعب بين القوتين المحليتين اللتين برزتا على ساحة التنافس في تلك المنطقة:

- قوة المصريين في (مصرايم) غرب زهران.
- قوة الآشوريين في (بني سار) شرقي زهران.

وفي عهد الملك (حزقيا) بن أحاز ملك يهوذا، تمكن هذا من تكتيل عشائر بني إسرائيل من حوله، في محاولة منه للتخلص من سيطرة المصريين (مصرايم) في غرب زهران، والتعاون مع آشوريي (بني سار) . وبعد أن نجح في حربه مع الفلسطينيين سكان قرية (فلشة)، أعلن العصيان على ملك آشور (بني سار) . وتقول التوراة ((وكان الرب معه وحيثما كان يخرج كان ينجح وعصي على ملك آشور ولم يتعبد له)). الملوك الثاني (18 : 7).

وتعزو التوراة هذا النجاح، كعادتها، إلى رضى الرب على الملك لأنه حفظ وصايا الرب. ولما كان ملوك بني إسرائيل لا يسمعون صوت الرب ولم يحفظوا عهده، كان الرب يغضب ويسلط عليهم أعداءهم فتقول التوراة: في سفر الملوك الثاني (18: 9- 12) ((في السنة السابعة لهوشع بن أيْله ملك إسرائيل صعد (شلمناسر) ملك آشور على السامرة وحاصرها. وأخذها في نهاية ثلاث سنين.. وهي السنة التاسعة (لهوشع) ملك إسرائيل أُخِذت السامرة. وسبى ملك آشور إسرائيل

إلى آشور.. لأنهم لم يسمعوا صوت الرب إلهم بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا)).

يجب أن لا يغيب عن البال أن آشور هذه ليست عاصمة الدولة الآشورية المركزية في العراق، بل هي آشور (بني سار) في شرقي زهران غرب شبه جزيرة العرب. وأن هذا السبي الذي حققه (شلمناسر) ملك آشور لم يكن إلى آشور العراق، كما اعتقد المؤرخون، بل كان إلى آشور (بني سار) في شرقي زهران. مما يدل على أن الصراع بين تلك الممالك الصغيرة في غرب شبه جزيرة العرب كان بدافع السيطرة على طرق التجارة الدولية للحصول على عمولات مالية.

وهكذا قضى الآشوريون في بني سار على محاولات مملكة إسرائيل في إقامة كيان مستقل لهم عن القوى المتنافسة في المنطقة. وقد أدى ذلك إلى تفرّد آشور (بني سار) بالثروات كلها مما أثار غضب فرعون مصر (مصرايم) في غرب زهران.

كان كل ذلك يحدث في أواخر القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد في الوقت الذي قامت فيه الدولة البابلية الجديدة في العراق. وما أن استقرت أمور الدولة في العاصمة (بابل) حتى التفت الملك (نبوخذ نصر) إلى إعادة سيطرة الدولة على المنطقة الغربية من شبه جزيرة العرب (الحجاز وتهامة الآن) ليضمن

عودة الازدهار إلى خطوط التجارة الدولية. ومنع سيطرة أولئك الملوك الصغار، أوملوك مصر وادي النيل من محاولة بسط نفوذهم على تلك المنطقة الهامة.

وبعد أن تمّ القضاء على مملكة السامرة على يد الآشوريين في (بني سار) جنوب شرقي زهران، بقيت مملكة يهوذا الصغيرة تنتظر مصيرها، وهي تتأرجح في مهب الريح بين ملك مصرايم في غرب زهران وبين ملك آشور (بني سار) في شرق زهران. إلى أن قامت الدولة البابلية الجديدة وأصبح الأمر بيد الملك (نبوخذ نصر) كان ذلك (بين 612 و539ق.م).

وكان (يهوياقيم) ملك يهوذا في أورشليم. وعمل الشر في عيني الرب. وتقول التوراة في سفر الملوك الثاني (24: 1و2) ما نصه: ((كان في أيام يهوياقيم ملك يهوذا، أن صعد نبوخذ نصّر ملك بابل، فكان له يهوياقيم عبداً لثلاث سنين. ثم عاد فتمرّد عليه. فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة المؤابيين... وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلّم به عن يد عبيده الأنبياء)).

ويستفاد مما تقدم أن ملك يهوذا (يهوياقيم) تمرّد على نبوخذ نصّر مدفوعاً من ملك مصرايم غرب زهران وبدعم من ملوك مصر وادي النيل الذين كانوا يرغبون في السيطرة على تلك المنطقة الهامة.

لذلك شن (نبوخذ نصّر) سنة 597 ق.م حملة على مملكة يهوذا وحاصر (أورشليم) أثناء الحصار مات الملك (يهوياقيم) وخلفه ابنه (يهوياكين) الذي أُجبر على الاستسلام، لكن نبوخذ نصّر سبى يهود أورشليم ومعهم الملك (يهوياكين) وعيّن (صَدقيا) خلفاً له. الذي أكد ولاءه لنبوخذ نصّر، فكان هذا هو (السبي الأول 597ق.م).

ولكن (صدقيا) هذا نقض عهد الولاء لنبوخذ نصّر، وتحالف مع الآراميين بالاتفاق مع ملك مصر وادي النيل، الذي كان يطمع في إعادة سيطرته على المنطقة. فغضب نبوخذ نصّر وجاء بنفسه على رأس حملة قوية، حاصرت أورشليم حتى استسلم أهلها بعد أن هرب الملك صدقيا. ودخلت جيوش نبوخذ نصّر المدينة سنة 586ق.م.

وتروي التوراة ذلك في سفر الملوك 2 إصحاح 25: 1و2 فتقول: ((وفي السنة التاسعة لملكه (تقصد صدقيا) جاء نبوخذ نصّر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها وبنوا عليها أبراجاً حولها. ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا)).

وتؤكد التوراة أن الملك (صدقيا) هرب من المدينة وهرب معه جميع رجال القتال ليلاً. ولكن الجيش الكلداني ألقى القبض على صدقيا ومن معه وأُرسلوا أسرى إلى بابل. وكان ذلك سنة 586ق.م

فكان هذا هو السبي الثاني: حيث تمّ نقل الأسرى إلى بابل ليلتحقوا بيهود السبي الأول.

كان عمل نبوخذنصّر هذا انتصاراً حاسماً لسلطة الدولة المركزية، أنهى النزاع الطويل من أجل السيطرة على تلك المنطقة الهامة بالنسبة للدولة المركزية في بابل. وبذلك أصبحت الدولة البابلية تحت حكم الكلدانيين صاحبة السيادة على تلك المنطقة بلا منازع.وهكذا حسم نبوخذ نصّر تلك الصراعات الصغيرة والكبيرة في غرب شبه جزيرة العرب لصالح الدولة السورية البابلية. حيث أجرى عملية نقل السكان الذين كانوا يشكلون تهديداً لطريق التجارة ووطد أمن الناس جميعاً، وأعاد هيمنة الدولة على كل أجزائها. مما حقق ازدهار الحياة الزراعية والتجارية.

وفي الوقت ذاته تمّ القضاء على أي نفوذ للموسويين وذلك بإسقاط مملكتي السامرة ويهوذا والقضاء عليهما نهائياً.

الفصل التاسع

اليهود في عهود الاحتلال الأجنبي

1- في عهد الدولة الفارسية (538 - 332)ق.م.

2- في عهد الدولة اليونانية (332 - 64)ق.م.

3- في عهد الدولة الرومانية (64 ق.م - 638 ب.م).

أولاً: اليهود في عهد الدولة الفارسية: (538 - 332)ق.م:

إن موضوع بحثنا في هذا الفصل ليس تاريخ الاحتلال الأجنبي للدولة العربية والذي توالى عليها احتلال ثلاث امبراطوريات (الفارسية واليونانية والرومانية) خلال فترة تزيد على اثني عشر قرناً (538 ق.م إلى 638ب.م).

إنما يدور البحث حول تاريخ اليهود خلال كل فترة من تلك المرحلة.

تمكن الملك (كورش) الفارسي من السلالة (الأخمينية) من احتلال مدينة بابل عاصمة الدولة الكلدانية وإسقاط تلك الدولةبين عامي 539 و538ق.م ثم احتل سورية المتوسطية كاملة.

في هذا الوقت كان الإسرائيليون ما يزالون في الأسر منذ أن نقلهم نبوخذ نصّر من غرب شبه جزيرة العرب إلى بابل، كما مرّ في الفصل السابق. ومن المهم ذكره أن أولئك هم بقايا جماعة موسى والذين أطلقت عليهم التوراة اسم (بني إسرائيل). وقد سُمح لهم بحرية الإقامة والعمل وحرية ممارسة شعائرهم الدينية. بالإضافة إلى أن هؤلاء قد استفادوا أثناء وجودهم في الأسر، من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبسوا الكثير وبخاصة فيما يتعلق بالتشريع والأساطير وأمور الزراعة والتجارة. ويؤكد المؤرخون أن كهنة الموسويين قاموا بكتابة (التوراة البابلية) ووضعوا التعاليم الدينية الخاصة بهم والمعروفة باسم التلمود، في بابل.

وتؤكد المصادر التاريخية، أن قسماً من تلك الجماعة قد نشطوا في أعمال الزراعة والتجارة في بابل، فملكوا الدور والأراضي وأصبح لهم مصالح كثيرة هناك، نزولاً عند نصيحة (أرميا) النبي الذي قال لهم : ((هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل. ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها. خذوا نساءً ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساءً وأعطوا بناتكم لرجال فيلدون بنين وبنات وأكثروا هناك ولا تقلّوا واطلبوا سلام المدينة التي سبتكم إليها وصلّوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام. لأنه هكذا قال ربّ الجنود إله إسرائيل . لا تغشكم أنبياؤكم الذين وسطكم وعرافوكم ولا تسمعوا لأحلامكم التي تتحلمونها. لأنهم إنما يتنبأون لكم بإسمي بالكذب. أنا لم أرسلهم يقول الرب)).

أرميا (28 : 4- 10).

ويُعتقد أن الملك كورش تمكن من دخول مدينة بابل بمساعدة اليهود المقيمين في بابل، بعد أن فتحوا له بعض أبواب الأسوار. وابتهج اليهود لنجاح (كورش) في احتلال بابل، وتقديراً لهذه الخدمة سمح كورش لليهود الذين يرغبون بالعودة إلى الأرض التي جاءوا منها. ووعدهم ببناء المعبد.

ولعل كورش قد أدرك الفائدة من وجود طائفة يهودية تخضع له، وتقيم عل طريق القوافل التجارية، غرب شبه جزيرة العرب، بحيث يتمكن من السيطرة

على تلك المنطقة و قطع الطريق على محاولات ملوك مصر وادي النيل للسيطرة عليها.

وهذا ما سمح لليهود الذين عادوا إلى تلك الأرض، أن يستفيدوا من سيطرة الفرس، الذين منحوهم كثيراً من الامتيازات الخاصة منها إعادة بناء المعبد، وممارسة شعائرهم الدينية.

وتفيد المصادر التاريخية، أن قسماً كبيراً من يهود السبي قد رفضوا العودة إلى الأرض التي كانوا فيها، بعد أن امتلكوا الدور والأراضي وأصبح لهم مصالح كثيرة في بابل. ولأنهم لم يجدوا ما يغريهم بالعودة بعد المدة الطويلة التي قضوها في بابل.

ويقول الدكتور فيليب حتّي في كتابه (تاريخ سوريا جـ 1صـ243) ما نصه: ((إن الذين استجابوا لهذه الدعوة هم بصورة رئيسية من العناصر الناقمة، ومن الذين لم تكن لهم جذور في الأرض الجديدة، وقد فضّل أغنياء المسبيين البقاء حيث هم)).

حتى أن اليهود الذين عادوا استجابة لدعوة كورش وجدوا كل شيء قد تغير وتبدّل ففوجئوا بالصورة التي كانوا يحلمون بها والتي نهاهم عنها آرميا.

ويؤكد الدكتور أحمد داوود تلك المعلومات في كتابه (تاريخ سوريا القديم صـ 632) فيقول: ((إن الصدمة التي أحدثها لقاء العائدين إلى الأرض التي أسروا

منها ، فالمدن قرى صغيرة معلقة على أكتاف الجبال،وقرية (أورشليم) شبه خربة ومن بقي من اليهود في تلك المنطقة يتكلمون العربية الآرامية ، إذ أن اللهجة الكنعانية كانت آخذة في التلاشي، أمام اجتياح الآرامية. وبالتالي إن شيئاً ما لم يكن ليشدهم إلى المكوث في تلك الأرض بين أناس أغراب وهكذا بدأت لدى بعض أولئك عملية التحول والانتقال من شبه جزيرة العرب. فتركوها وتوزعوا في سوريا الجنوبية)) وبخاصة في فلسطين وهنا سيكون لليهود الذين نزحوا إلى فلسطين دورٌ آخر في العهدين (اليوناني والروماني)..

ثانياً: اليهود في العهد اليوناني: (332 - 64ق.م):

رأينا في الفقرة السابقة ، أن عدداً من يهود السبي قد عادوا بمساعدة الملك كورش الفارسي الذي منحهم بعض الامتيازات ، وعيّن منهم حاكماً خاضعاً للملك. ومر معنا أيضاً أن قسماً من هؤلاء العائدين قد وجدوا الوضع في غرب شبه جزيرة العرب غير ملائم لهم فتفرقوا في سوريا الجنوبية (فلسطين الحالية) وسنرى في هذه الفقرة ، الدور الذي لعبه اليهود في فلسطين تحت نفوذ الحكم اليوناني.

في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، احتل الإسكندر الكبير بلاد الشرق الأوسط ، ابتداء من عام 332 ق.م ((احتل سوريا ومصر والعراق وبلاد فارس ووصل إلى وادي السند (الباكستان الآن) . وفي طريق عودته مات الاسكندر [1] في

[1] – وفاة الاسكندر عام 323ق.م في بابل، بالعراق.

العراق مما أدى إلى انقسام هذه الامبراطورية إلى عدة ممالك تابعة كل واحدة منها إلى واحدٍ من قادة الإسكندر. فكانت سوريا ومن ضمنها فلسطين تحت حكم القائد (سلوقس). ومصر تحت حكم القائد (بطليموس).

وهكذا وجد اليهود الذين انساحوا إلى سوريا الجنوبية، أنفسهم أمام وضع جديد وحاكم جديد. ولكن كهنتهم، الذين تعودوا التلاؤم مع أية حكومة أو أي حاكم، كي يستتب الأمر لهم كانوا على استعداد لوضع أنفسهم في خدمة الحاكم الجديد.

ومن هنا اغتنم هؤلاء فرصة الصراع بين (السلوقيين) في سوريا وبين (البطالسة) في مصر من أجل تثبيت أقدامهم في المنطقة. فكان عملهم تقديم خدمات تجسسية على العرب العموريين سكان سوريا. وتمكنوا بذلك من تثبيت أقدامهم في القدس، التي دُعيت بـ (أورشليم الجديدة) وسموها أيضاً (بنت أورشليم).

وعلى الرغم من استفادة اليهود من الخلافات بين الحكومة السلوقية في سوريا وبين (حكومة البطالسة) في مصر، وعلى الرغم من تمتعهم بوضع كهني ذاتي. لكن وضعهم بصورة عامة كان بين مدٍّ وجزر. تارة يخضعون لحكم البطالسة في مصر، وتارة يعود السلوقيون إلى فرض سيطرتهم على سوريا.

وفي عهد الملك السلوقي (انطيوخس الرابع) الذي حكم خلال الفترة الواقعة بين (175-164)ق.م تعرض اليهود إلى أسوأ حالات الاضطهاد، وتذكر المصادر أن انطيوخس هذا قد أجبر اليهود على نبذ اليهودية، واعتناق الوثنية اليونانية ، بعد أن دمّر معابدهم. ولعل ذلك يعود إلى تعاون اليهود مع حكام مصر البطالسة ضده. مما أدى إلى اندلاع ثورة اليهود (المكابيين) التي دامت حوالي القرن وربع القرن (166- 37)ق.م.

ومن جهة أخرى لعب اليهود في هذه الفترة دوراً قذراً مساهمة منهم مع المحتلين اليونانيين في تدمير التراث العربي السوري. فقاموا أولاً بوضع التوراة التي دعيت بـ ((الترجمة السبعونية)) باللغة اليونانية كما مرّ معنا سابقاً. حيث ساعد هذا في تزوير وتزييف الحقائق التاريخية والجغرافية.

ومن ثم ساهموا في تدمير التراث العربي السوري خدمة للمحتلين اليونانيين، الذين حكموا سوريا بعد الإسكندر، فكان لا يرضيهم التفوق الحضاري السوري عليهم في كل مجالات الثقافة، والتي تشهد عليها ملفات المؤرخ الفينيقي (سانخونياتن) الذي كتب تاريخ سوريا القديم في عدة مج لدا ت. وبعد أن نقله (فيلون الجبيلي) إلى اليونانية، مما أرعب اليونانيين فعلاً، حيث وجدوا أنفسهم تلاميذاً عند أساتذتهم السوريين في كل المجالات، عل ى الرغم من تفوقهم العسكري واحتلالهم لسوريا.

وليس أشد تأثيراً في نفوس اليونانيين، وإثارة لغضبهم من أن يروا تراثهم في معظمه من إنتاج السوريين. فأسماء الآلهة والأمكنة والمدن والمواقع والعلماء والفلاسفة والأدباء ومخترعي ((حروف الهجاء)) وغير ذلك من مجالات الحضارة الأخرى تجد أصولها في الفكر العربي السوري مدونة في مؤلفات (سانخونياتن) وغيره من الكتاب.

فكان لظهور تلك المؤلفات باللغة اليونانية وقع الصاعقة على المحتلين اليونانيين، الذين وجدوا التراث الإغريقي برمته يقوم على أساس الحضارة السورية. فانبرى كثيرون من الكتاب اليونان ومن الرومان بعدهم، وحتى من الكتاب الأوروبيين في العصور الحديثة، للرد على ما قام به (فيلون الجبيلي) وأخذوا يشككون بصحة وجود مثل هذا الكتاب لمؤرخ اسمه (سانخونياتن) واعتبروا ذلك عملاً مقصوداً ضد اليونان والغرب.

ويعلق الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) على ذلك بقوله:

((وعلى الرغم من مرور زمن طويل على عمليات الترسيخ في الذهن لكل ما هو يوناني وطمس كل ما هو عربي سوري، لكن حقيقة التراث العربي السوري كانت تصدم أولئك الكتاب. وبقيت حقيقة التراث العربي السوري ماثلة في الأسماء التي لا يمكن طمسها. فأسماء الآلهة والمدن والجزر والمعادن وحروف

الأبجدية وأسماء الأدوية والنباتات الطبية كلها وغيرها تبقى شاهدة على ذلك التراث)).

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ البريطاني ((وول ديورانت)) في كتابه "قصة الحضارة"

جـ 1 الفصل الأول صفحة 10 ما يلي: ((وقصارى القول أن "الآريين" لم يشيّدوا صرح الحضارة، بل أخذوها على بابل ومصر، وأن اليونان لم ينشئوا الحضارة إنشاءً لأن ما ورثوه منها أكثر مما ابتدعوه، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين، جاءت إلى موانئهم مع مغانم التجارة والحرب فإذا درسنا الشرق الأدنى، وعظمنا شأنه، فإنا بذلك نعترف بما علينا من دَيْنٍ لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأميركية وهو دَيْن كان يجب أن يؤدى من زمن بعيد)). وأعتقد أن هذه الشهادة كافية لمواجهة أعداء الحضارة العربية ! الذين حاولوا طمسها ! .

وفي ما يلي بعض الأسماء، يوردها الدكتور أحمد داوود في كتابه المذكور سابقاً صـ 485 على سبيل المثال:

((اسم القارة أوروبا = عروباء

اسم قادس = القدس.

اسم مرسيليا = مرث إيليا أو السيدة عليا.

اسم سلاميس = سلام

اسم كريت = قرية أو مدينة

اسم سموس = شمس.

اسم بيلو = بعل.

اسم مالطا = ملجاء أو مهرب.

اسم زيوس = الإله ذيو وهو ابن الإله إيل.

اسم هورا = حوراء.

اسم فينيسيا = فينيقيا

اسم ثيبا = طيبا

اسم استر = عشتار أو كوكب الزهرة . ..))

((وغير ذلك من الأسماء كثير، وأن ما ورد ليس إلا شواهد لا تمّحي،وتدل على عمق التأثير العربي السوري في حوض المتوسط عموماً وفي اليونان بوجه خاص)).

أما دور الكهنة اليهود في هذه المؤامرة، فكان الدافع له طبيعتهم العشائرية المتعصبة ضد السكان العرب، مما دفعهم إلى التعاون مع اليونانيين المحتلين في سبيل مسخ الحضارة العربية السورية، فعبثوا بكثير من حقائق التاريخ

والجغرافيا والفكر والأدب التي حققها العرب الكنعانيون والعموريون قبل ظهور الموسويين على مسرح الأحداث بزمن طويل. ونتيجة لظهور الترجمة السبعونية للتوراة، لقد جرى الخلط بين الأسماء، وصارت تُستبدل الأسماء الكبيرة المشهورة بالأسماء الصغيرة غير المعروفة. كأن تستبدل أسماء مدن كبيرة معروفة مثل: دمشق وحلب وبيروت وصيدا وصور وجبيل وحماه وقادش وأورشليم وأريحا، بالقرى غير المعروفة أو المندثرة أمثال: ذومسك وبئروت (الأبار) وصيدون وجُبله وجي مت وحلبا وأورشالم وغيرها. كذلك استبدلت أسماء الدول الكبرى مثل:

مصر وادي النيل بدلاً من مصرايم في زهران

آشور العراق بدلاً من آشور (بني سار) شرق زهران.

واستبدل البحر بالنهر فأصبح نهر الشعف = بحر سوف)).

ولا شك أن اليهود الذين فشلوا في إثبات وجودهم في الواقع الحضاري العربي المتقدم ذي الصبغة العلمانية، فاندفعوا من موقع اليهودية العشائرية المتعصبة بكل تخلفها، يشاركون في مؤامرة اليونانيين المحتلين ضد الحضارة العربية السورية.

وفي النهاية يجدر بنا أن نذكر موقف المؤرخين العرب السوريين الشجاع من تلك المؤامرة، حيث تصدوا لها بكل قوة، وهذا (فيلون الجبيلي) الذي عاش بين (61- 141) ميلادية، فلم يجد أفضل من ترجمة مؤلفات مواطنه (سانخونياتن)

إلى اللغة اليونانية وهو بذلك يتصدى لثلاثة من الخصوم في معركة الدفاع عن تراث سوريا وحضارتها:

فهو أولاً : يتصدى لكبرياء المحتلين الأجانب للأرض السورية ويذكّرهم بتفوق المغلوب على الغالب حضارياً.

وهو ثانياً: يتصدّى لمدونات التوراة بما فيها من تشويه وتزوير لأسماء المواقع ومسخ التراث الحضاري. ويتصدى لكهنة اليهود الذين شاركوا المحتلين اليونان في المؤامرة الكبرى ضد التراث الحضاري العربي السوري.

وهو ثالثاً: يتصدّى للرعيل الأول من مؤسسي الكنيسة بما يحملونها من تعصب ضد كل ما هو سابق للمسيحية.

((فهل تصدّى مؤرخونا في العصر الحاضر لمؤامرات الصهيونية العالمية المتحالفة مع الدول الاستعمارية ضد الأمة العربية؟)).

وهل اتخذ أحدهم من فيلون الجبيلي مثلاً في الدفاع عن الأمة العربية وكشف أكاذيب الصهيونية في ادعائها بأن فلسطين هي (أرض الميعاد) ؟!..

ثالثاً: اليهود في العهد الروماني (64 ق.م إلى 638 ب.م):

إن الحكم الروماني في سوريا ، يعتبر امتداداً للحكم اليوناني فيها ، حيث تابع اليهود تعاونهم مع الرومان في فترات متعددة. وقبل الكلام عن علاقة اليهود بالرومان نرى إيجاز الاحتلال الروماني لسورية ضرورة لإيفاء الموضوع حقه.

تقدم الرومان من روما شرقاً فاكتسحوا جنوب شرقي أوروبا أو ما يدعى الآن (منطقة البلقان) ثم احتلوا بلاد اليونان وآسيا الصغرى، (تركيا الآن) ثم احتلوا سوريا بما فيها فلسطين عام 63 ق.م.

واجه الرومان في فلسطين التمرد اليهودي، أي (الثورة المكابية) التي كانت قد نشبت في أواخر الحكم السلوقي واستمرت حتى الاحتلال الروماني ولكن الرومان تمكنوا من القضاء على الثورة عام 37 ق.م.

ونتيجة لذلك قام الرومان بإبعاد الأسرة المكابية، والاستعاضة عنها بالأسرة (الهيرومية). ففي عام 29ق.م عين الإمبراطور الروماني ((هييرودوس)) الأدومي حاكماً على فلسطين، الذي استمر حكمه حتى وفاته سنة 4 ق.م، فعيّن الرومان حفيده (هيرودوس اغريبا).

وفي عهد هذا كان السيد المسيح (عليه السلام) قد بدأ التبشير بالدين الجديد. فوقف مجلس الكهنة اليهود (السنهدرين) يعارض الدعوة الجديدة واعتبر دعوة السيد المسيح تهديداً للديانة اليهودية، فحرضوا الحاكم الروماني ضده، وتمت مؤامرة مجلس الكهنة بصلب السيد المسيح عام 29ب.م ولكنهم فشلوا في القضاء على المسيحية.

أعقب ذلك فترة اضطربت الأحوال فيها، بسبب وجود موظفين رومان سيئي السمعة قساة التصرف، دأبهم جمع الأموال عن طريق الابتزاز والرشوة. مما أدى إلى وقوع انفجار شعبي كبير.

ففي عام 66ب.م انفجرت الثورة في فلسطين على الحكم الروماني أجبر ذلك الدولة الرومانية على إرسال جيوش كبيرة لمواجهة الموقف. وبعد سلسلة من المعارك تمكن الرومان من السيطرة على الموقف، والقضاء على الثورة، فدخلت الجيوش الرومانية مدينة أورشليم سنة 70ب.م. وأوقع الرومان مذبحة مريعة باليهود، وخرّبوا المدينة، ثم سيق عدد من الأحياء كأسرى. وتحولت أورشليم إلى مستعمرة رومانية حُرّم على اليهود سكناها وبذلك قضي على الكيان الديني لليهود في فلسطين.

بعد ذلك ساد الهدوء حوالي نصف قرن. حيث اشتعلت ثورة جديدة بقيادة (باركوخبا) أحد زعماء اليهود. واعتصم الثوار في المواقع الجبلية الحصينة وأخذوا يقاتلون قتال (حرب العصابات) وتمكنوا من الاعتصام في مواقعهم ثلاث سنوات (132- 135ب.م).

جرّد الرومان حملة كبيرة بقيادة الإمبراطور (هادريان)، اجتاحت مواقعهم وأزالت حصونهم وأحرقت قراهم وقتلت منهم أعداداً كبيرة، فكانت هذه هي الضربة الأخيرة لوجود اليهود في فلسطين.

ولما احتل العرب المسلمون فلسطين بعد التغلب على الروم البيزنطيين ودخلوا مدينة القدس عام 638 م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 17هـ لم يكن لليهود أي وجود فيها.

في الواقع لم تكن علاقة الحكام الرومان باليهود كلها حرب وملاحقة، بل مع مرور الزمن، أخذت سياسة القمع ضد اليهود تتبدل، لأن الرومان وجدوا في الكهنة أدوات جاهزة للاستخدام ضد أبناء البلاد العرب لقاء بعض الامتيازات. ويقول الدكتور فيليب حتّي في كتابه (تاريخ سوريا الجزء الأول صـ375) ما يلي:

((وحصل الصدوقيون الذين كانوا يمثلون الفئة الأرستقراطية ويحتكرون الوظائف على تأييد روما)).

لقد تعوّد اليهود على وضع أنفسهم في خدمة الأجنبي، وانفردت العشائر اليهودية المتخلفة، بالعمالة من أجل الحصول على المكاسب من أية جهة تعتمد عليهم. لقد رأينا فيما سبق كيف دخلوا في خدمة الدولة السورية البابلية، وفي خدمة ملوك مصر وادي النيل، ثم في خدمة الدولة الفارسية، واليونانية ومن ثم الرومانية. وفي العصر الحديث وضعوا أنفسهم في خدمة الدول الاستعمارية وما زالوا حتى الساعة.

وقد وجدوا في فترة الحكم الروماني على سوريا، فرصتهم الذهبية ليصبوا جام غضبهم وحقدهم على العرب والحضارة العربية السورية والتراث العربي

الأدبي والعلمي والديني، فأحرقوا قسماً وسرقوا الباقي. وأقنعوا الحكام بسن القوانين ووضع الأحكام من أجل ملاحقة وتصفية العناصر النشيطة بتهمة الكفر والهرطقة، باسم الدفاع عن الدين الجديد (المسيحية).

وبذلك أُحكمت خيوط المؤامرة بين الكهنة اليهود وبين الحكام الرومان بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة الرسمي. وبرز من أولئك الكهنة اليهود ((أوزيب اليهودي)) المتنصّر والذي وضع نفسه في خدمة الإمبراطور قسطنطين (القرن الرابع الميلادي) فقرّبه قسطنطين وعيّنه في مراتب دينية عليا. فوضع أوزيب عدة مؤلفات تاريخية منها ((التاريخ الكنسي)) و((الاستعداد للحياة الإنجيلية)). وقد تمكن هذا اليهودي الحاقد، من الحصول على مؤلفات (سانخونياتن) و(فيلون الجبيلي) فأخفاها بعد أن انتحل الكثير منها لنفسه، ثم دمّر الباقي.

بالإضافة إلى ذلك، شارك المسيحيون الأوائل في اتخاذ موقف مشابه لموقف كهنة اليهود من التراث الحضاري السوري وفي ذلك يقول الكاتب يوسف الحوراني في مقدمة الترجمة للجزء الأول من كتاب (أوزيب) (التمهيد للحياة الإنجيلية) ما نصه ((فالمسيحية الأولى لم تكن في موقفها من العقائد الفينيقية، غير يهودية متجددة، مفعمة بالحقد على الكنعانيين وعقائدهم ومعطيات ثقافتهم، حتى يخال المرء الذين حكموا على كتب الفلسفة بالحرق هم أحفاد الكهنة الذين حكموا على يسوع بالصلب وعلى كهنة البعل بالقتل)).

ويقول البطريرك (أفرام الأول برصوم) في كتابه ((اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية صـ 17)) مانصه: ((وكان جدودنا حين اعتناقهم الدين المسيحي المبين وتذوقهم حلاوته، ضحوا في سبيله بأغلى ما عندهم، فأحر قوا كل الكتب والآثار المدنية والعلمية خشية أن يقع أحفادهم في شرك التوثن)).

وقد كان لدور الكنيسة الأولى وقع في نفوس جماهير السوريين من المسيحيين البسطاء، فوقعوا ضحية لصدق إيمانهم وأسلموا كل ما لديهم من الكتب والآثار الأدبية والعلمية للحرق والتدمير.

وخلاصة ما تقدم أن اليهود الذين لم يتركوا في (بلاد غامد وزهران أو في فلسطين) أي كيان سياسي يهودي خاص بهم. ولكنهم تركوا ديانة متأخرة مقتبسة من عقائد العرب الكنعانيين والآراميين والبابليين، حتى أن عهد الملوك بما فيه (عهد داوود وسليمان) كان عهداً كنعانياً بلغته وثقافته.

ويعزو المؤرخون فشل اليهود في إنشاء مملكة أو دولة زمنية دائمة، إلى عدة عوامل: منها أن الوجود اليهودي لم يقم على عامل قومي أصيل بثقافته ولغته وتقاليده ووطنه. بل كان كل ما مارسوه من لغة وثقافة وديانة وتقاليد مقتبساً من البيئة العربية التي عاشوا فيها.

يضاف إلى ذلك أن الكيان اليهودي كان قائماً على الاغتصاب والاعتداء مع ادعاء اليهود بالتفوق العنصري والاستعلاء على بقية الشعوب والاعتقاد أن اللّٰه جعلهم شعبه المختار وجعل الناس جميعاً عبيداً لهم.

وهذا بعث النفرة والكراهية والانعزالية بينهم وبين سكان البلاد التي عاشوا فيها. فإن نجح يهود اليوم في إقامة دولة إسرائيل في فلسطين، فإن هذا ما كان له أن يحدث لولا سعي الدول الاستعمارية لإقامة هذا الكيان لحماية مصالحهم في الوطن العربي، في وقت كان العرب فيه يعانون من التفكك والتخلف.

الفصل العاشر

الديانة اليهودية وعوامل نشوئها

1- عوامل نشوء الديانة اليهودية.

2- مصادر الديانة اليهودية :

أ - التوراة أو العهد القديم.

ب- التلمود.

- التوراة في ضوء الاكتشافات الآثارية.

- التلمود في ضوء الاكتشافات الآثارية.

3- انتشار الديانة اليهودية - اليهودية في بلاد الخزر.

4- هل يكوّن اليهود جنساً أو عرقاً واحداً.

أولاً: عوامل نشوء الديانة اليهودية[1]:

إن التطورات الدينية الهامة التي حدثت في تاريخ الديانات الشرقية، تركت أثراً على كل ا لديانات اللاحقة، وخصوصاً على الديانة اليهودية، التي تكونت نتيجة المخاض الديني والصراعات الدينية داخل مجموع الديانة العربية السورية، ولم تُجلب من الخارج كما يعتقد معظم مؤرخي الديانات.

فاليهودية لم تأتِ بدين جديد، بل جاءت لتطور الديانة في الوطن العربي ذاته، وكان للجدل الديني في عبادة الآلهة القديمة تأثير كبير على نشوء الديانة اليهودية، فالجدل بين عبادة (بعل وعشتار) آلهة الأرض والطبيعة من جهة، وبين عبادة (إيل) سيد السماء المتعالي عن الأرض من جهة ثانية، قد انتهى لصالح (إيل) كإله واحد في الديانة (الكنعانية - الإبراهيمية) التي أسسها إبراهيم الخليل. وقد سارت اليهودية على نهج الإيلية شوطاً، ثم انحرفت عنها لتجعل الإله (يهوه) بدلاً من إيل.

إذن فالديانة اليهودية في مراحلها الأولى لم تتمايز عن ديانة (كنعان) وأن التراث الإبراهيمي الذي يدعيه اليهود لأنفسهم، والذي يبدأ بالأب الأول إبراهيم وينتهي بيعقوب، ليس إلا تراثاًكنعانياً ينتمي للاتجاه الإيلي ويشارك فيه عدد من فروع العرب في الأرض العربية.

---

[1] ـ في هذه الفقرة،استعنت بكتاب (لغز عشتار) للأستاذ فراس السوّاح.

ولم يكن إله موسى التوراتي سوى إيل كنعان وإيل إبراهيم، ليس كما يعتقد المؤرخون أن موسى كان يحمل ديانة فرعون مصر (أخناتون) التي تدعو إلى عبادة الشمس. فلم ينجح موسى في تحقيق غاياته التي تهدف إلى عبادة الإله (إيل).

فمنذ تجوال موسى مع جماعته في غرب شبه الجزيرة العربية، محاولاً الدخول إلى أرض كنعان في (غامد وزهران) كان قومه يرتدّون، مرة بعد مرة، عن عبادة إله موسى ويعودون إلى عبادة آلهة أخرى (البعل وعشتار) وكانت أول ردّة قد حدثت تحت إشراف هارون، بينما كان موسى معتكفاً في الجبل يتلقى وحي الرب، وقد طالت غيبته، فأتى قوم موسى إلى هارون كما تقول التوراة في سفر الخروج (32: 1- 4) ما نصه : ((ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب إلى هارون وقالوا: قُمْ إصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى .. لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصنعه (عجلاً) مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل)).

أدى ذلك إلى غضب موسى فصهر تمثال العجل بالنار، ويقترن غضب موسى بغضب الرب على الشعب فدفعهم إلى يد أعدائهم الذين أهلكوا منهم كثيرين، ولكن عقاب الرب الشديد وغضب موسى، لم يفلح في توطيد عبادة إله واحد حيث تروي التوراة أن قوم موسى كانوا يغتنمون كل فرصة للعودة إلى عبادة

(البعل) ((فعل الشعب الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم وساروا وراء آلهة الشعوب الأخرى - البعل وعشتروت - فحمي غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم ولم يقدروا على الوقوف أمام أعدائهم)).

لكن موسى يمضي بعدها إلى الرب يسأله أن يغفر للشعب خطيئته، فيعطي الرب مغفرته لقوم موسى.

ومنذ أن استقر قوم موسى في الأرض التي حصلوا عليها من أرض كنعان في (غامد وزهران) ، كانت ديانتهم استمراراً للديانة الكنعانية مع بعض التحوير الذي طرأ على اسم الإله (إيل) ليصبح الاسم الجديد لايل (يهوه) وتذكر التوراة ذلك في سفر الخروج (3: 15) ((وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل (يهوه) إله آبائكم وإله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، أرسلني إليكم. وهذا اسمي إلى الأبد)).

وأما عن اسم (يهوه) فقد تعددت نظريات الد ارسين حول اشتقاقه منها: أن الاسم من أصل كنعاني مشتق من اسم أحد أبناء إيل المدعو (ياو) أو (ياويل).

ومهما يكن الأمر في أصل اسم (يهوه) اليهودي فإنه ليس إلا إيل الكنعاني في حلة جديدة تحت اسم جديد.

ولكن (يهوه) اليهودي يدخل منذ البداية في معركة ضد آلهة كنعان الأخرى ولكنه لم يستطع تثبيت أقدامه قبل مرور ألف عام على وجود قوم موسى في أرض كنعان. وبذلك تأخذ اليهودية شكلها النهائي وتنفصل تدريجياً عن ديانة كنعان.

ويموت موسى في ظروف غامضة قبل تحقيق أهدافه، فلا هو استطاع فرض إله واحد على قومه ولا هو حقق لهم وعده بالأرض الجديدة.

ويعتقد بعض المؤرخين أن موت موسى في ظروف غامضة، يعود إلى صراعه مع الكهنة حول تثبيت عبادة الإله (إيل). فقتلوه ودمّروا كل ما جاء به من مبادئ وتعاليم دينية.

وفي زمن يشوع الذي جاء بعد موسى في قيادة الشعب، تمّ الاستيلاء على بقعة صغيرة من أرض كنعان، وفي زمن القضاة الذي تلا موت يشوع بن نون، عاد قوم موسى إلى عبادة (البعل وعشتروت) ولم يستتب الأمر ليهوه حتى ولا في فترة حكم الملوك، فالملك سليمان الذي كان أكثر الملوك شهرة في نظر التوراة، كان يحاول التوفيق بصورة رسمية بين عبادة يهوه وعبادة (البعل وعشتروت).

وهكذا بقيت الديانة اليهودية حتى القرون الأخيرة السابقة للميلاد، ديانة كنعانية، وليست نصوص التوراة سوى استمرار للنصوص الدينية في الأرض العربية، كما يُستدل من نصوص (أوغاريت) رأس شمراء.

ثم تحدث التلفيق ة الكبرى خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، حينما بدأ كهنة اليهود في الأسر بتدوين التوراة في صيغتها النهائية ، حيث حاول الكتبة إظهار الاتجاه اليهوي) نسبة إلى يهوه، ((داخل الديانة اليهودية المتعددة الاتجاهات على أنها ديانة يهودية مستقلة ومتميزة منذ بدايتها الأولى ، وأن الاتجاهات الأخرى لم تكن إلا تأثيرات غريبة طرأت على الديانة اليهودية من خارجه. وخاصة بعد الاحتكاك المباشر بشرائع وثقافة وادي الرافدين الناضجة ذات التاريخ العريق)).

وفي نهاية الأمر كان لا بد من حدوث (الانقلاب المسيحي) داخل المؤسسة الدينية اليهودية من أجل تحرير فكرة الإله الواحد الشامل ونشرها وذلك لأن هذه الفكرة كانت قد وصلت إلى مأزق الخروج منه ، مع التعصب الديني والانغلاق الثقافي للشعب اليهودي ، وإصراره على احتكار الإله الكوني واعتباره الهاً لليهود فقط ، وخصماً لبقية البشر.

وعلى الرغم من أن المسيحية بدأت أول عهدها كإصلاح ديني داخل المؤسسة الدينية اليهودية. وعلى الرغم من أن أصحاب الاتجاه (اليهودي - المسيحي) قد فسروا أقوال السيد المسيح على هواهم. وعلى الرغم من أن بعض الحواريين وعلى رأسهم بطرس الرسول لم يبشروا بالمسيحية إلا بين أفراد الجاليات اليهودية خارج فلسطين. لكن المسيحية استطاعت بعد فترة قصيرة أن تثبت رسالتها الإنسانية الشاملة وأن تتوجه إلى بني البشر جميعاً.

ومن ناحية ثانية لم يكن الانقلاب المسيحي الجذري هو الذي حمل إلى العالم منفرداً فكرة الإله الكوني الواحد. ففي جزيرة العرب، التي بقيت طيلة التاريخ القديم في منأى عن أحداث العالم وصراعاته. والتي احتضنت لأجيالٍ، الديانة الإبراهيمية بفرعها الإسماعيلي (نسبة إلى إسماعيل)، بقي (الإله الكوني) الواحد حياً في قلوب الجماعات الحنيفية المتفرقة حتى أرسل الله وصيه (محمد) صل الله عليه وسلم، برسالة الواحد الحق ((قُلْ هو اللّه أحد اللّه الصمد لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد)). صدق الله العظيم (سورة الإخلاص: 1- 4).

وبعد أقل من ربع قرن على نـزول هذه الآيات، كان الإسلام يطرق بوابات العالم القديم، وينشر فكرة الإله الكوني الواحد في مطلع الشمس ومغاربها. مشكلاً مع المسيحية الحياة الروحية لإنسان العالم الحديث، في الوقت الذي تحجّر فيه إله العهد القديم مع البقايا العنصرية للمجتمع اليهودي.

ثانياً: مصادر الديانة اليهودية:

من المعروف الآن لدى المؤرخين والباحثين أن الديانة اليهودية تقوم على مصدرين رئيسيين، بالإضافة إلى التعاليم والشروح التي تركها الكهنة عبر قرون طويلة : فالمصدران هما:

أ- التوراة: وتعرف أيضاً بالعهد القديم لتمييزها عن العهد الجديد (الأناجيل).

ب- التلمود: ويعني (التعاليم) أو (الشرح والتفسير) ويشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية بما في ذلك الشروح والتعليقات التي وضعها أحبار اليهود وعلماؤهم، وبنوا عليها سنناً وأداباً صارت على مرّ الزمن محل تقديس عند اليهود كالتوراة.

أ - التوراة أو العهد القديم : وهي عند اليهود (توره) ومعناها (الهدى والإرشاد) وتقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

1- **القسم الأول**: ويضم الأسفار الخمسة الأولى ويطلق عليها (كتب موسى الخمسة) (سفر التكوين - سفر الخروج - سفر اللاويين - سفر العدد - سفر التثنية). وتضمنت هذه الأسفار، مزيج من القصص والأساطير والشرائع تربط بين سياق الحوادث منذ خلق العالم حتى موت موسى.

2- **القسم الثاني**: ويُدعى أيضاً (نبييّم) أي الأنبياء ويشتمل على : سفر يشوع - سفر القضاة - سفر صموئيل الأول والثاني - سفر الملوك الأول والثاني - أخبار الأيام الأول والثاني - الأنبياء من (عزرا إلى أيوب).

3- **القسم الثالث** : ويدعى أيضاً (كتوبيم) أي الكتابات والأشعار. ويضم واحداً وعشرين سفراً من (مزامير داوود إلى ملاخي). وبذلك يكون العهد القديم مؤلفاً من تسعة وثلاثين سفراً.

إن بعض فئات اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة، لأنهم يزعمون أن تلك الأسفار هي (كتب موسى) ومن هؤلاء فئة (السامريين) الذي يحتفظون بنسخة قديمة من هذه الأسفار ولا تزال بقايا هذه الفئة موجودة حتى الآن ولا يتجاوز عددها المائتي نسمة، يتكلمون اللغة العربية، وترتكز عقيدتهم على الأركان التالية: (وحدانية اللّه، نبؤة موسى، قداسة جبل جرزيم، الإيمان بأن الأسفار الخمسة منزلة من اللّه، الإيمان بيوم القيامة والبعث).

وهناك فرقة يهودية أخرى مؤلفة من بعض الكهنة وبعض الكتبة تسمى بـ (الصدوقيين) نسبة إلى رائدهم الأول (صدوق)، ظهرت هذه الفئة في العهد اليوناني. ولا يعترف هؤلاء بما أتى به الشيوخ والكتبة مما هو خارج الوحي المدون في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى. وهم في ذلك يقفون مع السامريين على صعيد واحد.

ومع ذلك تبقى التوراة المصدر الأساسي عند أغلبية اليهود في العالم. مع التأكيد على أن الديانة اليهودية هي ديانة كهنوتية، لأنّ الكهنة هم الذين يفسرون التوراة، وينفذون الشريعة، ويوجهون الشعب في ممارسة الشعائر الدينية، ويُعتبر الكهنة على أنهم الواسطة بين الشعب وبين الإله (يهوه). ومن كبار طبقة الكهنة يتألف (مجمع اليهود الديني الأعلى) المعروف بـ (السنهدرين). أصل الكلمة من اللغة اليونانية وتعني (المجلس). تأسس السنهدرين في العهد اليوناني في

(أورشليم الجديدة) أي القدس الآن، بعد نـزوح اليهود الذين عادوا من الأسر إلى فلسطين. ولكن اليهود يعتبرون أن أول (سنهدرين) كان في زمن موسى، لما دعا سبعين من شيوخ إسرائيل يعملون معه في قيادة الشعب إلى أرض كنعان أو (أرض الميعاد) كما يدّعي اليهود.

وقد لعب السنهدرين دوراً هاماً في حياة اليهود الدينية والاجتماعية والسياسية في الفترة التي تلت عودة اليهود من الأسر البابلي في العهد الفارسي.

كان (السنهدرين) يتألف من فئتين من الكهنة؛ الفئة الأولى وتدعى (سادوسي) أي الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على الزهد والتعبد.

الفئة الثانية وتدعى (بيروشيم) وهي التي تدفع الناس إلى العمل والكسب والإثراء ليصبح الشعب اليهودي ذا قوة مادية كبرى.

كانت صلاحيات (السنهدرين) تضيق وتتسع من وقت لآخر حسب رغبة الحكام (اليونان أو الرومان) بالتعاون مع أعضائه، ولكن السنهدرين كان في العهد الروماني يتمتع بصلاحيات دينية واجتماعية واسعة خاصة باليهود وبما لا يتعارض مع المصالح السياسية للرومان.

بعد هذا الاستعراض الموجز للديانة اليهودية التي تستند إلى التوراة بالدرجة الأولى؛ غير أنه يرد إلى الذهن السؤال التالي: هل التوراة الموجودة الآن بين أيدينا،

هي توراة موسى والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم؟! وهل حافظت التوراة على الأصل دون تحريف؟!.

من المؤكد أن التوراة المتداولة في الوقت الحاضر، قد دُونت بعد موسى بزمن طويل، فحُرّفت وأُضيف إليها ما اتفق مع رغبات ونزعات الكهنة، وقد مرت بعدة أدوار، من الرواية الشفوية والانتخاب والحذف والإضافة إلى دور التدوين. وإلا فكيف يمكن أن يكون قد نزل أمر الرب، بقتل الأطفال والنساء والشيوخ، في حين أن إحدى الوصايا العشر تأمر بعكس ذلك (لا تقتل)؟!.

كان أول تحرير للتوراة معروف هو (الترجمة السبعونية) باللغة اليونانية والتي تعود إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، أي عهد الدولة السلوقية في سوريا ولا يُعرف أكانت ترجمة حقاً أم تأليفاً عكف كهنة اليهود على وضعها، دون أن يتركوا أية إشارة إلى النص الأصلي، كما لم يُعثر على أي وجود للنص الأصلي حتى الآن. اشترك في وضع النص اليوناني (اثنان وسبعون) كاهناً من اليهود واستغرق العمل زهاء مائة عام تقريباً.

أما النص (العبري) الموجود الآن لم ينتهِ تحريره إلا في القرن الثامن الميلادي. وأُلصقت التوراة أو (العهد القديم) بالأناجيل المسيحية أو (العهد الجديد) لتشترك معه تحت مظلة القداسة، ولتكون في مأمن من النقد بعد أن تبين أمر التوراة

وصار معروفاً ما تحتويه من انتحال وتزوير وتشويه وما تعجّ به صفحاتها من تحوير للوقائع التاريخية والمواقع الجغرافية.

وأصبح من المتعذر تحديد القسم الذي يرجع إلى زمن موسى، أو تمييز القسم الذي أضيف فيما بعد أو القسم المحرّف من الأسفار التي تحتويها التوراة. ويعتقد المؤرخون أن الوصايا العشر هي وحدها أصل الشريعة التي وضعها موسى.

إن كل ما أحاط التوراة من شك، جعل الديانة اليهودية عاجزة عن مواجهة العقائد الدينية عند القبائل العربية البدوية، وعاجزة أيضاً عن الانتشار بين العرب. وذلك أن البدو في شبه جزيرة العرب كانوا يعلمون أن ما أتى به موسى، قد تمّ إخفاؤه أو إتلافه. مما حدّ من انتشار الديانة اليهودية بين ربوع الجزيرة العربية، وجعل البدوي العربي ينظر إلى معتنقي الديانة اليهودية، نظرة مفعمة بالشك وعدم الثقة.

وأورد القرآن الكريم إشارات إلى هذه الظاهرة في أكثر من موضع: ففي سورة الأنعام الآية 91 تنص : ((وما قدّروا الله حق قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء، قُلْ مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تُبدونها وتُخفون كثيراً)).

صدق الله العظيم

ففي هذا الدليل الواضح والأكيد على اختفاء الأصل وبقاء الموضوع المزوّر من قبل الكهنة.

ويتضح مما تقدم أن التوراة، دُونت بعد إبراهيم الخليل بألف وثلاثمائة سنة وبعد موسى بأكثر من سبعمائة سنة، وهي بالتأكيد غير التوراة التي جاء بها موسى. وحول هذا الموضوع يقول الكاتب (لودس) في كتابه (إسرائيل) صـ 359 ما يلي: ((إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر إلى عصر موسى، لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرّض إلى التكرار وإعادة التصنيف وإلى تغيير وتوسيع مستمرين على مرّ العصور)).

تبقى معرفة ما تقوله الاكتشافات الآثارية، ضرورة لازمة للتأكد من تعارض ما أوردته التوراة مع ما خلفه الإنسان من معلومات سبقت زمن التوراة بكثير، وتدل على بطلان الكثير من مدونات التوراة. وهذا يقتضي وضع التوراة أمام الاكتشافات الآثارية.

بقيت التوراة قبل ظهور الاكتشافات الآثارية، بالإضافة إلى الكتابات اليونانية والرومانية المتأخرة، المصدر الوحيد الذي يرجع إليه الباحثون في تاريخ اليهود وعلاقتهم بفلسطين. باعتبارها من أقدم الكتابات في تاريخ البشرية، فضلاً عن اعتبارها مقدسة، ولذا كان الباحثون يتقبلون كل ما ورد في التوراة

من عرض للأحداث والوقائع، على أنها حقائق دون نقاش أو جدال لكونه من المسائل المقدسة من جهة، ومن جهة ثانية لعدم وجود أي كتاب قديم ينافس التوراة في هذا الميدان.

ومع ذلك بدأ الشك يأخذ طريقه إلى أفكار الباحثين الذين بدأوا يتساؤلون عن منزلة التوراة كمصدر تاريخي موثوق به، ((أين ومتى، وكيف، وبأية لغة ظهرت التوراة، وما هي صلتها بالثقافات القديمة التي سبقتها؟!)).

بقيت هذه الأسئلة دون جواب إلى أن ظهر عصر الاكتشافات الآثارية. التي وفرت للباحثين ثروة ضخمة من المعلومات الحقيقية التي تركها الأقدمون قبل زمن التوراة بمئات السنين.

وهؤلاء الأقدمون على امتداد الأرض العربية هم ((السومريون والأكاديون والبابليون والآشوريون والكنعانيون والعموريون والفينيقيون والآراميون والمصريون)).

عثر المنقبون من علماء الآثار على كثير من المعلومات، خلال القرن التاسع عشر والعشرين، فترجموها إلى اللغات الحديثة، وأصبحت في متناول أيدي الباحثين. حيث وصلت تلك المعلومات إليهم كما هي في الأصل كما كُتبت أو نُقِشت بحروفها ولغاتها الأصلية، على عكس ما عُرف عن التوراة من تباعد في العصر وتبديل في اللغة.

وقد ساعدت تلك الوثائق على كشف كثير من الأمور الغامضة والتمييز بين الوقائع الحقيقية وبين الأساطير الخيالية والتحريفات المتعمدة في التوراة، ويمكن إجمال ما أوضحته المكتشفات بما يلي:

1- تحديد أكثر مواقع المدن والأماكن الوارد ذكرها في التوراة.

2- تعيين تواريخ الحوادث بصورة أقرب إلى الحقيقة وبحسب تسلسلها الزمني بالمقارنة مع ما ورد في التوراة.

3- عرف الباحثون أن الكثير مما ورد ذكره في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع أصله إلى الثقافة العربية في كنعان وبابل. وأن ما قدمه اليهود ليس مبتكراً بل منقولاً عن غيرهم.

4- توصل الباحثون إلى معرفة أن مواد تشريعية عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة (حمورابي) والشرائع عند العرب القدماء. بل هي نفسها التي كان الكنعانيون والبابليون يمارسونها قبل ظهور موسى وجماعته.

5- ثبوت أن الأسماء التاريخية الواردة في التوراة من أسماء (أشخاص أو أماكن) هي من أصل عربي كنعاني أو آرامي تعود إلى ما قبل ظهور اليهود بأكثر من ألفي سنة.

6- ثبوت كون اليهود عاشوا في قسم من أرض كنعان (غامد وزهران) غرب شبه جزيرة العرب، وليس في فلسطين الحالية التي اعتبرتها التوراة أرض كنعان خطأً.

ومع ظهور عصر الاكتشفات الآثارية، بدأ يسود بين الكتّاب المحدثين الشعور بأن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية والديانة اليهودية بالثقافات العربية القديمة، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ (هوك **Hook**) في مقدمة كتابه (أصول الديانات السامية القديمة) ما نصه: ((إننا الآن في وضع أكثر ملائمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة)).

ويقول الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) صـ 187 ما يلي: ((لقد آن الأوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم، وعليهم أن يوغلوا في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون، فمهدت السبيل للتمييز بين الغث و السمين واقتفاء التواريخ حسب تسلسلها الزمني)).

ويقول الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 464 ما نصه: ((إن التوراة بكل قصصها وأمثالها، وحكمها وأناشيدها ومزاميرها،

ليست إلا تسجيلاً خطياً لبعض التراث العربي الكبير الشفوي والمكتوب الذي كانت تزخر به الساحة العربية كلها ، وقد أثبتت ذلك مكتشفات رأس شمرة (أوغاريت) ومكتبة آشور بانيبال ورسائل العمارنة وغيرها. وإن مهمة الباحث العربي ليس إلا دراسة هذا التراث العربي ككل وفرز كل ما أُلحق به من تزوير وتحريف خلال عمليات النقل والترجمة)).

ب - التلمــود:

يعني التلمود (التعاليم أوالشروح) ويحتوي على مجموعة الشرائع اليهودية التي دوّنها الكهنة ، شرحاً وتفسيراً للتوراة ، وهو عند اليهود جزء من أحكام الديانة اليهودية ويُقسم إلى قسمين:

1 - المشِنه: أي النص أو المتن.

2- الجمارا: أي التفسير أو الشرح.

المِشنة : عبارة عن مجموعة تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحي الحياة اليهودية مع كونها مرفقة ببعض الآيات من التوراة. ويزعم الكهنة أن هذه التقاليد والتعاليم أملاها موسى على شعبه ، ثم تداولها هارون ويشوع ، ثم نقلوها إلى الأنبياء ، ومن بعدهم انتقلت إلى أعضاء المجلس الأعلى (السنهدرين) وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام (يهوذا) ودوّنها.

أما **الجمارا** : فهي مجموعة المناظرات والتعاليم والتفاسير التي دُونت في المدارس اليهودية في العالم بعد انتهاء تدوين المِشنة.

ويحتوي التلمود على أبحاث موزعة إلى ستة أبواب هي:

(الفلاحة - الأعياد والمواسم - النساء وما له علاقة بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وارث ووصيّة - النواهي والعقوبات - الذبائح وما يتعلق بالتقديمات والقرابين ومراسيم الهيكل - الطهارة).

وبذلك يكمّل التلمود أحكام الديانة اليهودية التي استغرق وضعها أكثر من ألف عام (من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الخامس بعد الميلاد).

ويوجد عند اليهود (تلمودان)، الأول ويُعرف بالتلمود الأورشليمي، وقد كُتب بين القرن الثالث والقرن الخامس الميلادي، كتبه (حاخامو) طبريا بالآرامية الغربية. والثاني، ويُعرف بالتلمود (البابلي) انتهت كتابته بصيغته النهائية في بابل في القرن الخامس الميلادي، كُتِبَ بالآرامية الشرقية.

يؤكد التلمود على مبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري عند اليهود، على بقية شعوب الأرض، وجعل الناس جميعاً عبيداً لليهود (لأن الله اختارهم أو اصطفاهم دون سواهم من البشر) وتتجسّد في التلمود انعزالية الشعب اليهودي عن غيره من الشعوب، كما يؤكد على حق اليهود في امتلاك خيرات وثروات الأرض التي وهبها لهم إلههم الخاص (يهوه) دون بقية شعوب العالم.

لذلك حرص اليهود على إخفاء التلمود كي لا يطلع عليه غيرهم خوفاً من ثورة العالم المسيحي ضدهم. فقد أخفوه قروناً طويلة. وفي عام 1242 م أمرت الحكومة الفرنسية بإحراق التلمود في باريس علناً. وقد تمّ حرقه عشرات المرات في مختلف الأوقات والأماكن.

ويقول العلامة (وول ديورانت) في كتابه قصة الحضارة: ((إن الربانيين والحاخامين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يُرضي غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى استعلائهم على بقية أجناس البشر)).

وفي النهاية أجد من المفيد ذكر ما قاله الدكتور أحمد سوسه في كتابه العرب واليهود في التاريخ) صـ 175 - 176 : ((اشتغل كثيرون من اليهود بالفلسفة بروح حرّ ة في زمن العرب وعُني آخرون في شرح التوراة والتلمود على أساس عقلي. ويشير الإخباريون إلى أن (حاخاماً) من العراق اسمه (حنان بن داوود) ثار على التلمود ، الذي كان اليهود يرضخون تحت أغلاله ودعا إلى الاكتفاء بالتوراة. وأنشأ في بغداد طائفة يهودية جديدة هي (القرائية) بلغ عدد أعضائها نحو عشرة آلاف نفس)).

وللتلمود نسخة باللغة الإنكليزية بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته يبلغ عدد أجزائها (36مجلداً). نُقل الجزء الأول إلى اللغة العربية عام 1909. ويصعب الحصول على نسخة كاملة من التلمود.

ومما يذكر أن المجمع اليهودي المنعقد في بولونيا سنة 1631 م قرر بالإجماع، حذف جميع العبارات التي تنص على إهانة الأغيار وأن التعاليم القائلة بأن ((المسيحيين هم سافلو الأخلاق ولا يستحقون المحبة والعدل لا يصح نشرها)).

أليس من الغرابة أن يقول اليهود عن المسيحيين، حاملي رسالة السيد المسيح رسالة المحبة والسلام لكل البشر، أنهم ((سافلو الأخلاق ولا يستحقون المحبة والعدل))؟! إذن ماذا يقول العالم عن اليهود؛ قتلة الأنبياء ومزوري الحقائق وتجار الفجور والابتزاز المتعاملون بالربا، وقتلة النساء والأطفال والشيوخ، بشهادة التوراة ذاتها وبشهادة قصة (تاجر البندقية) للروائي البريطاني الشهير (شكسبير).

التلمود في ضوء الاكتشافات الآثارية:

كما تبين أن معظم مدونات التوراة تعود إلى الكتابات التي سبقتها، بعد أن أثبتت ذلك الاكتشافات الآثارية. كذلك وجد الباحثون تشابهاً بين مدونات التلمود البابلي وبين كتابات السومريين وخاصة فيما يتعلق بشؤون الري والزراعة.

ففي التلمود قسم يتعلق بالتعاليم والإرشادات المتعلقة بالزراعة المروية، وعلاقة المزارعين بعضهم ببعض، وهي موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود الذين كانوا يمارسون الزراعة في بابل. ولا شك أن هذه الشروح والإرشادات مستقاة من كتابات السومريين.

لقد عثر المنقبون بين أطلال مدينة (نيبور **Nipur**) على تقويم لأحد المزارعين السومريين، فيه نصائح وإرشادات موجهة إلى ولده حول أصلح الطرق التي يجب اتباعها في تنظيم وإدارة شؤون مزرعته. ويعود تاريخ هذه الوثيقة إلى ما قبل أكثر من أربعة آلاف عام، وقد دُونت على رقيم من الطين وبالخط المسماري.

وقد وُجد أن مدونات التلمود لها أصولها في الكتابات السومرية والبابلية فيما يتعلق بالعناية ببساتين النخيل. وفيما يتعلق بالعادات والتقاليد التي اقتبسها اليهود من القدماء كثيرة منها: الختان، وتقديم اثني عشر قرصاً من الخبز أمام الرب،وتعيين حصة الكهنة من الذبائح، وغيرها من الشرائع التي دُونت في التلمود.

ويقول البروفسور (ووترمان **Waterman**) في هذا الصدد ما يلي: ((لقد أصبح من المسلّم به الآن أن جميع الأعياد اليهودية ما عدا عيد الفصح، كانت بالأصل من الطقوس الدينية في كنعان، وأن شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها كمجموعة من الشرائع، لنا كل الحق أن نعتبرها أساساً من عهود ما قبل إسرائيل)).

ثم يضيف إلى ذلك قوله: ((وهكذا إن بني إسرائيل (الموسويون) وجدوا شرائع معدة ومهيأة فعملوا بها في مسيرة حياتهم في كنعان. وإن التحقيقات

الأركيولوجية التي يمكن أن تزودنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود أي فاصل ثقافي بين الكنعانية واليهودية)).

وهكذا نجد أن ما يزعمه يهود اليوم ومن يؤيدوهم، بأن قوم موسى كانوا هم الذين وضعوا قواعد الحضارة، وأبدعوا في الأمور الدينية والفكرية، وأن سكان البلاد التي عاشوا فيها من (كنعانيين وأموريين وغيرهم)، قد أخذوا عنهم أصول الحضارة. لنا من النصوص الآثارية والمدونات القديمة ما يكفي لدحض هذا الزعم الخاطئ القائم على الكذب والتزوير.

وما ذلك إلا لأن قوم موسى، أو من أُطلق عليهم فيما بعد اسم (يهود) إنما كانوا من الأميين، فلا يملكون أي قسط من الحضارة أو الثقافة. بل اقتبسوا من الكنعانيين والبابليين لغتهم وآدابهم وثقافتهم وديانتهم، حتى أن اللهجة التي يتكلمها يهود إسرائيل اليوم، إنما هي لهجة آرامية ومكتوبة بحروف آرامية. كما أنهم كتبوا التوراة والتلمود بالآرامية أيضاً.

ومن ذلك يتضح أنه لم يكن لليهود أية مساهمة في تقدّم الحضارة الإنسانية وأن أكثر مدوناتهم الدينية مأخوذة عن الثقافات العربية القديمة. والخلاصة أن الموسويين تسلموا حضارة لم تكن من إبداعهم بل كانت نتاج غيرهم. وفي ذلك يقول الدكتور (إسرائيل ولفنسون) وهو يهودي ما يلي: ((إن يهود بلاد العرب لم

يُظهروا شيئاً من النبوغ والعبقرية مطلقاً ولم يشتهر من بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بالرقي الفكري)).

أما العلاّمة الدكتور (غوستاف لوبون) فيقول في كتابه (اليهود في تاريخ الحضارات الأولى) ما نصه: ((لم يكن لليهود فنون وعلوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة، واليهود لم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ)).

وفي كتاب الدكتور (جيمس هنري برستد) (العصور القديمة صـ 155) نجد مايلي: ((إن بني إسرائيل عندما جاؤوا إلى بلاد كنعان كانت المدن الكنعانية ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف وخمسمائة سنة، ومنازل متقنة فيها كثير من أسباب الراحة، وحكومة وصناعة وتجارة وعلوم ومعرفة بالكتابة وديانة اقتبسها هؤلاء الساذجون من مواطنيهم)).

ثم يضيف إلى ذلك قوله ((إن الامتزاج مع الكنعانيين أحدث تغيرات جوهرية في حياة العبرانيين (أي اليهود)، فشرع بعضهم يبنون بيوتاً ويغادرون سكنى الخيام وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية)).

أما المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فيقول في كتابه (الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين) صـ 56 ما نصه: ((إن بني إسرائيل (اتباع موسى)

قبيلة لم تتطور، وقد ظلت بين البادية والحاضرة، قبيلة لم تستوفِ أطوار البادية ولم تتحول إلى أطوار الحضارة شعباً (مدنياً) يتمشّى مع الحياة المدنية على سنة الشعوب، ولازمتها عادة السمسرة والوساطة فلم تتقدم إلى آخر الشوط في تثمير أعمال البدو ولا في تثمير أعمال الحضر، فهي في حالة العزلة الاجتماعية، وما يلازمها عند البدو من عزلة العصبية بالدم والسلالة)).

والخلاصة فإن شريعة التوراة وتعاليم التلمود، التي كتبها كهنة اليهود في بابل وفي غيرها، لا تخرج عن كونها اقتباساً من الشرائع والمدونات القديمة التي كان يمارسها السكان العرب في تلك العصور. ومما لا شك فيه أن كهنة اليهود الذين كانوا في بابل أيام السبي، كان في متناول أيديهم كل المدونات لأنهم كانوا يحسنون التكلم بجميع اللهجات السامية وحتى اللغة السومرية. فليس لليهود فيما دوّنوه أي أدب مبتكر خاص بهم، بل ضموا كل ما اقتبسوه إلى كتبهم (التوراة والتلمود) واعتبروها من ابتكارهم.

ومن الغريب أن أكثر الكتّاب الأجانب وحتى بعض الكتّاب العرب أيضاً، عندما يجدون تشابهاً بين مدونات التوراة أو التلمود وبين المدونات الآثارية، يقولون إن المدونات الآثارية جاءت مؤيدة لما ورد في التوراة. وكأنهم بذلك يعتبرون مدونات التوراة أقدم من المدونات الآثارية فجاءت مؤيدة لها. وفي هذا من المغالطة ما يجعل الباحث يحتار في تقرير أقدمية الآثار على مدونات التوراة.

وليس هذا فحسب بل أن بعض الكتّاب يعتبر لغة اليهود (العبرية) على أنها أقدم من الكنعانية، فيقولون إن اللغة الكنعانية تشبه اللغة العبرية (اليهودية) بدل أن يعترفوا بالحقيقة. وكيف يقبلون هذا التزوير والكنعانية موجودة قبل ظهور موسى واليهود بأكثر من ألفي عام ؟!.

ومن الجدير بالذكر ما أورده الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ صـ 224) فيقول: ((أذاعت محطة لندن بالعربية (مساء يوم 22شباط 1971) خبراً مفاده: أن المنقبين توصلوا إلى اكتشاف مهم، وهو العثور على مخطوطات في الخليل بلغة سكان فلسطين الأصليين ترجع إلى سنة (700ق.م) وتقول الإذاعة أن هذا ما يؤيد أن اللغة العبرية متأخرة وأن المتكلمين بها أقلية في حين أن لغة سكان البلاد الأصليين هي التي كانت سائدة)).

ويعلق الدكتور أحمد سوسه على ما أذاعته محطة لندن بقوله : ((وهذه العبارة نسمعها لأول مرة من جهة أجنبية وهي تعترف بالحقيقة، أي أن اليهود كانوا غرباء وأقلية، وأن لغة السكان العرب هي التي كانت سائدة)).

ولا شك أن الاكتشافات الآثرية قد أوضحت زيف هذا الاعتقاد وكشفت للباحثين ما كان غامضاً في مدونات التوراة والتلمود، وبيّنت أن كهنة اليهود زوروا وبدّلوا وحرّفوا، لإثبات حق اليهود فيما لا حق لهم به.

ثالثاً: انتشار الديانة اليهودية:

واليهود في العالم اليوم:

أ - انتشار الديانة اليهودية:

من المعروف الآن، أن الديانة اليهودية انتشرت في مناطق متفرقة من (آسيا وأوروبة وإفريقيا) إضافة إلى اعتناق عناصر كثيرة الديانة اليهودية عن طريق الزواج. وقد ظلت اليهودية زمناً طويلاً فاتحة ذراعيها مرحبةً بكل من يرغب في الانضواء مخلصاً تحت لوائها من أبناء الشعوب الأخرى.

بدأ التبشير بالدين اليهودي منذ تكوّن الديانة والانتهاء من تدوين التوراة. وقد استمر ذلك حتى العصور الوسطى. وقضى كهنة اليهود قروناً طويلة يعملون بجدٍ ونشاط في نشر ديانتهم بين شعوب وأمم لا تمت إلى قوم موسى بأية صلة وليس لهم أية علاقة بفلسطين أو بسكان الأرض العربية لا من قريب أو من بعيد.

كما أن الدعاة الذين عملوا في نشر اليهودية، لم يكونوا من قوم موسى، ولا من الكهنة الذين عاشوا في فلسطين مؤخراً (أي بعد انتقال عددٍ من اليهود الذين عادوا من السبي إلى فلسطين). بل كان أولئك من الشعوب التي اعتنقت الدين اليهودي وتحمسوا له، مثلما لم تنتشر المسيحية بواسطة سكان فلسطين وحدهم، بل بواسطة من اعتنقها من مختلف الأقوام في العالم.

إذن اعتنق اليهودية شعوب عديدة، وأجناس مختلفة، وهم في ديارهم ويتكلمون لغاتهم ويمارسون عاداتهم وتقاليدهم التي عرفوها وعاشوها في

بيئاتهم، ولم يكن أولئك الأقوام في أي وقت من الأوقات من سكان فلسطين أو من سكان الوطن العربي، بل لم ينتسب أولئك إلى العرق السامي مطلقاً.

بل كان انتشار الدين اليهودي بين أمم متباعدة الأوطان والعرق من أمثال: ((سكان القوقاس من الخزر وسكان روسيا، وسكان أواسط أوروبا وشرقها، والحبشة، وشعوب مختلفة في مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، والأقطار المجاورة لها وفي مناطق من آسيا)).

وهكذا يتضح أن يهود العالم الآن، ليسوا من قوم موسى الذين عاشوا في شبه جزيرة العرب بين القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس قبل الميلاد، حيث حصل السبي إلى بابل من قبل نبوخذ نصّر الكلداني.

وإذا كانت الحركة الصهيونية الآن تحاول ربط جميع اليهود في العالم ببني إسرائيل، وتعمل على ترسيخ ذلك في أذهان العالم، بهدف التأكيد على فكرة (أرض الميعاد). لكن تلك المحاولات الزائفة لا تستند إلى أساس علمي أو واقع تاريخي لأنَّ اليهود المعاصرين أبعد ما يكونون من أنسال قوم موسى أو بني إسرائيل.

ويؤكد كثيرون من علماء الأجناس عدم انتماء اليهود إلى أصل أو عرق واحد وفي ذلك يقول العلامة (لامبروزو): ((إن اليهود المعاصرين أقرب إلى الجنس

الآري منه إلى الجنس السامي، وإنهم طائفة دينية تميزت بميراث اجتماعي واقتصادي، انضم إليها عبر القرون أناس ينتمون إلى شتى الأجناس البشرية)).

إن أحد علماء الأجناس في الجامعة العبرية نفسها، (البروفسور جورفتيش) كان قد أجرى تجارب على اليهود المهاجرين إلى إسرائيل، وسجل النتائج التي توصل إليها في كتاب بيّن فيه: ((إن اليهود ليسوا بالشعب الواحد .. أما يهود أوروبا الشرقية فينتسبون إلى قبائل الخزر.

وأما يهود أوروبا فمن أصل أوروبي صميم وقد اعتنقوا الدين اليهودي بعد القرن الثالث الميلادي، على أيدي مبشرين من اليهود)).

وليس هذا فحسب بل إن تلك الجماعة التي (عُرفت بقوم موسى) أو ((بني إسرائيل)) والتي عاشت في العصور القديمة، كانت آخذة في التقلص والذوبان ومن ثم التلاشي نتيجة لعمليات السبي والحروب المتواصلة، ونتيجة للصراعات التي دارت بين المتنافسين على السيطرة وبسط النفوذ على طرق التجارة الدولية. يضاف إلى ذلك انقسام تلك الجماعة على نفسها واقتتالها للحصول على المكاسب والفوائد التي يحصلون عليها من الغزو أو السطو على المناطق الزراعية المعمورة. أو العمولات التي تأتيهم من حماية طريق التجارة لصالح جهة أو لأخرى. يضاف إلى ذلك ما لاقوه من عسف وتشريد وقتل في زمن اليونان والرومان. حتى تناثرت تلك

المجموعة واندثرت. ويقول أحد المؤرخين((لما دخل العرب المسلمون أرض فلسطين في القرن السابع الميلادي، لم يكن لليهود أي وجود فيها)).

ويقول الدكتور أحمد سوسه في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) صـ 342 ما نصه: ((ويكمن السر في بقاء اليهودية طوال عشرات القرون حتى يومنا هذا، في أنها غير مرتبطة باعتبارات جغرافية أو جنس أو لغة أو قومية أو سياسة لذلك استطاعت اليهودية كدين أن تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات)).

ومن أهم البلاد التي انتشرت فيها اليهودية، (بلاد الخزر) فكيف حصل ذلك؟!.

اليهودية في بلاد الخزر:

تقع بلاد الخزر جنوب روسيا عند مصب نهر الفولغا في بحر قزوين أو بحر الخزر، وسكان تلك البلاد قبائل من الأتراك المغول ويطلق عليهم اسم الخزر نسبة إلى بحر الخزر. وهم من أكبر المجموعات المتهودة. وتفيد المصادر أن هذه الجماعات اعتنقت الدين اليهودي خلال العصور الوسطى بعد أعتناق أميرهم اليهودية.

وتذكر المصادر العربية أن اليهودية دخلت بلاد الخزر لأول مرة (أواخر القرن الثامن الميلادي وأوائل القرن التاسع الميلادي) ويقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب): ((إن دخول اليهودية الى بلاد الخزر كان يعاصر خلافة هارون الرشيد

(170- 193هـ) ويقابل (786 - 809م). فأما اليهود، الملك وحاشيته، والخزر من جنسهم وقد كان تهوّد ملك الخزر في خلافة الرشيد وقد انضاف إليهم خلق من اليهود وردوا من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم)). ولعل ذلك يعود الى أن ملك الروم أكره اليهود في بلاده على اعتناق المسيحية وترك دينهم فهرب كثير من اليهود من أرض الروم الى بلاد الخزر .

ويذكر الدكتور أحمد سوسه في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) صـ 335 ما يلي: ((وأقدم المعلومات عن انتشار اليهودية في الخزر وصلتنا عن الرحّالة العربي (ابن فضلان) الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 309 هـ 921م في بعثة إلى ملك البلغار، ففي طريق عودته مرّ بمملكة الخزر وبعاصمتها (إتيل) ووصف ما شاهده بتلك البلاد فيقول: ملكهم يهودي ويقال إن له من الحاشية أربعة آلاف رجل .. والخزر وملكهم كلهم يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان)).

وهذا يدل على أن تلك القبائل عند اعتناقها الدين اليهودي بقيت محتفظة بعاداتها ولغتها وثقافتها من جميع الوجوه. وتدل الحوادث التاريخية أن اليهودية لم يكتب لها الدوام في الخزر. فبعد حوالي قرن ونصف من دخول اليهودية إلى بلاد الخزر، جاءت حملة من الروس وقضت على مملكتهم بأكملها فتشرّد أهلها.

وتعرض الخزر أيضاً لاجتياح المغول الذين عصفوا بهم في طريقهم إلى

القسطنطينية والمنطقة العربية مما أدى إلى انتشار يهود الخزر في جميع أنحاء روسيا وأوروبا الشرقية والوسطى.

لقد انتُزِع اليهود الخزريون من موطنهم الأصلي انتزاعاً، ليُحملوا على العيش في البلاد الأوروبية التي انتشروا فيها. ولكن المهاجرين اليهود حملوا معهم إلى أوروبا تجربتهم ومعارفهم الحضارية التي اقتبسوها من الحضارة العربية الإسلامية فكان ذلك يعني الكثير بالنسبة للمجتمعات المتخلفة في أوروبا الإقطاعية. بينما كان المهاجرون اليهود متفوقين في وظائفهم الاقتصادية والثقافية على الأوربيين. فاختار أولئك المهاجرون التوطن على خطوط مواصلات (اتحاد المدن التجارية) الأوروبية الذي تأسس عام 1241م في ألمانيا و هولندا، وأصبح في القرن الخامس عشر يضم (64 مدينة)، وإن اختيارهم هذا للإقامة مما يتلائم مع وظائفهم الاقتصادية المتفوقة، أعطى لليهود وضعاً متميزاً مثيراً للانتباه الشديد.

وهكذا أخذ العداء لليهود عند الأوربيين، كمظهر من عدائهم لوظائف اليهود الاقتصادية، وفي مقدمتها إقراض النقود بالربا الأمر الذي سبب ظهور المسألة اليهودية من جديد في أوروبا بسبب قيام فتن ضد اليهود في كل مكان من أوروبا.

ب - يهود العالم في الوقت الحاضر:

تقول الموسوعة البريطانية في طبعتها لعام 1965 أن الطوائف اليهودية في العالم تتشكل من ثلاثة أقسام هي:

1- **طائفة السفرديم** : وهم اليهود الذين كان أسلافهم يعيشون في أسبانيا خلال القرون الوسطى ((في ظل الدولة العربية في إسبانيا)) وبعد طردهم من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي 1492 مع خروج العرب، تفرق هؤلاء في فرنسا وهولندا و إنكلترا وإيطاليا واليونان وتركيا وشمال إفريقيا (المغرب العربي وفي كل مكان أقاموا فيه، احتفظوا بعاداتهم وطقوسهم الدينية وبلغة (اللادينو) وهي خليط بين الإسبانية واليهودية، تكلموها خلال القرون الوسطى وتكتب بحروف عبرية. وقد نقل هؤلاء معهم تأثيرات الحضارة العربية في إسبانية، مما جعلهم يتميزون عن سكان أوروبة الذين كانوا في حالة من التخلف الفكري خلال العصور الوسطى. وتقدّر الموسوعة عددهم عام 1960 بحدود نصف مليون نسمة.

2- **طائفة الإشكنازيم**: وهم يهود ألمانيا وبولونيا وشرق أوروبا، الذين عاش أجدادهم في القرون الوسطى في ألمانيا بشكل خاص. ومنها هاجروا إلى شرقي وغربي أوروبا. وقسم منهم هاجر في القرنين التاسع عشر والعشرين خارج أوروبا وخاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى أمريكا الجنوبية. ويختلف هؤلاء عن طائفة السفرديم، بعاداتهم وطقوسهم الدينية وبلغتهم لأن الإشكنازيم كانوا حتى

نهاية القرن التاسع عشر يتكلمون (اليديش) أو الألمانية اليهودية وهي شكل من ألمانية القرون الوسطى تكتب بحروف عبرية. يقدر عدد طائفة اليهود الإشكنازيم في عام 1960 بحدود عشرة ملايين منهم خمسة ملايين في الولايات المتحدة الأميركية وثلاثة ملايين في روسيا. وتؤلف هذه الطائفة تسعة أعشار اليهود في العالم. وينتمي هؤلاء إلى العرق (الجرماني والسلافي والخزري) اعتنقوا الدين اليهودي واقتبسوا الكتابة العبرية معاً إذ لم تكن لهم كتابة وقت اقتباسهم الدين اليهودي. إذن هم الأوربيون المتهودون وليست لهم أية صلة بفلسطين، ومنهم غُلاة الصهيونيين وزعماء الصهيونية العالمية.

3- اليهود الشرقيون:

يقيم هؤلاء في البلاد العربية ويتكلمون اللغة العربية، وفي إيران وأفغانستان وبخارى ويتكلمون الفارسية، ومنهم قسم يقيم في مناطق كردستان ويتكلمون الآرامية الجديدة. ويختلف هؤلاء في خصائصهم العرقية اختلافاً كبيراً من السفرديم والإشكنازيم ويقدر عددهم عام 1960 بحوالي مليوني نسمة.

يهود يشرب شمال الحجاز :من الجدير بالذكر أن اليهود الذين كانو في يثرب وشمال الحجاز، من الذين ((تهوّدوا))، أي اعتنقو ا اليهودية قبل الإسلام بزمن طويل فهم قومياً عرب، منهم ((بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قيْنقاع)).

كما أن الإسلام اعطاهم حق التحالف مع العرب المسلمين ضد المشركين، وكان ذلك الامتياز تضمنته الصحيفة التي نصت على ذلك التحالف.

ولكن بعد أن غدروا ، وتحالفوا مع القبائل المعاديه للإسلام، في غزوة الخندق (الأحزاب)، سقط عنهم ذلك التحالف، لم بعد يربط هم بالعرب المسلمين رباط وخرجوا من كونهم جزءاً من الأمة السياسية التي نصت عليها تلك الصحيفة.

وبالإضافة إلى ما تقدم، هناك جماعات يهودية صغيرة لا يمكن تصنيفها ضمن الأقسام الثلاثة؛ منهم جماعات في إيطاليا واليونان ويهود **الفلاشا** في إثيوبيا السود ويهود الهند السود وغيرهم وجميعهم من أصول غامضة. أما **يهود البلاد العربية** الذين كانوا يقيمون في المدن الكبرى (دمشق وحلب وبيروت والقاهرة والإسكندرية وبغداد والبصرة والموصل وغيرها من المدن). يعيشون في أحياء أو حارات خاصة بهم عُرفت باسم (حارة اليهود) شبيهة بـ (الغيتو) اليهودي في أوروبا ، مع فارق أن يهود البلاد العربية كانوا يعيشون بحرية تامة ، ويعملون في جميع مجالات الحياة ، كالتجارة والصرافة أو مايشبه عمل البنوك الآن ، وفي الصياغة (الذهب والفضة). فساعدهم هذا على جمع ثروات كبيرة مكنتهم من التحكم في أسواق المال. لدرجة أن يهود دمشق كانوا قادرين على تأخير قوافل الحجاج خلال القرن التاسع عشر بسبب احتكارهم للنقود الذهبية.وقد ذكر ذلك

(المؤرخ محمد كرد علي) رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق في مقالة بعنوان (يهود دمشق منذ مائة عام) نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

أما يهود **الأندلس** الذين هربوا من ملاحقة محاكم التفتيش إلى المغرب العربي، وهم ما زالوا يعيشون في المملكة المغربية بحرية تامة وبوضع ممتاز حتى الآن، وكان منهم وزراء في حكومة المملكة المغربية وتونس.

أما في **مصر**: كان يهود مصر حتى قيام دولة إسرائيل 1948 يتمتعون بحرية مطلقة ليس في ممارسة شعائرهم الدينية وإنشاء المعابد والمعاهد الثقافية والتبشيرية فقط، بل أُطلقت أيديهم في الأعمال المالية والصحافية في مصر، وأصبح أغنياؤهم يملكون العقارات والشركات الكبيرة، وكان لهم مقاعد في مجلسي الشيوخ والنواب وفي عام 1924 كان وزير المالية في الحكومة المصرية يهودياً هو (يوسف قطاوي باشا).

ومنذ العهد العثماني كانت الحركة الصهيونية قد أقامت لها مركزاً لطبع منشوراتها بحرية تامة في مصر،ومن أغرب ما نُشر، كتاب بعنوان (يقظة العالم اليهودي) للكاتب اليهودي (إيلي ليفي أبو عسل) طُبع في القاهرة عام 1934.

وفي **العراق**: كانت حياة اليهود تقوم أيضاً على الاستقرار والاستمتاع بحرية العمل في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، ففي أول

حكومة عراقية تألفت عام 1920 كان وزير المالية يهودياً هو (ساسون حسقيل) كما كان لهم مقاعد في مجلسي النواب والأعيان.

ولكن الأمر قد تبدل بعد قيام دولة إسرائيل في فلسطين عام 1948، حيث عمدت الحركة الصهيونية إلى تنفيذ مخطط إرهابي لإجبار يهود البلاد العربية على الهجرة إلى إسرائيل. ولتنفيذ مخططها هذا عمدت إلى نشر سلسلة من الدعاية ضد اليهود ونفذت عدة عمليات إرهابية منها ما حدث في العراق عام 1951، أدى إلى هجرة القسم الأكبر من يهود العراق إلى إسرائيل.

وفي هذا المجال نذكر ما نشرته جريدة (دافار) الإسرائيلية: ((أنا لا أشعر بالخجل وأنا أعترف هنا أنه لو كنتُ أملك السلطة لأخذت عشرات الشباب الأذكياء والمخلصين لمثلنا العليا، ثم أرسلتهم متنكرين إلى البلاد التي استكان فيها اليهود إلى رغد العيش، وذلك من أجل نشر شعارات معادية للسامية وما شابه ذلك من الشعارات .. وأنا على يقين بأن هذا سيؤدي إلى نتائج بشأن الهجرة إلى إسرائيل، أفضل بكثير من النتائج التي حققتها حتى الآن البعثات التي نرسلها لتصب وعظها في آذان صماء)).

((التصريح لدافيد بن غوريون لصحيفة يهودية في نيويورك تموز 1952))

ولكن كثيرين من اليهود الذين أكرهوا على الذهاب إلى إسرائيل وجدوا أنفسهم غرباء في مجتمع غريب عنهم. وهذا ((إسحق بارموشيه)) وهو يهودي عراقي، يقول في كتابه ((الخروج من العراق)) ما يلي:

((كنا نتذكر بحزن شديد أن حكام العراق، الرجعيين وخدام الاستعمار البريطاني، كانوا يصفوننا بأننا يهود. وقد تركنا العراق بصفتنا يهوداً ،ووصلنا إلى إسرائيل لنستقبل بصفتنا عراقيين! كان المشهد مأساوياً ومضحكاً في الوقت نفسه. فقد ساعدنا حكام العراق على تأكيد وتثبيت يهوديتنا ، وها هم أبناء ديانتنا وجلدتنا يساعدوننا من جهتهم على تأكيد وتثبيت عراقيتنا. كان الشعور العام مؤلماً ومثيراً للحزن في آن واحد)).

ثم يتابع قوله ((وإن العرب في الديار المقدسة كانوا أحسن الحراس وأكثرهم أمانة لقبور أجدادنا وأجدادهم معاً .. وإن تاريخنا وتاريخهم في هذه الديار يرتبط ارتباطاً عضوياً ولذلك اكتشفنا أن عوامل القرب هنا وهناك، كانت، وظلت، وسوف تبقى، أقوى من عوامل البعد)).

نقلاً عن كتاب ((مصيرنا هو مصير فلسطين)) تأليف نصر شمالي صـ 158

وهذا يهودي عراقي آخر هو (نعيم قطان) يقول:

((إن كل عربي، وكل مسلم،وكل إنسان منصف يُدرك جيداً أحاسيس القهر العميقة التي تكمن خلف هذا القدر من الأسى والتهكم المرير، في ظل

الإدارة الصهيونية التي هي مجرد أداة في يد الإدارات الرأسمالية الاحتكارية العالمية حيث تتم طول الوقت عمليات سحق الإنسان في كل مكان بسحق ثقافته الوطنية.. الإسلام يؤكد نفسه كآخر دين للتوحيد وأنه يعترف باستقلال المسيحيين واليهود.. ويقبل بوجودهم وبكيانهم كجماعة منفصلة ومستقلة. وليس عليهم أن يتركوا دينهم. إني كيهودي بين المسلمين لم يحاول أحد منهم أبداً أن يحولني عن ديني، لم يكن عليّ لأكون يهودياً، أن أنكر الإسلام.. أن أعيش بين المسلمين لا يُهدّد اعتقادي ولا يُحكمُ عليّ بالامتصاص وبالاختفاء. إن يهودياً من بغداد أو من حلب، لا يستطيع أن يشعر (بالغربة مثل الأوروبي). لسنا مهاجرين ولا غرباء، لقد عشنا على أرضنا منذ قرون. كُنا فيها عندما ظهر الإسلام. وعندما عُرّبت المنطقة لم نقاوم التعريب أبداً. لأنه (أي الإسلام) اعترف لنا باستقلالنا الذاتي.... كانت بغداد وطناً ونقطة إنطلاق، ومحوراً لقياس النجاح وإرساء الذاكرة بالنسبة لنا ليس بنا حاجة للعودة إلى فلسطين. كنا شركاء في الإمبراطورية الإسلامية، وطُردنا من إسبانيا مع أولئك الذين يتغنون بمجد محمد. هذا يكفي. هذا هو القول الفصل حقاً)).

هذا النص منقول عن كتاب (كتاب مصيرنا هو مصير فلسطين) تأليف (نصر شمالي) صـ 159و160

رابعاً: هل يكوّن اليهود جنساً أو عرقاً واحداً؟

بعد استعراض نشوء الديانة اليهودية وانتشارها ،ووجود اليهود في العالم المعاصر يطالعنا السؤال الذي لا بد من الإجابة عليه: هل يكوّن اليهود جنساً أو عرقاً واحداً؟!.

وذلك لأن اليهود وبشكل خاص الحركة الصهيونية تدعي، أن جميع يهود العالم ينتسبون إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب، ادعاءً كاذباً لأن العلم والمنطق التاريخي يدحض هذا الادعاء.ولنا من شهادات الباحثين والمؤرخين ما يدعم الرأي القائل أن اليهود لا يكوّنون شعباً واحداً ينتمي إلى أصل أو جنس واحد.

وقد مرّ معنا في بحث انتشار الديانة اليهودية، أن الدين اليهودي انتشر في مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا وإفريقيا، بين شعوب شتى ومن مختلف الأجناس واللغات والدماء ويسكنون في مواطن متباعدة، مثل يهود الخزر الأتراك - واليهود الألمان ذوي الشعر الأشقر - واليهود السلاف في روسيا والبلاد المجاورة لها - واليهود الإسبان - ويهود الحبشة - ويهود الصين - ويهود الهند السود وغيرهم.

فهل يصح بعد هذا أن تقول الصهيونية عن هؤلاء جميعاً أنهم يعودون بنسبهم إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب؟! وفي ذلك مخالفة صريحة للعلم والتاريخ.

صحيح أن الحركة الصهيونية تهدف من وراء هذا الادعاء، الربط بين حركتهم السياسية الاستعمارية وبين تاريخ اليهود الديني القديم، لتبرير اغتصاب فلسطين وإقامة الدولة اليهودية على أرضها، مدعومة بذلك بتأييد الدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية. لكن هذا لا يجد تأييداً له في الواقع التاريخي والعلمي، لأن اليهود المعاصرين لا تربطهم باليهود القدماء (جماعة موسى) إلا رابطة الدين فقط. ونجد عند كثير من الباحثين من الآراء والأبحاث ما يكفي إيراد أمثلة منها حتى نصل إلى الرأي القائل إن ((اليهود جماعة لها مميزات دينية واجتماعية خاصة بها، انضم إليها أقوام وشعوب من أجناس وعروق مختلفة)).

وفي هذا الصدد يؤكد البروفسور (جورفيتيش) أستاذ علم الإنسان في الجامعة العبرية نفسها فيقول: ((إن اليهود ليسوا بالشعب الواحد، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس، اعتنقوا ديناً واحداً، وأن يهود أوروبا الشرقية ينتسبون إلى قبائل الخزر، ويهود أوروبا الوسطى والغربية فمن أصل أوروبي صميم قد اعتنقوا الدين اليهودي بعد القرن الثالث الميلادي على أيدي مبشرين من اليهود)).

توصل هذا الأستاذ إلى هذه الحقيقة بعد أن أجرى عدة تجارب بيولوجية على المهاجرين اليهود إلى إسرائيل. وسجل النتائج في كتاب بين فيه حقائق علمية، لا تقبل الشك.

ويقول الدكتور محمد عوض محمد في كتابه (المسألة الصهيونية في نظر العلم صـ 6) ما يلي: ((ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم، لوجدنا بينهم الشقر ذوي العيون الزرقاء، والشعر الأصفر، ورأينا بينهم السمر ذوي الشعر المجعّد في هضبة الحبشة والسود في جنوب الهند والصُفر المغول في الصين، ورأينا بينهم الطوال القامة والقصار وذوي الرؤوس الطويلة والعريضة ... وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها منحدرة من سلالة جنسية واحدة)).

ويؤكد كثيرون من علماء الأجناس هذه الآراء والدراسات. وليس هذا فحسب، بل ورد في الكتاب الذي نشره المجلس الأميركي لليهودية بعنوان (اليهودية دين لا قومية) ما يلي: ((إن الشعب اليهودي بالمعنى السياسي والطائفي ليس له وجود، بل كان يرمز بعبارة (الشعب اليهودي) أو (شعب إسرائيل) إلى الناحية الروحية)).

ونستطيع القول، وإن كانت كلمة (يهودي) مقتبسة من (يهوذا) وتطلق على كل من اعتنق الديانة اليهودية، إلا أن ذلك لا يعني أن اليهود يكوّنون شعباً من عرق واحد أو من أصل واحد. وإلا لكان كل المسيحيين في العالم يعودون في

نسبهم إلى السيد المسيح. وإلا لكان كل المسلمين في العالم ينتسبون إلى محمد بن عبد الله.

والحقيقة أن اليهود ينتمون إلى كيان ديني فقط. لأنه لم يكن لليهود في أي دور حكماً زمنياً قائماً على جنس معيّن أو قومية ثابتة، لقد كانوا منذ أيام موسى وما زالوا حتى الآن يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين وحده. وحتى دولة إسرائيل التي قامت عام 1948، يتمتع فيها رجال الدين وحاخاماتهم وحزبهم الديني بنفوذ كبير على حكام إسرائيل.

كذلك فإن دولة إسرائيل هذه ما كان لها أن ترى النور، لولا أن الدول الاستعمارية وعلى رأسهم (بريطانيا والولايات المتحدة) الذين تحالفوا مع الحركة الصهيونية لتحقيق قيام الدولة اليهودية، لتكون قاعدة استعمارية في قلب الوطن العربي حمايةً لمصالح الدول الاستعمارية في المنطقة.

فإذا كان الأمر قد أدى إلى خلق ((إسرائيل)) مولوداً غير شرعي للتآمر الدولي على الحق العربي. لكن أحلام الشعب المختار أكبر من إسرائيل وأكبر من فلسطين. وفي هذا الصدد يقول الدكتور ((ناحوم غولدمان)) في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام 1947 ما نصه: ((لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي بالنسبة لهم، ولا لأن مياه البحر الميت تعطي سنوياً، بفضل التبخّر، ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن، وليس أيضاً

لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكتين

مجتمعتين، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وإفريقيا، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم)) .نقلا" عن كتاب (حكومة العالم

الخفية) صـ 34. وسيأتي الكلام في بحث الحركة الصهيونية ، عن دور الدول

الاستعمارية الكبرى في خلق دولة إسرائيل في فلسطين .

الفصل الحادي عشر

الحركة الصهيونية ودورها في قيام[1]

دولة إسرائيل

1- عوامل ظهور الحركة الصهيونية.

2- معنى الحركة الصهيونية وتطورها.

3- الحركة الصهيونية غير اليهودية في أوروبا.

4- الحركة الصهيونية غير اليهودية في أميركا.

5- الحركة الصهيونية اليهودية ونشاطها

أ - مؤتمر بال 1897

ب - بروتوكولات حكماء صهيون.

جـ - محاولات توطين اليهود خارج فلسطين.

---

[1] في بحث الحركة الصهيونية، استعنت بالمعلومات الواردة في كتاب: ((مصيرنا وهو مصير فلسطين)) للأستاذ نصر شمالي.
نشر دار المستقبل – دمشق 1995.

6 - الحركة الصهيونية بين الحربين (1919- 1939) - وعد بلفور 1917.

7 - الحركة الصهيونية في أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية (1945 - 1948).

أولاً: عوامل ظهور الحركة الصهيونية:

قبل الكلام عن تطور الحركة الصهيونية ومعناها ، لا بدَّ من الكلام عن العوامل التي أدت إلى ما يسمى (المسألة اليهودية) في أوروبا. وذلك لأن المسألة اليهودية كانت قد تطورت وأدت إلى ظهور فكرة (الحركة الصهيونية) نتيجة لعدة عوامل هي:

أ- وضع يهود أوروبا : الذين كانوا يتفوقون بوظائفهم الاقتصادية ، على المجتمعات الأوروبية المتخلفة في العصور الوسطى. حيث استطاع اليهود تحقيق مصالحهم الخاصة الضيقة ،وحرصهم على جمع ثروات كبيرة دفعتهم إلى إقراض النقود بالربا. ويتجلى هذا في حيازة المرابين من اليهود على كميات كبيرة من النقود المتداولة وكنزها في خزائنهم. كل ذلك أدى إلى ظهور العداء لليهود في أوروبا وتعرضهم للإرهاب بشكل جماعي.

ب - صعود طبقة البرجوازية، إلى موقع قيادة النظام الاقتصادي في أوروبا ومن ثم في العالم أجمع، مما أدى إلى مجابهة عنيفة بين البرجوازية الأوربية وبين اليهود ، وذلك لأن البرجوازية كانت تحاول شق طريقها نحو علاقات اقتصادية متقدمة بالانتقال إلى نظام اقتصادي جديد (الاقتصاد التبادلي). بينما كان المرابون اليهود يعتمدون على بقاء النظام الإقطاعي القديم. هذا الصدام أدى إلى ظهور الفرع اليهودي الصهيوني الذي تكوّن وترعرع في تربة الصهيونية الأوروبية

غير اليهودية على مدى ثلاثة قرون، من أواسط القرن السابع عشر وحتى أواسط القرن العشرين.

جـ - ظهور الحركات المعادية لليهود في أوروبا : شارك فيها الجمعيات الحرفية والكنيسة وملاك الأراضي من الإقطاعيين ورجال الحكومات وغيرهم بهدف التخلص من الديون التي كانت تُثقل كاهل تلك الفئات، فإذا ما دعى الأمر إلى دفع الديون، كانت تلك الفئات تلجأ إلى تحريض العامة ضد اليهود، حتى كثرت الفتن والمذابح ضدهم في أوروبا ومنها:

- ما حصل خلال عامي (1336 - 1338) حيث امتدت الفتن من الألزاس في فرنسا إلى بافاريا في ألمانيا والنمسا وبوهيميا.
- وبين الأعوام 1348 - 1350 م أدت الفتنة إلى مناداة الحرفيين في مدينة ستراسبورغ إلى إفناء اليهود.
- وفي عام 1384 م قام سكان إحدى المدن الأوروبية بذبح جميع يهود تلك المدينة، واستولوا على أملاكهم وتخلص مدينو الربا من ديونهم.
- وفي عام 1431 حمل الفلاحون السلاح في مدينة (أورمز) وأجبروا مجلس المدينة على تسليمهم اليهود لأنهم ((أفقروهم وجردوهم من ثيابهم الأخيرة)).

- وعندما اجتاح الطاعون الأسود أوروبا بين عامي (1348 - 1350م) وقضى على ثلث سكان أوروبا تقريباً، اعتبر اليهود مسؤولين عنه، فأحرقوا بالجملة.

- مع بدايات الإصلاح الديني المضاد للكنيسة الكاثوليكية في أواخر القرن الخامس عشر، أصبح اليهود من الناحية القانونية في منزلة أدنى من بقية السكان وتعرضوا لأحكام قاسية لا ترحم منها ((عزل محل الإقامة - التمييز العنصري - الاستبعاد من جميع الوظائف العامة، ارتداء أزياء مُميّزة - العزل في أحياء مغلقة تدعى (غيتو))).

ومن ناحية أخرى، وابتداءً من نهاية القرن الخامس عشر. أصبح العالم كله ميداناً للتنافس الأوروبي في حقل الكشوف الجغرافية ومن ثم الحصول على أكبر عدد من المستعمرات، فتعزز بذلك مركز الدول الأوروبية الكبرى بعد أن سيطرت على طرق التجارة الدولية عبر المحيطات، واكتشاف القارة الأمريكية. أخذ وضع اليهود أيضاً بالتبدل، ولكن ليصبح دورهم الجديد في خدمة الدول الاستعمارية التي حققت مكاسب كبرى.

ففي عام 1649 م أخذ الانكليزعلى عاتقهم إنجاز المشروع اليهودي بالعودة إلى فلسطين وتَمثّل ذلك بالإعلان الذي تضمن ((إن أمة إنكلترا وسكان هولندا سيكونون أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم

إلى الأرض التي وُعِدَ بها أجدادهم، (إبراهيم وإسحق ويعقوب) لتكون ميراثاً لهم إلى الأبد)).

مع العلم أن إنكلترا كانت خالية من اليهود تماماً، منذ نهاية القرن الثالث عشر لأن الملك (إدوارد الأول) كان قد طرد اليهود جميعاً وحرّم عليهم العودة إليها أو الإقامة فيها.

غير أن (كرومويل) الذي قام بثورة بورجوازية في إنكلترا وأعلن النظام الجمهوري بين (1599 - 1658) تبنّى العقيدة البيوريتانية التي تقترب من الديانة اليهودية، وهكذا سمح كرومويل لليهود بالعودة إلى إنكلترا، والإقامة فيها، لأن الوضع فيها كان مواتياً تماماً لاحتضان الفكرة الصهيونية الداعية إلى استيطان اليهود في فلسطين. وذلك لأن إنكلترا كانت ترى أنها لا تستطيع أن تلعب دوراً هاماً في تحقيق المشروع الصهيوني، إلا بالسماح لليهود بالعودة إلى إنكلترا.

وبدأ اليهود بالعودة إلى إنكلترا فعلاً في الوقت الذي تواصلت فيه رعاية فكرة مشروع الكيان الصهيوني على أعلى المستويات بلا انقطاع. ومع نمو الرأسمالية في أوروبا، وازدياد حركة الاستعمار على نطاق واسع، انتهى دور اليهود الاقتصادي المتميّز والقائم على تثمير أموالهم بالربا. وكان من المفروض أن يندمج اليهود في المجتمعات الأوروبية بالتوافق مع الظروف الجديدة. لكن

الاحتكارات الدولية كانت مصممة على المضي في مشروع (الدولة اليهودية) إلى نهايته، وكان على اليهود أن يقتنعوا بالمشروع طوعاً أو كرهاً. وأخذت سياسة الدول الاستعمارية تتحول عن مرحلة الملاحقة والاضطهاد والقتل ضد اليهود، إلى مرحلة جديدة من التعاون لإقناع اليهود بقبول فكرة المشروع الصهيوني، ولكن تحت سلطة ورعاية بريطانيا الدولة الاستعمارية الأولى. وفي حال عدم اقتناع اليهود في أوروبا بالمشروع، فلا بدّ من القيام بسلسلة جديدة من الاضطهاد والمذابح لإقناع اليهود بالقبول.

وهكذا أخذت فكرة (الحركة الصهيونية) تظهر إلى الوجود عبر قرون ثلاثة من الزمن. فما هي هذه الحركة وكيف تطورت؟.

ثانياً: معنى الحركة الصهيونية وتطورها:

الصهيونية مشتقة من لفظة (صهيون) وهي اسم لرابية بالقرب من أورشليم القديمة الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب، أقام عليها اليبوسيون حصناً، قبل ظهور موسى وجماعته بحوالي ألفي عام. والكلمة ليست (يهودية) بل هي كلمة عربية كنعانية. شأنها شأن أسماء المواقع والمدن التي وردت في التوراة محرّفة عن أصلها، وعن موقعها الجغرافي الحقيقي.

إن الحركة الصهيونية التي ظهرت في العصر الحديث، هي حركة سياسية عنصرية متطرفة تستغل العاطفة الدينية في سبيل تحقيق المشروع الصهيوني لجمع اليهود من أنحاء العالم في وطن قومي واحد.

وفي رأي آخر، الصهيونية هي حركة رأسمالية استعمارية صرفة، تحالفت مع الدول الاستعمارية، ضمن تبادل مصالح معينة، وقد وقع اختيارها على فلسطين، تلبية لمتطلبات الاستعمار البريطاني، فتحالفت معه، ولم يكن ذلك لأن فلسطين هي (أرض الميعاد التوراتية) . تلك الفكرة التي تقوم على اعتقاد الإنسان اليهودي، بأسطورة (أرض الميعاد) التي تمتد من الفرات إلى النيل حسب مرويات التوراة. على الرغم من أن يهود العالم اليوم لا تربطهم أية رابطة بأولئك اليهود الذين عُرفوا بـ (قوم موسى).

يضاف إلى ذلك، أن هذه الحركة العنصرية، ما كان لها أن تظهر إلى الوجود لولا نشاط بريطانيا والدول الاستعمارية الأخرى التي كانت ترى أن حماية مصالحها الاستعمارية يعتمد على تحقيق المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين.

وقد بدأ سياسيو الدول الاستعمارية ينشطون بدفع اليهود في أوروبا إلى قبول هذا المشروع، فمنذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي استمر نشاط تلك الدول

بدون توقف حتى يومنا هذا ، لدفع تطور الحركة الصهيونية مما أنتج ظهور ما يدعى (بالحركة الصهيونية) إلى الوجود.

ثالثاً: الحركة الصهيونية غير اليهودية في أوروبا:

درج الباحثون والكتّاب على اعتبار الحركة الصهيونية ، حركة يهودية وتقتصر على العنصر اليهودي فقط. وأن تلك الحركة ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، نتيجة لتأثر اليهود بالحركات القومية التي ظهرت في أوروبا. وأن مؤسس هذه الحركة هو اليهودي النمساوي (تيودور هرتسل). الذي ألف كتاباً بعنوان (الدولة اليهودية). وترأس المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م في مدينة (بال) بسويسرا.

غير أن الواقع يخالف هذا الاعتبار ، لأن هذه الحركة ظهرت أولاً في تفكير السياسيين ورجال المال في أوروبا على أثر توسع حركة الاستعمار في العالم. ففي منتصف القرن السابع عشر بدأ سياسيو الدول الاستعمارية نشاطهم لإخراج هذه الفكرة إلى الوجود على النحو التالي:

أ - في عهد جمهورية (أوليفر كرومويل 1599 - 1658) نشط اتباع المذهب (البيوريتاني) في دعم فكرة استيطان اليهود في فلسطين ، يؤيدهم كرومويل في ذلك ، وخاصة أن فكرة توطين الإنكليز أنفسهم في فلسطين قد استُبعدت تماماً ، وصار النشاط كله يتركز على المشروع الصهيوني. ومن أجل

ذلك سمحت الحكومة البريطانية بعودة اليهود إلى بريطانيا استعداداً لتنفيذ المشروع.

ب - وعندما حلّ القرن التاسع عشر ظهر في بريطانيا، اللورد (شافتسبوري) الذي احتلّ مكاناً هاماً في تاريخ الحركة الصهيونية غير اليهودية.

كان اللورد (شافتسبوري) يدعو إلى فكرته هذه في الوقت المناسب سياسياً، وقد نجحت التعبئة الطويلة لتنفيذ المشروع وأصبحت أمنية سياسية على صعيد بريطانيا كلها. وحتى على صعيد الكنيسة في بريطانيا مما دعا أحد الكتاب إلى وصف ذلك ((بالاتحاد الغريب بين سياسي الإمبراطورية وبين نوع من الصهيونية المسيحية الأبوية، عبر الأجيال اللاحقة)).

جـ - دأب الأنجلو ساكسون على رعاية فكرة المشروع الصهيوني طوال قرون تقديراً منهم لأهميتها الخطيرة في صياغة استراتيجيتهم العالمية. ويعتبر اللورد بالمرستون (1784 - 1865) مدافعاً كبيراً عن فكرة استيطان اليهود في فلسطين. ولم يكن بالمرستون وحيداً في نشاطه هذا، ففي عام 1845م دعا (ميتفورد) ((إلى إعادة توطين الأمة اليهودية في فلسطين كدولة تتمتع بوصاية وحماية بريطانيا العظمى، لأن ذلك يمكّن بريطانيا من إدارة المواصلات البحرية بالكامل. ويوفر للإنكليز السيطرة على الشرق لمواجهة منافسة الدول الاستعمارية الأخرى)).

د- وفي رأي أحد الساسة البريطانيين (تشارلز هنري تشرشل) يجب تحرير سوريا وفلسطين مبكراً، ووضعهما تحت الحماية البريطانية بعد القضاء على الوجود العثماني فيهما. على أن يقوم اليهود بدور المستوطنين، لحماية المصالح البريطانية في (الشرق الأدنى).

هـ - منذ القرن الثامن عشر بدأ بعض المفكرين والكتّاب يوجهون أنظار الحكومات الأوروبية إلى إمكانية الاعتماد على توطين اليهود في فلسطين. ومن هؤلاء (البرنس دي لينيه) الذي قدّم كتاباً إلى إمبراطور النمسا (جوزيف الثاني) 1797 أشار فيه إلى (وجوب إصلاح شأن اليهود وإعادتهم إلى فلسطين).

و - كان نابوليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر (1798 - 1801)، قد تأثر أيضاً بمثل تلك الآراء، فاجتذبته فكرة استعمار فلسطين معتمداً على توطين اليهود فيها لتحقيق مشروعه في إنشاء إمبراطورية فرنسية في الشرق.

وبعد أن تمكن من احتلال مصر شرع عام 1799 في غزو فلسطين، فوجه نداءاً إلى جميع اليهود في العالم يستحثهم على الانضمام تحت لوائه لإعادة بناء ((مجد إسرائيل الضائع في القدس)). واصفاً إياهم ((الورثة الشرعيون لفلسطين)).

لكن محاولة نابوليون هذه انتهت بالفشل التام، بعد اندحار جيشه أمام أسوار عكا (1799)، فاضطر بعد ذلك إلى مغادرة مصر والعودة إلى فرنسا.

ز - إن مشروع نابوليون ، نبَّه الحكومة البريطانية سيدة الدول الاستعمارية آنذاك إلى خطورة هذا المشروع على مصالحها، فيما لو أقدمت إحدى الدول على تنفيذه. لذلك أخذت بريطانيا تفكر جدياً بالمشروع الصهيوني، فوجهت أنظارها إلى المبشرين بالفكرة الصهيونية من يهود بريطانيا لتحقيق المشروع تحت رعايتها. كان على رأس هؤلاء، اليهودي الثري (السير موسى مونتفيوري) الذي كان طليعة المتحمسين للحركة الصهيونية، ومن المقربين إلى ملكة بريطانيا (الملكة فكتوريا). فاتجه مونتفيوري إلى محمد علي باشا والي مصر بعد أن سيطر هذا على سوريا وفلسطين بالإضافة إلى مصر وعرض عليه ((أن يؤجر لليهود مائة أو مائتي قرية من قرى شمال فلسطين لمدة خمسين عاماً مقابل أجرة تدفع تدريجياً، على أن تكون هذه القرى حر ة من كل مانع أو محذور، ولليهود الحق في بيع الحاصلات، في أي بلد من بلدان العالم، دون أية قيود عليهم في ذلك)).

ومن الغرابة بمكان، أن يوافق محمد علي على طلب (موسى مونتفيوري) مع العلم أن محمد علي كان صديقاً لفرنسا وليس لبريطانيا التي وقفت في وجه مشروعه بإقامة دولة قوية في المنطقة. وتعهد محمد علي أيضاً ((بالترخيص لليهود

في شراء أية مساحة يستطيعون إيجادها في سوريا)). لعل محمد علي كان بذلك يريد إرضاء بريطانيا كي تتراجع عن عدائها لمشروعه.

لكن خسارة محمد علي باشا لسوريا بأكملها، وانسحاب جيوشه من سورية عام 1841، كان ضربة لمشروع مونتفيوري ومؤيديه. لكن ذلك لم يثنِ دعاة المشروع الصهيوني، عن مواصلة العمل لتحقيقه.

ح - في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني سنة 1853م، قدم العقيد جورج غاولر حاكم جنوب أستراليا سابقاً، تقريراً للبرلمان الانكليزي قال فيه: ((إن العناية الإلهية هي التي وضعت سورية ومصر على طريق بريطانيا، إلى أكثر مناطق تجارتها الخارجية مع مستعمراتها أهمية.. وينبغي أن تُجدّد يد بريطانيا في سورية بواسطة الشعب الوحيد الملائم للقيام بهذه المهمة، والذي يمكن أن تُستخدم طاقته بصورة دائمة وفعّالة، إنهم الأبناء الحقيقيون لهذه الأرض أبناء إسرائيل)).

ط - بعد افتتاح قناة السويس (1869)، وجهت بريطانيا اهتمامها نحو بناء قاعدة في فلسطين لحماية قناة السويس، وذلك بتنفيذ المشروع الصهيوني، تحت رعاية وحماية الحكومة البريطانية. وهذا ما يؤكده (السير ونستون تشرشل) السياسي المشهور والذي يعتبر آخر بناة الاستعمار البريطاني، حيث يقول في مذكراته: ((إذا أتيح لنا في حياتنا وهو ما سيقع حتماً، أن نشهد مولد دولة

يهودية، ليس في فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معاً، تقوم تحت حماية التاج البريطاني، وتضم نحواً من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية)).

ي - تقدمت لجنة الاستعمار التابعة للبرلمان البريطاني بتقرير عام 1907 إلى وزارة المستعمرات باسم لجنة (كامبل/بيترمان) تقترح فيه على الحكومة البريطانية ((أن تقيم حاجزاً بشرياً قوياً وغريباً، على الجسر الجوي الذي يربط آسيا بإفريقيا ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث تقوم في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوّة لسكان المنطقة)).

وبذلك أصبح على بريطانيا أن تنتظر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى 1918 لتحتل فلسطين بالقوة وتنطلق في تنفيذ وعد بلفور بإقامة الوطن القومي اليهودي فيها كما سنرى فيما بعد.

ومن كل ما تقدم نستطيع القول أن، الدول الاستعمارية الأوروبية وعلى رأسهم الحكومة البريطانية، عملوا جميعاً بنشاط لم يتوقف لتأليف ((حركة صهيونية غير يهودية)) قبل أن يفكر اليهود بإنشائها بحوالي قرنين من الزمن.

وتبيّن لنا أيضاً كيف تحوّلت الدول الأوروبية بعد منتصف القرن السابع عشر الميلادي، عن ملاحقة اليهود بالقتل والحرق والمصادرة والطرد من المناطق التي ولدوا وعاشوا فيها إلى دول تعطف على اليهود وتسعى إلى إقامة وطن خاص بهم،

بعد ظهور النظام الرأسمالي وازدياد حركة الاستعمار في العالم، وأصبحت مناطق شاسعة من آسيا وإفريقيا خاضعة لدول مثل (بريطانيا - فرنسا - هولندا - إسبانيا - البرتغال وغيرهم).

كل ذلك دفع تلك الدول إلى استخدام اليهود وإقناعهم بقبول المشروع الصهيوني الاستعماري وذلك لخدمة الدول الاستعمارية وبخاصة بريطانيا العظمى وحماية مصالحها.

رابعاً- الحركة الصهيونية غير اليهودية في أميركا:

كانت الحكومة البريطانية ترى، حتى وقت قريب، أن المشروع الصهيوني في فلسطين يخصها وحدها، لأنها لا تريد أن تقوم دولة أخرى بتنفيذ هذا المشروع، لأنه سوف يؤدي إلى تهديد مصالحها الاستعمارية. لكننا نجد، أن التنسيق بين بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية بدا واضحاً منذ منتصف القرن التاسع عشر بالتنسيق المشترك بين الحكومتين، وقد تجلى ذلك في العمل على خلق حركات دينية تبشيرية (مسيحية) للتركيز على (العهد القديم)، من أجل تهيئة عقول المواطنين بقبول فكرة إقامة (دولة يهودية في فلسطين)، من هذه الحركات (المورمون - السبتيون - شهود يهوه) وغيرها من الحركات التي ما زالت تنشط حتى الآن في مناطق مختلفة من العالم. ومن الأمثلة على ذلك التعاون والتنسيق من خلال نشاط تلك الحركات قام مؤسس كنيسة المورمون (جوزيف

سميث) بإرسال تلميذه (أوريسون هايد) إلى القدس عام 1840 من أجل تسهيل قبول (نبوءة بعث إسرائيل) حاملاً معه عدداً من كتب التوصية من وزير خارجية الولايات المتحدة، وأخرى من حاكم ولاية (إلينوي) .

ومنذ ذلك الوقت المبكر صارت حكومة الولايات المتحدة الأميركية شريكة مع حكومة بريطانية في رعاية وتنفيذ المشروع الصهيوني، وكان اهتمامها موجهاً نحو مصير الدولة العثمانية، ومصير النظام العالمي عموماً. فاقتنعت بأن استيطان اليهود في فلسطين هو الأمر الوحيد الممكن، بعد فشل مشروع إقامة مستعمرات أميركية مسيحية في فلسطين، في منتصف القرن التاسع عشر.

- وتجلى تعاون الولايات المتحدة الأميركية ، مع بريطانيا بالعمل المشترك خلال سنوات الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) فتم تبادل الآراء بين الرئيس الأميركي ولسون وبين وزير خارجية بريطانيا للاتفاق على الصيغة النهائية للتصريح الذي سوف تصدره لندن بشأن (الوطن القومي اليهودي) فوافق الرئيس ولسن على مشروع التصريح سراً.

وعندما تأكدت هزيمة تركيا في الحرب، قال الرئيس ولسون (آب 1918): ((أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا ومن شعبنا)).

صارت الولايات المتحدة الأميركية، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، أكثر اهتماماً بالمشروع الصهيوني، مما دعا الرئيس الأميركي (تيودور روزفلت) إلى توجيه الدعوة لعقد مؤتمر دولي لبحث مشكلة اللاجئين الأوروبيين وخاصة اليهود منهم. كان الرئيس الأميركي يهدف إلى اغتنام فرصة انعقاد المؤتمر للتركيز على فلسطين كحل لمشكلة اللاجئين اليهود. وقد هدف الرئيس الأميركي روزفلت أيضاً إلى نقل المبادرة إلى أيدي حكومته في قضية اعتبرتها بريطانيا من اختصاصها، لأنها بذلت جهداً كبيراً لرعايتها منذ كانت مجرد فكرة قبل مئات السنين. لكن الولايات المتحدة، انتقدت الحكومة البريطانية لأنها وضعت قيوداً على هجرة اليهود إلى فلسطين، في محاولة لإيقاف ثورة العرب الفلسطينيين وأعلنت الحكومة الأميركية تأييدها ودعمها لهجرة اليهود إلى فلسطين.

وبعد انتهاء مؤتمر (يالطا) الذي عقده الحلفاء في شهر شباط 1945 توجه الرئيس الأمريكي (روزفلت) إلى مصر حيث اجتمع بالملك فاروق، ثم اجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود الذي وصل إلى مصر على ظهر مدمرة أمريكية وبحث معه موضوع هجرة اليهود إلى فلسطين.

كان موقف الملك السعودي هو الرفض القاطع لهجرة اليهود إلى فلسطين. ويذكر الأساذ أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول صـ 379 ما يلي:

((أوفد الرئيس روزفلت (الكولونيل) هوكستر إلى ابن سعود للتأكد من أن الملك عبد العزيز يقبل بالاجتماع مع وايزمن أو مع أي موظف آخر من الوكالة اليهودية، إلا أن الملك لم يقبل بالفكرة إطلاقاً وأخبر الموفد بغضب أنه لن يقبل أن يرى (وايزمن) وأنه لا يستطيع التكلم باسم فلسطين ولا أن يسلمها إلى أيدي اليهود)).

ومما يؤسف له أن الحكومات العربية كانت آنذاك تجهل دور الولايات المتحدة والرئيس روزفلت في تأييد المشروع الصهيوني. ولا بد من إيراد بعض المواقف من سياسة الرئيس روزفلت تجاه المشروع الصهيوني؛ ((بتاريخ 1945/3/18 وبعد شهر من اجتماعه بالملك السعودي، اجتمع روزفلت بالدكتور (ستيفن وايز) رئيس مجلس الطوارئ الصهيوني في الولايات المتحدة، وأبلغه أنه قد أوضح موقفه إزاء الصهيونية في شهر تشرين الأول 1944، وأنه لن يبدل موقفه، بل سيواصل السعي لتحقيق المشروع الصهيوني في أقرب ما يمكن من الوقت)).

ومن ناحية ثانية أعرب الرئيس روزفلت عن ارتياحه ورضاه عن خطة الحزب الديموقراطي التي تنص على ((تحبيذ فتح فلسطين لهجرة واستعمار يهوديين غير مقيدين)).

ويذكر الأستاذ أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول صفحة 379 ما نصه: ((قال روزفلت بأنه لا يمكن التوصل إلى أي حل للمشكلة الفلسطينية عن طريق التعامل مع ابن سعود، وفي طريق عودته إلى الولايات المتحدة توصل روزفلت على ما يظهر إلى الاستنتاج بأنه من الضروري القيام بطريقة جديدة كاملة)).

وهكذا نرى أن الرئيس روزفلت كان موقفه هذا ناتجاً عن الضغط الصهيوني عليه وعلى الحزبين الديموقراطي والجمهوري، وخوفه على المصالح البترولية للولايات المتحدة في المنطقة العربية. ولكن نائبه (ترومان) الذي خلفه بعد وفاته قد حسم الموقف الأميركي بانحيازه الكامل جانب الصهيونية.

ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939، احتلت الحركة الصهيونية مواقع متميّزة في السياسة الأميركية الداخلية والخارجية. وازداد النقد الأميركي للإدارة البريطانية وكتابها الأبيض الذي أصدرته لإيقاف هجرة اليهود إلى فلسطين. ولذلك تذرعت الحركة الصهيونية غير اليهودية واليهودية للتحوّل السريع باتجاه التعاون مع الولايات المتحدة، والحرب ما زالت قائمة. وقد أدرك زعماء الحركة الصهيونية اليهودية، أن قوة بريطانيا قد ضعفت وأن مركزها الدولي قد اهتزَّ بعد دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية. وصار واضحاً لهم أن واشنطن سوف تخرج من الحرب قوية وتحتل زعامة النظام العالمي. لذا كان من الضروري أن تتحول الصهيونية اليهودية، إلى الاعتماد على الإدارة الأميركية،

فتتقل مركز نشاطها من لندن إلى مدينة نيويورك، وتضع نفسها في خدمة الإدارة الأميركية.

في شهر أيار من عام 1942 عقدت الحركة الصهيونية اليهودية أول مؤتمر لها في الولايات المتحدة الأميركية، في فندق بلتمور، وأعلن (دافيد بن غوريون) أحد زعماء المنظمة ولاء المنظمة الصهيونية للإدارة الأمريكية وقال:

((لم يعد باستطاعة اليهود الاعتماد على الإدارة البريطانية، في تسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين)).

وفي الوقت ذاته، شهدت الولايات المتحدة الأميركية، نشاطاً صهيونياً محموماً يتلاءم مع متطلبات ما بعد الحرب العالمية الثانية:

1- كُلفت لجنة الطوارئ الأميركية للشؤون الصهيونية، بمهمة الدعاية للقضية اليهودية في أمريكا.

2- ساعدت هذه اللجنة في عام 1941 بتشكيل ((اللجنة الأميركية لفلسطين)) التي ركّزت جهودها في استقطاب السكان المسيحيين في أميركا لدعم (المشروع الصهيوني اليهودي) .

3- تمّ تشكيل (المجلس المسيحي الفلسطيني) لتأمين موقف مؤيد للصهيونية اليهودية بين رجال الدين المسيحي.

4- أثناء حملات الدعاية للانتخابات الرئاسية عام 1944، تبنى الحزبان (الجمهوري والديمقراطي) برامج مؤيدة للصهيونية.

5- استمرت التعبئة العامة التي شملت جميع الأجهزة الحكومية والشعبية؛ وقام عدد من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي بتشكيل كتلة لمناصرة المشروع الصهيوني.

6- في عام 1942 انضم ثلث أعضاء مجلس الشيوخ إلى عدد كبير من الشخصيات الأميركية في التوقيع على عريضة تطالب الحكومة الأميركية بتشكيل جيش يهودي ينضم إلى صفوف الحلفاء في الحرب.

7- وفي عام 1944 تلقى الكونغرس بمجلسيه (الشيوخ والنواب) مطالب لإصدار مشاريع قرارات منها تشكيل الجيش اليهودي. وراح الكونغرس منذ ذلك الحين، حتى يومنا هذا يصدر عدداً لا يحصى من القرارات المؤيدة للصهيونية ومن ثم مؤيدة لإسرائيل بعد قيامها 1948 وما زال هذا التأييد مستمراً حتى الآن.

خامساً - الحركة الصهيونية اليهودية:

بعد استعراض العوامل التي أدت إلى ظهور المسألة اليهودية ومن ثم الحركة الصهيونية وتطورها. ومن ثم نشاط الحركات الصهيونية غير اليهودية في أوروبا وبشكل خاص في بريطانيا، ونشاط الحركة الصهيونية في أميركا. وإيضاح علاقة تلك الحركات بالدول الاستعمارية وبيّنا الهدف من نشاط تلك

الحركات إنما كان من أجل خدمة وحماية المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية.

ثم نعود في هذه الفقرة في الكلام عن **(الحركة الصهيونية اليهودية)** وقد مر معنا تعريف الحركة الصهيونية اليهودية، وعوامل ظهورها منذ منتصف القرن السابع عشر، ويرى بعض المؤرخين أن الحركة الصهيونية اليهودية، قد ظهرت أولاً في القرن التاسع عشر على شكل جمعيات يهودية مختلفة، أو منظمات يهودية إرهابية، تأسس منها في روسيا منظمة انضم إليها معظم يهود روسيا البارزين منهم والد (حاييم و ايزمان) و(بن غوريون) وغيرهما، أطلقوا عليها اسم (عشاق صهيون) أو (أحباء صهيون) . قامت تلك المنظمة بعدة حركات إرهابية ضد القيصرية في روسيا.

وما لبثت هذه المنظمة أن أصبحت مؤسسة سياسية استعمارية، ذات جهاز تنظيمي، اتخذ مؤسسوها من اضطهاد اليهود في أوروبا ذريعة لتنظيم تلك الحركة لتتعاون مع الدول الاستعمارية التي وجدت في دعم نشاط اليهود ما يخدم مصالحها الاستعمارية. وفي الوقت ذاته وجد اليهود في ذلك التعاون ما يوفر لهم الحماية والأمن والدعم الكامل من أجل الوصول إلى فلسطين واستعمارها.

والحقيقة هي : أن تأسيس (الحركة الصهيونية اليهودية، والإعلان عن برامجها لم يكن سوى صدى لنشاط الدول الاستعمارية)، وقد نجحت جهود

الدول الاستعمارية في توفير الظروف المناسبة، لإقناع اليهود بقبول فكرة المشروع اليهودي في فلسطين، مما أدى إلى انبثاق (الحركة الصهيونية اليهودية) في أواخر القرن التاسع عشر، وأول مظهر يدل على قيامها هو انعقاد (المؤتمر اليهودي الأول) في مدينة (بال) بسويسرا في شهر آب من عام 1897.

حضر المؤتمر نحو ثلاثمائة شخص يمثلون (خمسين جمعية يهودية). وتمخض عن المؤتمر (تأسيس منظمة صهيونية يهودية عالمية) ثم انتخب المؤتمر (تيودور هرتسل) رئيساً للمنظمة.

قال هرتسل في خطابه أمام المؤتمر ما يلي: ((إنّه لمن مصلحة الأمم المتحدة (لعله يقصد الدول الكبرى الاستعمارية) أكثر فأكثر، ومن مصلحة المدنية بشكل عام، تأسيس محطة حضارية، عبر أقصر طريق إلى آسيا. إن فلسطين هي تلك المحطة،ونحن اليهود حملة الحضارة، المستعدون لبذل أملاكنا وأرواحنا من أجل تكوينها)).

ويقول هرتسل في كتابه (الدولة اليهودية) ما نصه: ((على افتراض أن صاحب الجلالة السلطان العثماني سوف يمنحنا فلسطين، فسوف يكون بوسعنا بالمقابل القيام بتنظيم تمويل تركيا الكامل. إننا سوف نشكّل جزءاً من متراس أوروبا في وجه آسيا، كقاعدة أمامية تعارض البربرية. وينبغي علينا كدولة محايدة أن

نبقى متحالفين مع أوروبا بأكملها التي سوف يترتب عليها (أي أوروبا) ضمان وجودنا)).

من الغريب حقاً أن ينسب هرتسل لنفسه وللمنظمة التي ترأسها صفات المدنية والحضارة، وهو يقف سافراً كمرتزق مأجور جاهز لخدمة أية جهة تحتاج لمثل خدماته. وها هم قادة الدولة اليهودية في فلسطين الآن (يقتلون ويحرقون ويدمرون) بنفس السلاح الذي قدمته لهم سيدة الاستعمار (الولايات المتحدة) ليكونوا كما قال هرتسل، جزءاً من متراس أوروبا في وجه آسيا). أهذه هي الحضارة اليهودية التي تحدث عنها هرتسل؟! وهو يعرف تمام المعرفة أنه ومنظمته ليسوا سوى أدوات جاهزة لخدمة بريطانيا العظمى ! ..وغيرها! ..

ألم يعلن ذلك في المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن قائلاً: ((من هذا المكان ستنطلق الحركة الصهيونية إلى آفاق أبعد وأبعد. ف إنكلترا العظمى .. إنكلترا الحرة .. إنكلترا التي لا يغيب بصرها عن البحار السبعة، ستفهمنا)).

ويُعتقد أن هرتسل والذين شاركوه في مؤتمر بال بسويسرا عام 1897، يُدركون أن هذا المؤتمر لم ينعقد تلبية لحاجات اليهود أو استناداً إلى عقيدة اليهود التوراتية. بل انعقد هذا المؤتمر تلبية لأهداف الصهيونية العالمية غير اليهودية، وكجزء من عملية التحول التي طرأت على بنية النظام العالمي، مع بداية ظهور الكارتلات الاحتكارية.

وقد جاء انعقاد المؤتمر في نطاق عمليات الدول الاستعمارية للاستيلاء على أشلاء الدولة العثمانية التي كانت تلفظ أنفاسها. ومن ثم التحضير لتقسيم تركة الدولة العثمانية، على أن يكون للحركة الصهيونية اليهودية حصة كبيرة (الدولة اليهودية في فلسطين). ((وأن القيمة الإستراتيجية لفلسطين في نظر الدول الاستعمارية هي التي دفعت إلى تحقيق انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، وليس الإلهام الذي هبط على هرتسل فجأة)).

ويُعتقد أنه لم يغبْ عن بال هرتسل أن الحركة الصهيونية اليهودية، هي صنيعة الإدارات الصهيونية غير اليهودية العليا. وأن ولاء الصهيونية اليهودية هو دائماً للإدارة الرأسمالية العليا، سواء أكانت عاصمتها في لندن أو واشنطن أو باريس أو برلين. وقد قال (موشي شاريت)، في مطلع الخمسينات ما نصه: ((إن مشاركة يهود أميركا الفعّالة في بقاء "دولتنا" متفوقة يمكن أن تتحقق على أساس اندماج سياستنا الخارجية في السياسة العالمية لواشنطن. ولن يساعدنا إخوتنا اليهود فيما وراء البحار إذا ((لم نخضع لرغبة حكومتهم)).

قرارات المؤتمر الصهيوني الأول:

اتخذ هذا المؤتمر عدة مقررات أهمها:

1- إعتبار فلسطين دون سواها، الوطن القومي لليهود وذلك لربط الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالعقيدة الدينية عند اليهود. ولقطع الطريق على مشاريع التوطين خارج فلسطين.

2- تأسيس جمعية يهودية دولية تمثل الاتحادات المالية اليهودية.

3- تأمين هجرة العمال الزراعيين والصناعيين من اليهود إلى فلسطين وفق خطة مناسبة.

4- تنظيم يهود العالم وربطهم بالمنظمة الصهيونية، والقيام بنشاط ملائم مع المنظمات المحلية والدولية في العالم.

5- العمل على تقوية الوعي القومي عند اليهود.

6- جعل اللغة العبرية (لغة رسمية) ويجب أن يتعلمها جميع اليهود وبخاصة المهاجرون إلى فلسطين.

7 - اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، للسماح لهجرة اليهود إلى فلسطين باعتبار أن السلطان صاحب السلطة في فلسطين.

وبالفعل تألفت لجنة من أعضاء المؤتمر برئاسة هرتسل. وتمت المقابلة مع السلطان العثماني، وعُرض المشروع اليهودي عليه، مقابل أن تقوم المنظمة الصهيونية بدفع ديون الدولة العثمانية كاملة، وتمويل تركيا بكل ما تحتاج إليه.

أدرك السلطان العثماني خطر المشروع اليهودي، بالنسبة لمشروع السلطان الداعي إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، وبخاصة أن مدينة القدس تعتبر إحدى المقدسات الإسلامية لذلك رفض السلطان العثماني الاستجابة لطلب هرتسل، وأمر بعدم السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ومنع بيع الأراضي أو انتقالها إلى اليهود.

وعندها كان على المنظمة الصهيونية أن تقبل بأحد مشاريع التوطين خارج فلسطين، والتي عُرضت على المنظمة، وإما أن تقبل بالمخطط البريطاني في الاستمرار بدعم المشروع الصهيوني في استعمار فلسطين.فاختار هرتسل العمل من خلال المخطط البريطاني، ((لأن من ينظر إلى التقرير الذي وضعته لجنة (كامبل) رئيس وزراء بريطانيا عام 1907، لن يبقى بحاجة إلى التردد أو إلى أي شيء آخر من أجل الوصول إلى معرفة دور بريطانيا في دعم المشروع الصهيوني وزرع الكيان اليهودي في قلب الوطن العربي)) ويقول التقرير ما يلي: ((إن الخطر على كيان الإمبراطوريات الاستعمارية يكمن بالدرجة الأولى في المنطقة العربية، وذلك في تجمعها واتحادها حول هدف واحد وعقيدة واحدة. فعلى جميع الدول ذات

المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة مجزأة ومتأخرة، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من الجهل والتناحر، والعمل على فصل الجزء الإفريقي من الوطن العربي عن الجزء الآسيوي، بإقامة حاجز بشري، قوي وغريب بحيث تكون في هذه المنطقة قوة صديقة للاستعمار وعدوّة للعرب)).

إن تقرير لجنة كامبل - بيترمان لم يطلب من اليهود العمل على إقامة دولة عدوة للعرب، بل طلب من جميع الدول ذات المصالح المشتركة أن ((تحول دون وحدة العرب ويقظتهم وأن تعمل على خلق حاجز بشري (الدولة اليهودية) يفصل بين الجزء الإفريقي والجزء الآسيوي من الوطن العربي)).

وقبل المضي في تطور الأحداث خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها. أرى من الضروري الكلام عن تقرير عُرض على المؤتمر الصهيوني الأول في (بال) ويُعرف التقرير باسم ((بروتوكولات حكماء صهيون)) بالنظر للخطورة التي يمثلها هذا التقرير ليس على المنطقة العربية فحسب بل على العالم ككل:

بروتوكولات حكماء صهيون:

كُشف عن وثائق سرية مهمة كانت مدار بحث ونقاش في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال) عام 1897، تدعى (بروتوكولات حكماء صهيون)، ويُفضّل البعض تسميتها بمقررات مؤتمر 1897 باعتبار أنها أُعدت لتُبحث في المؤتمر الصهيوني الأول كي يصادق عليها كخطة عمل.

كُتبت هذه الوثائق على شكل تقرير مقدمته مفقودة، وينطوي على مخطط عمل يرمي إلى تمكين اليهود من السيطرة على العالم لمصلحة اليهود.

ويعتقد الباحثون الغربيون أن واضع (البروتوكولات) هو أحد كبار كهنة اليهود المشهورين في عالم الكتابة اليهودية، واسمه (أحد هاعام) أي أحد أفراد الشعب. ولا يُعرف بأية لغة كُتبت البروتوكولات في الأصل، قد تكون اللغة العبرية (اليهودية) أو الفرنسية، نقلها بروفسور روسي يدعى (نيلوس) إلى الروسية، ويرجح البعض أنها كُتبت باللغة الروسية ثم قام نيلوس بطبعها.

بسط التقرير أمام المؤتمر الصهيوني الأول منهاجاً عملياً لتنفيذ المخطط ومنها:

1- تدبير الخطط لهدم الحكومات في العالم عن طريق نشر بذور الخلاف، والشغب وإثارة الحروب فيما بينها، بحيث يضعف الغالب والمغلوب.

2- إحداث أزمات اقتصادية عالمية حتى يسير العالم في طريق الانهيار الاقتصادي ويعم الفقر بين المجموعات البشرية.

3- نشر الفساد الأخلاقي والإباحية، والإلحاد، والفوضوية، حتى يتمكن اليهود من تأسيس حكومة ملكية يهودية استبدادية مقرها في أورشليم (القدس) أولاً ثم تستقر إلى الأبد في (روما) عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديماً.

والثابت أن مواد هذا المخطط مستقاة من التلمود الذي تجسمت فيه روح التعصب والعداء تجاه كل ما هو غير يهودي ومن فكرة أو عقيدة (الشعب المختار) التي تمسك بها اليهود في كل الأدوار وما زالوا يتمسكون بها حتى الآن.

من الطبيعي أن يُحاط هذا التقرير بأشد أنواع الكتمان والتحفظ، ومع ذلك فقد وقعت نسخ منه في أيدي من قام بترجمتها وطبعها. وأول من قام بهذا العمل هو البحاثة (سرجي نيلوس) من رجال الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا. نشر أول طبعة منها بالروسية عام 1902 وعلى أثر نشرها عمت المذابح ضد اليهود في روسيا، ويُقال أن عدد القتلى كان حوالي عشرة آلاف شخص.

ثم أعاد طبع التقرير مع مقدمة وتعقيب عليه بقلمه عام 1905 وأطلق عليه اسم ((بروتوكولات حكماء صهيون)) . ولما أُعيد طبع الكتاب عام 1917 صادره الشيوعيون البلاشفة بعد أن قبضوا على زمام الحكم في روسيا، وكان معظمهم من اليهود. وبذلك اختفت البروتوكولات من روسيا. أما مصير نيلوس فكان الاعتقال والنفي إلى سيبريا، حيث قضى نحبه في المنفى عام 1929.

ثم تُرجمت البروتوكولات إلى اللغة الإنكليزية، وأُعيد طبعها عدة مرات،ثم تُرجمت إلى الألمانية وإلى لغات كثيرة منها اللغة العربية.

واختلف الرواة حول كيفية ظهور البروتوكولات إلى الوجود، لقد ذكر (نيلوس) في مقدمة كتابه، أن صديقاً له دفعها إليه عام 1901، وهي صورة

صحيحة عن وثائق أصلية سرقتها سيدة فرنسية من أحد زعماء (الماسونية) في فرنسا حيث وكر المؤتمر الماسوني اليهودي.

وفي رواية أخرى، أن حكومة القيصر الروسي، كانت تتعقب حركات اليهود، لأنهم كانوا يتآمرون على حكومة القيصر، فأنفذ القيصر جواسيس من الروس المجربين إلى بال بسويسرا متنكرين، داهموا المؤتمر الذي كان منعقداً في جلسة سرية، فكانت البروتوكولات من جملة ما استولى عليه المداهمون.

وإذا أراد القارئ الاستزادة من المعلومات المتعلقة بالبروتوكولات يمكنه الرجوع إلى كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) للأستاذ البحاثة (عجاج نويهض)، فيجد فيه بحثاً مستفيضاً عنها، ويقع كتاب الأستاذ نويهض في مجلدين وأربعة أجزاء طُبع في بيروت على الأرجح دون ذكر مكان الطبع.

محاولات توطين اليهود خارج فلسطين:

بعد فشل هرتسل في إقناع السلطان العثماني بالموافقة على هجرة اليهود إلى فلسطين، رأينا فيما سبق أن هرتسل وزعماء المنظمة، لم يجدوا أمامهم إلا الاعتماد على الحكومة البريطانية، بغية الحصول على مساعدتها في استعمار (العريش وسيناء) كبداية لتحقيق المشروع الأصلي الذي يرمي إلى استعمار فلسطين. وعلى الرغم من موافقة الحكومة البريطانية، وموافقة ((اللورد

كرومر) المندوب السامي البريطاني في مصر، إلا أن المشروع قد انتهى بالفشل وتخلّى هرتسل عن المشروع لأن لجنة الخبراء عارضت إرواء سيناء من مياه النيل.

بعد ذلك اقترح وزير المستعمرات البريطاني (المستر تشمبرلين) على هرتسل فكرة ترمي إلى استعمار بعض المناطق في إفريقيا مثل (أوغندا، موزامبيق، أو بعض أجزاء من الكونغو). ولكن هرتسل رفض ذلك وقال في تعليقه على الاقتراح: ((إن هذه المشاريع كلها لم تغيّر من المخططات الصهيونية الأصلية بشأن استعمار فلسطين، وأن أمالنا في تحقيق هدفنا النهائي، لم تكن في يوم من الأيام أقوى مما هي عليه الآن. وسيقوى نضالي من أجل أرض صهيون، ويعظم ويشتد بفضل القوى والظروف الجديدة التي أصبحت إلى جانبنا)).

- كذلك قامت بعض المنظمات اليهودية من بريطانيا وفرنسا، بدراسة مشروع لتوطين مجموعات من الفلاحين اليهود، من ألمانيا وبولونيا، في العراق، لاتساع الأراضي ووفرة المياه في العراق مع قلة عدد السكان الذين يقومون بزراعتها.

وبالفعل تسلم الملك فيصل خلال زيارته إلى لندن في شهر أيلول 1933، اقتراحاً بتوطين مائة ألف يهودي ألماني في حوض نهر دجلة الأسفل، مقابل بعض الفوائد المالية. ولكن الملك فيصل الأول أحال هذا الاقتراح إلى الحكومة العراقية للنظر فيه.. والواجب كان يقتضي رفضه دون إحالته إلى الحكومة؟!..

لقد فشلت جميع هذه المشاريع، لأن بريطانيا بشكل خاص كانت ترى أن أي مشروع خارج فلسطين لن يحقق لها أطماعها الاستعمارية، ولأن زعماء الحركة الصهيونية اليهودية، كانوا يدركون أن أي مشروع استيطاني خارج فلسطين لن يجذب إليه يهود أوروبا.

يجب العودة الآن إلى متابعة نشاط المنظمة الصهيونية اليهودية، خلال سنوات الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 وما أعقبها من تطورات.

لقد أبرزت الحرب ومجرياتها ونتائجها، مزيداً من الأسباب المهمة لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين. لأن المشروع الصهيوني كان جزءً من تصفية التركة العثمانية. وكان لظهور البترول في المنطقة العربية، دور قوي في دفع المشروع الصهيوني، من أجل تحقيق المطامع الاستعمارية ورغبة الدول ذات المصالح المشتركة في وضع (سوريا وفلسطين ولبنان وشرقي الأردن تحت الانتداب) واحتلال العراق عسكرياً. وأصبح الآن احتكار البترول العربي المحرك الأول والحاسم لكل ما يقع في المنطقة العربية من أحداث.

وأثناء سنوات الحرب العالمية الأولى، كانت نشاطات المنظمة الصهيونية اليهودية تتركز حول النقاط التالية:

1- انتصار الحلفاء في الحرب، لأن ذلك يعني انتصار للمشروع الصهيوني.

2- الانتداب على فلسطين يجب أن تقوم به بريطانيا.

3-   على الدولة المنتدبة أن تعمل على تهيئة دخول مليون يهودي جديد إلى فلسطين خلال عشرين أو ثلاثين سنة.

4-   عندما تقوم الدولة اليهودية في فلسطين، ينتهي الانتداب، وتستمر الدولة اليهودية في خدمة المصالح البريطانية، والدفاع عن قناة السويس.

لقد تحققت النقاط الأربع كاملة، بدعم وتأييد الحكومتين البريطانية والأميركية. حيث حصل اليهود أيضاً من بريطانية على (وعد بلفور) وزير الخارجية البريطانية عام 1917وقبل أن تنتهي الحرب، وقد تعهدت الحكومة البريطانية رسمياً بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين. (وعد بلفور) وهذا الوعد هو عبارة عن خطاب موجه من وزير خارجية بريطانيا اللورد (آرثر بلفور) إلى اللورد (روتشيلد) [1] ممثل اللجنة السياسية التابعة للمنظمة الصهيونية اليهودية وفيه يعلن: ((أن حكومة جلالة ملك بريطانيا، تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وتريد أن تبذل كل جهودها لتحقيق هذا الهدف، على أن يكون من المفهوم بوضوح، أنها لن تفعل أي شيء قد يضر بالحقوق الدينية

---

[1] ـ من أراد أن يعرف المعلومات المفصلة عن ((الأسرة الروتشليدية))، يجد في كتاب (حكومة العالم الخفيّة)، نشر دار النفائس في بيروت.

أو المدنية الخاصة بالجماعات غير اليهودية في فلسطين)). وأكون ممتناً لو نقلتم هذا الوعد للاتحاد الصهيوني)[2].

كأن وزير خارجية بريطانيا، قد تقمص في شخص (يهوه) إله التوراة الذي وعد الشعب اليهودي بإعطائهم أرض كنعان في التاريخ القديم.

وها هو (يهوه) بريطانيا يُعطي فلسطين لليهود في القرن العشرين.! وإذا كانت أسطورة (أرض الميعاد) قد عاشت في عقول كهنة اليهود، لكن وعد (يهوه) بريطانيا اللورد بلفور ليس أسطورة، بل هو جزء من مخطط الدول الاستعمارية التي لم تتوقف يوماً واحداً عن دفع المشروع اليهودي لخدمة مصالحها.

ولم يقتصر الأمر على إصدار الوعد، بل وافقت عليه كل من الولايات المتحدة واليابان وإيطاليا. فتلقت بذلك، الحركة الصهيونية اليهودية من الدعم ما أفسح المجال أمامها لتتابع نشاطها بشكل أقوى في سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى:

أ - بعد انتهاء الحرب في الأشهر الأخيرة من عام 1918. وفي شهر كانون الثاني من عام 1919، عقدت الدول الحليفة مؤتمراً للصلح في باريس لبحث

---

[2] - ((الصهاينة هم الذين كتبوا المسودّة الأصلية لوعد بفلور. فقد حررها القاضي اليهودي (برانديس) واعتمدها الرئيس الأمريكي ولسون، ثم قدمت بعد ذلك للسير آرثر بلفور، وزير خارجية بريطانيا لتوقيعها)) ويعلق أحد الكتاب على ذلك بقوله: ((والواقع أنه لا توجد في تاريخ الولايات المتحدة حادثة أشد إذلالاً من هذه الحادثة)).
- نشر وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني 1917بعد أن اعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا 1917/4/6.
يقول أمين سعيد في كتابه أسرار الثورة العربية الكبرى ص227 ما نصه: ((اكتتب اليهود في قرض النصر البريطاني الذي صدر سنة 1916، بمئة مليون جنيه قبضها الإنكليز ثمن الوعد مقدماً)).

الوضع الدولي العام بعد هزيمة ألمانيا وتركيا. وخلال انعقاد المؤتمر، تقدم وفد صهيوني بمذكرة إلى المؤتمر يطلب فيها الأمور التالية:

1- الاعتراف بحق اليهود في بناء الوطن القومي لهم في فلسطين.

2- تعيين حدود فلسطين بشكل يضم (جنوب لبنان وجبل الشيخ (حرمون) والعقبة وشرقي الأردن) ويلاحظ في هذا الطلب أن تكون الموارد المائية تابعة لفلسطين.

3- يكون الانتداب على فلسطين بإدارة بريطانيا العظمى.

4- تنفيذ وعد بلفور الصادر عام1917.

5- السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين واستعمار الأرض فيها، وإيجاد مجلس تمثيلي ليهود فلسطين.

ب - أقر مؤتمر الصلح، إقامة انتدابات مؤقتة في بعض المناطق التي كانت تابعة لتركيا. وكانت فلسطين من ضمن المناطق التي وُضعت تحت الانتداب البريطاني.

جـ - في 25 نيسان 1920 أقر مجلس الحلفاء الأعلى المنعقد في (سان ريمو) بإيطاليا انتداب بريطانيا في فلسطين رسمياً.

وبذلك يأتي الانتداب البريطاني كخطوة عملية على طريق، تأسيس الكيان اليهودي في فلسطين، حيث كانت مهمة الإدارة المنتدبة تكريس جهودها قبل كل شيء لتقوية العنصر اليهودي في فلسطين عن طريق فتح باب الهجرة إليها. وفي ذلك قال (حاييم وايزمان) رئيس المنظمة الصهيونية اليهودية: ((لقد اتفقنا مع الإنكليز على أن نتسلم فلسطين خالية من السكان)).

د- كان تعيين (هربرت صموئيل) اليهودي البريطاني، كأول مندوب سامٍ في فلسطين، خطوة هامة لتنفيذ وعد بلفور الداعي إلى إقامة الوطن القومي اليهودي.

هـ - المطالبة بفتح باب هجرة اليهود من أوروبا وغيرها إلى فلسطين تحت حماية القوات البريطانية.

و - بادرت المنظمة الصهيونية اليهودية إلى عقد مؤتمر صهيوني في لندن لإعادة تنظيم الحركة في مرحلة ما بعد الحرب الأولى. وأسفر عن هذا المؤتمر:

1- قيام (الوكالة اليهودية) في فلسطين بدوائرها السياسية والتنظيمية والمالية.

2- تأليف مكتب متخصص في شؤون الهجرة.

3- تأسيس الصندوق القومي للإسكان والإعمار.

وأصبحت الوكالة اليهودية، دولة ضمن إدارة الانتداب البريطاني. وقد لاقت كل دعم وتأييد ومساعدة من سلطات الانتداب البريطاني. وكان جلّ اهتمامها يتركز في تنظيم الهجرة اليهودية، وإقامة المستعمرات لاستيعاب المهاجرين، ونقل الأراضي التي استولت عليها إدارة الانتداب، والتي كانت تابعة سابقاً للسلطان العثماني أو أملاك عامة للدولة.

كل ذلك ساعد في تزايد عدد اليهود في فلسطين:

من 40 ألف قبل عام 1914 إلى 55 ألف عام 1919 وإلى 108 آلاف عام 1925 وإلى 300 ألف عام 1935 بسبب الأزمة المالية العالمية التي حدثت عام 1929 وأدت إلى ارتفاع عدد المهاجرين اليهود بعد الحرب العالمية الثانية إلى 650 ألفاًعام 1948.

أمام هذا التزايد في عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين، في فترة ما بين الحربين العالميتين، بشكل أصبح خطراً حقيقياً على الوجود العربي والحق العربي في فلسطين. وقد رافق تزايد عدد المهاجرين تزايد عدد المستعمرات اليهودية، وتزايد النشاط الإرهابي ضد السكان العرب، تقوم به منظمات إرهابية يهودية تحت حماية القوات البريطانية المرابطة في فلسطين.

أمام هذا الخطر المتزايد، فما هو الرد العربي عليه؟! ..

للجواب على هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى الموقف العربي العام، ومن ثم إلى موقف العرب الفلسطينيين أنفسهم.

- فيما يتعلق **بموقف العرب بشكل عام** ، كان الوطن العربي بشقيه الآسيوي والإفريقي قد وقع تحت سيطرة الدول الاستعمارية ابتداءً من النصف الأول من القرن التاسع عشر. (احتلت فرنسا الجزائر عام 1830) واستمر خضوع الوطن العربي حتى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بسنوات. فلم يكن للعرب دولة مستقلة تملك أية قوة عسكرية لمواجهة الخطر الصهيوني الذي تحميه الدول الاستعمارية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وأميركا) .

- أما فيما يتعلق **بموقف الشعب العربي الفلسطيني**، فقد وقف لوحده يجابه القوات البريطانية المحتلة، والمنظمات اليهودية الإرهابية، دون أن يجد من يقدم له العون أو السلاح للدفاع عن أرضه ووجوده.

ومع ذلك لم يقف الفلسطينيون مكتوفي الأيدي أمام هذا الخطر المتزايد، بل هبوا للدفاع عن بلادهم منذ عام 1920، فقاموا بعدة انتفاضات منها : (1922 - 1928 - 1930) كانت القوات البريطانية تبادر إلى محاصرتها وقمعها.

إلى أن اندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى عام (1936).

الثورة الفلسطينية الكبرى 1936:

كانت ثورة 1936 هي التعبير الوطني الذي غرسه استشهاد الشيخ (عز الدين القسام)، إمام جامع عكا الكبير الذي دعا الشعب إلى الكفاح المسلح ضد الوجود البريطاني في فلسطين وضد الغزو الصهيوني لأرض فلسطين العربية. فكان استشهاده في معركة جبل يعبد بمثابة الشرارة التي أدت إلى اندلاع الثورة في فلسطين في أواخر شهر نيسان 1936.

كان زعماء الأحزاب الفلسطينية قد اجتمعوا قبل استشهاد القسام، بالمندوب السامي البريطاني وحددوا له مطالبهم بما يلي:

1- وقف هجرة اليهود حالاً.

2- سن تشريع بمنع انتقال الأراضي إلى اليهود.

3- تشكيل حكومة وطنية.

ولما لم يستجيب المندوب السامي لمطالب العرب، بدأت الاضطرابات والمظاهرات تعم جميع أنحاء فلسطين، واستمرّت الثورة الشعبية الدامية ستة أشهر.

وفي هذا الجو تشكلت ((اللجنة العربية العليا)) برئاسة الحاج أمين الحسيني وعضوية رؤساء الأحزاب. وعلى الرغم من ضعف وسائل الإعلام في تلك الفترة فإن هذه الثورة أحدثت دوياً هائلاً في الأوساط الشعبية في كافة الأقطار العربية. أعقبه تحرك نشيط في الأوساط الشعبية بالتطوع للقتال، فأقبل المجاهدون من

الأقطار العربية إلى فلسطين ليشتركوا بالثورة، مما أدى إلى تعاظم الثورة وازدياد قوتها في مواجهة القوات البريطانية والعصابات اليهودية.

وفي 30 آب 1936 أعلن القائد (فوزي القاوقجي) بياناً باسم قيادة الثورة جاء فيه: ((إنني أدعو القادرين من أشبال العرب إلى السلاح .. أجل إلى السلاح إيذاناً بسقوط الوجود الأجنبي في فلسطين، وقيام حكومة عربية ثورية تستمد وجودها من إرادة الأمة إلى أن يتحقق ما يلي:

1- تسحب الجيوش البريطانية.

2- تمنع الهجرة اليهودية منعاً باتاً.

3- يقوم مجلس تأسيسي منبثق من إرادة الشعب يضع دستوراً للبلاد ،تقوم بمقتضاه حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي منتخب.

هكذا أخذت ثورة 1936 الفلسطينية مداها القومي، فقد ساهم فيها الفلسطينيون والسوريون والعراقيون.

شعرت بريطانيا بتفاقم الخطر على مصالحها في المنطقة العربية، وخشيت امتداد الثورة إلى العراق ومصر. لذا لجأت الحكومة البريطانية إلى الخداع لإجهاض الثورة، حيث أصدرت ما دعته ((الكتاب الأبيض)) أعلنت فيه عن وضع قيود على هجرة اليهود إلى فلسطين، ثم طلبت من أصدقائها الملوك والسياسيين

العرب التدخل لإيقاف الثورة. وخاصة أن تباشير الحرب العالمية الثانية أخذت تبرز مع ازدياد التهديد النازي في ألمانيا ضد دول الحلفاء.

وفيما كانت هذه الثورة الشعبية تتصاعد وتتسع و تأخذ طريقها لتحقيق النصر، أعلنت ((الهيئة العربية العليا)) إنهاء الاضطرابات دون قيد أو شرط ابتداءً من 1936/10/12 بناءً على النداء الموجه من رؤساء العرب والموقع من : الملك عبد العزيز آل سعود - الملك غازي ملك العراق - الإمام يحيى حميد الدين ملك اليمن - الأمير عبد الله أمير شرق الأردن. والنداء يطلب من الشعب الإخلاد إلى السكينة اعتماداً على حسن نوايا بريطانيا ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل. وفيما يلي نص النداء الموحد الذي صدر عن الملوك العرب والأمير عبد الله في وقت واحد :

((إلى أبنائنا عرب فلسطين - القدس))

((لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع أخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاد إلى السكينة حقناً للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم)).

ردت اللجنة العربية العليا على نداء ملوك العرب والأمير عبد الله بالموافقة على تلبية النداء وأصدرت قراراً بوقف الاضراب اعتباراً من صباح الاثنين في 1936/10/12. كما أصدرت بياناً قالت فيه:

((ولما كان الامتثال لإرادة أصحاب الجلالة والسمو ملوك العرب وأمرائهم والنـزول على إرادتهم، من تقاليدنا العربية الموروثة، وكانت اللجنة العربية العليا تعتقد اعتقاداً جازماً بأن أصحاب الجلالة والسمو لم يأمروا أبناءهم إلا بما فيه مصلحتهم وحفظ حقوقهم. لذلك قررت اللجنة العربية العليا امتثالاً لإرادة أصحاب الجلالة والسمو الملوك والأمراء اعتقاداً منها بعظم الفائدة التي تنجم عن توسطهم وموآزرتهم، تدعو الشعب العربي الكريم إلى إنهاء الإضراب والاضطراب إنفاذاً لهذه الأوامر السامية التي ليس لها من هدف إلا مصلحة العرب)).

نزولاً عند إرادة الملوك والأمير عبد الله صنائع بريطانيا ضاعت على الثورة الفلسطينية فرصة تحقيق النصر. مما سينعكس ذلك على قضية فلسطين وضياعها عام 1948. وعلى أثر صدور بيان اللجنة العربية بحل الإضراب، توقف القتال واضطر المجاهدون العرب الى العودة إلى ديارهم .

نشاط الحركة الصهيونية بتهريب الأسلحة واليهود إلى فلسطين:

لم يقتصر نشاط الحركة الصهيونية على التعاون مع الدول الاستعمارية لتحقيق قيام الدولة اليهودية في فلسطين، بل امتد هذا النشاط إلى إيجاد اتصال مع المسؤولين في البلاد العربية، وقد تمكنت هذه الحركة، من القيام بتهريب اليهود والأسلحة من البلاد وعبرها إلى فلسطين في فترة ما بين الحربين، هذا من

جهة ومن جهة ثانية تحقيق اتصالات مع المسؤولين في البلاد العربية وإجراء محادثات معهم حول القضية الفلسطينية.

ففيما يتعلق بتهريب اليهود والأسلحة، كانت أجهزة المخابرات الصهيونية تقوم بأخطر عمليات التهريب مما سيكون لها دورٌ حاسم في معركة عام 1948.

كانت تلك الأجهزة تعمل بكل حرية دون أن تتصدى لها قوى الأمن في البلاد العربية. ولولا أن بعض المواطنين العرب كانوا يرسلون بالمعلومات حول ذلك إلى الصحف، لما أمكن معرفة تلك الفضائح. ولم يقتصر الأمر على سورية وحدها بل ذكرت الأخبار من بيروت أن أحد النواب كان يقود عمليات تهريب اليهود والأسلحة إلى اليهود في فلسطين.

وكتب الصحفي المصري (حبيب جاماتي) في جريدة (المصري) ما يلي: ((ثبت لدينا أن في سورية ولبنان أشخاصاً كانوا ولا يزالون في مناصب الوزارة أو مناصب كبرى أخرى أو في المجلسين النيابيين لا شغل لهم غير تهريب اليهود والأسلحة إلى فلسطين)).

كذلك كانت حكومة دمشق تعمد إلى تعطيل الصحف التي تنشر أخبار عمليات شبكات المخابرات الصهيونية، ولا تعترف إلا بالحوادث التي وضع الشعب يده عليها. كما فعل رئيس الحكومة السورية (سعد الله الجابري) حين قال في مؤتمره الصحفي في 1945/10/17:

((لقد بدأت عملية الاهتمام بقضية فلسطين تعطي ثمراتها ، إذ كان لنشاط الحكومة وسهرها أن أُوقِف خمسة من السماسرة في القامشلي، وثلاثة عشر صهيونياً تسربوا إلى البلاد ، والأمل كبير بأن يكون التوفيق حليفنا في هذا المضمار)).

وهكذا فإن هجرة اليهود استمرت بشكل واسع قبل وبعد قيام دولة إسرائيل 1948. من المغرب العربي واليمن ولبنان وسوريا والعراق.وكانت الحكومات العربية متشابهة في غض النظر عن تهريب اليهود العرب واليهود الأجانب عبر البلاد العربية ومنها إلى فلسطين. وكانت آخر عمليات التآمر لدعم دولة إسرائيل بالمهاجرين هي تواطئ الرئيس السوداني (جعفر النميري) في الثمانينات على تهريب يهود الحبشة بتمويل المخابرات الأمريكية عبر السودان.

أما فيما يتعلق **بالاتصالات الصهيونية العربية:**

لقد أخفت الحكومات العربية ذكر هذه الاتصالات أو الإشارة إليها في الصحف. غير أن اليهود تحدثوا عن هذه الاتصالات في السبعينات ويذكر الأستاذ أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول الصفحة 688 وحتى الصفحة 694 أخبار تلك الاتصالات فيقول: ((وذلك في كتابين أحدهما (لالياهو ساسون)

وموضوعه (الاتصالات العربية الصهيونية) خلال الثلاثينات والأربعينات والآخر من تأليف (الياهو إيلات) وعنوانه (العودة إلى صهيون)، وكان الاثنان طرفين مهمين في تلك الاتصالات)).

ويتابع الأستاذ أكرم الحوراني نقلاً عن جريدة (دافار) في ملحقها الصادر في 1977/3/2 حيث قالت: ((يلاحظ أن الاتصالات بين الجانب اليهودي وبين الجانب العربي قبل قيام الدولة اليهودية كانت تسيطر عليها قاعدتان: السرية التي يطالب بها العرب، واعتقاد الجانب العربي أن حركة الاستيطان في فلسطين، ثم حكومة إسرائيل فيما بعد باستطاعتها مساعدة الجانب العربي على تحقيق أغراضه الذاتية)).

ويذكر الأستاذ أكرم في مذكراته جـ 1 صـ 688: ((أن الاتصالات مع الجانب السوري شملت: شكري القوتلي - جميل مردم - فخري البارودي - لطفي الحفار - فايز الخوري - نسيب وفوزي البكري - فريد زين الدين - وديع تلحوق - نصوح بابيل صاحب جريدة الأيام - محج م الشعلان من رؤساء عشائر الرولة- الصحافي توفيق جانا - وقد سجل محاضر الاجتماعات الياهو إيلات في كتابه عودة صهيون)). كما يلي:

- الاجتماع الأول:

كان مع فخري البارودي في روما بتاريخ 1936/7/17 وحضره عن الجانب اليهودي، الياهو إيلات وعاموس لندمان ودافيد لوزيه.طالب البارودي بإيقاف الهجرة ريثما تهدأ الثورة في فلسطين، ولكن إيلات رفض ذلك رفضاً قاطعاً. وطلب البارودي أن يقوم اليهود بما لهم من نفوذ في فرنسا مع رئيس الوزراء (ليون بلوم) اليهودي، للعمل على تصديق معاهدة 1936 ، ثم قال: إن ذلك سيكون دليلاً على شعور الصداقة التي يكنها الشعب اليهودي للشعب العربي)). قصدتُ من إيراد ذلك كي يطلع المواطن العربي على تورّط الحكومات العربية في المؤامرة على فلسطين وشعبها العربي.

- الاجتماع الثاني:

جرى في بلودان بتاريخ 1936/8/1 ، مثّل الجانب السوري (شكري القوتلي - فخري البارودي - لطفي الحفّار) وحضر عن الوكالة اليهودية (الياهو إيلات وعاموس لندمان)(وجاء في الكتاب: ((أن شكري القوتلي قد أعرب عن رغبته في التوصل إلى اتفاق بعد أن يتم تحديد كافة القضايا)).

- الاجتماع الثالث:

جرى في دمشق بتاريخ 1936/8/9 ، حضره من الجانب السوري: (شكري القوتلي - لطفي الحفّار) وعن الوكالة اليهودية : (الياهو إيلات - دافيد

هاكوهين - يوسف نخماني) تناول جدول الأعمال، علاقات اليهود والعرب في فلسطين، ثم العلاقات بين اليهود والعرب بصورة عامة.

وقد لاحظ القوتلي في هذه الجلسة أن اليهود كانوا يسجلون الوقائع فطلب منهم عدم نشر أي شيء دون موافقة الطرفين.

- الاجتماع الرابع:

جرى بتاريخ 1937/1/2 ، مثّل الجانب السوري شكري القوتلي. وعن الجانب اليهودي، حضره : الياهو إيلات والياهو ساسون. تمَّ الاجتماع في بيت شكري القوتلي، وقد سلم الوفد اليهودي محاضر الجلسات التي تمت في دمشق وبلودان إلى القوتلي ليقرأها ويصادق على ما فيها ولكنه أعادها غير موقعة.

- الاجتماع الخامس:

عُقد هذا الاجتماع في دمشق بتاريخ 1937/1/3 مع (جميل مردم) حيث سلمه الياهو ايلات رسالة من وايزم ان بمناسبة توليه رئاسة الوزارة، وقال مردم: ((إنه مطلع على تفاصيل المفاوضات التي جرت مع الكتلة الوطنية وأبدى أسفه لعدم تمكنه من الاشتراك فيها ، وأنه الآن مشغول بقضايا سورية ولكنه سيتفرغ بعد ذلك لقضية المفاوضات.

- الاجتماع السادس:

جرى يوم 1937/2/26 ، بين جميل مردم، وبين الياهو إيلات ودوف هوز عن الجانب اليهودي، تحدث هوز عن موضوع تقسيم فلسطين وقال: ((إذا تحقق ذلك فسيصيب الضرر المصالح العربية واليهودية على السواء وأن سورية ستتضرر أيضاً نتيجة ذلك، وسأل عن استعداد سورية للتأثير على زعماء فلسطين للتوصل إلى اتفاق بين الفريقين)). فقال مردم: ((أنه سيتصل بالحاج أمين الحسيني وبغيره من الزعماء الفلسطينيين لإجراء مفاوضات)).

- **الاجتماع السابع:**

تم الاجتماع في باريس بتاريخ 1937/6/10 ، بين (إحسان الجابري وجميل مردم) وبين الياهو إيلات، قال مردم: ((إن تقسيم فلسطين ليس حلاً، وأنه يعرف من مصادر موثوقة أن الجزء العربي من فلسطين سيضم إلى شرق الأردن)).

- **اتصالات الياهو ساسون**: يتحدث ساسون في كتابه ((الاتصالات العربية الصهيونية ..))عن المقابلات التي أجراها بمفرده:

أ - مع نصوح بابيل صاحب جريدة الأيام، جرت المقابلة في مكتبه بدمشق في 1937/1/2 حيث قال بابيل: ((إن الاتفاق بين الصهيونية والعرب هو لمصلحة الطرفين، كما اشتكى لأن اليهود لم يحاولوا الحصول على اتفاق مع العرب.. بل حصروا جهودهم بالغرب فقط، وهو يعتقد أن سورية هي المؤهلة للقيام بخطوة

أولى نحو الاتفاق بين العرب واليهود، ولكنها يجب أن تكون حذرة حتى لا تعطي العراق حجة لمهاجمتها والتشهير بها وكأنها باعت عرب فلسطين)).

ب - مع فخري البارودي : جرى الاجتماع بتاريخ 1937/6/3 في مكتب فخري البارودي بدمشق مع ساسون ومرافقه (دافيد لوزيه)، جرى الحديث حول مسألة (الاتفاقية اليهودية العربية). وقال دافيد لوزيه: ((إن إعطاء امتياز النفط في سورية لشركة يهودية يمكن أن يدعم جهود الطرفين)).

وقال البارودي: ((إن عملاً اقتصادياً مشتركاً سوف يكون لصالح العلاقات السياسية، ولكن لا يمكن للسوريين أن يفعلوا شيئاً أو يعطوا أي امتياز طالما أن اليهود لم ينجحوا في التوصل إلى أي اتفاق مع عرب فلسطين)).

جـ - نسيب البكري وجميل مردم:

بتاريخ 1938/4/23 أجرى ساسون لقاءً طويلاً مع نسيب البكري، دون أن يذكر ماهية المحادثات.

وبتاريخ 1938/5/25 أجرى ساسون لقاءاً مع جميل مردم رئيس الحكومة السورية في بيته بدمشق، حيث احتج ساسون على نشاط بعض رجالات سورية لصالح عرب فلسطين. واحتج على الدعاية المعادية لليهود في المساجد والمدارس.

ولكن جميل مردم قال أن ((الوكالة اليهودية تستقي معلوماتها من مصادر غير موثوقة، وأنه ما يزال - أي مردم - يؤمن بالمنفعة التي ستعود على الطرفين نتيجة الاتفاق العربي الصهيوني)).

ثم قال مردم: ((أنه رفض بشدة عقد المؤتمر البرلماني لأجل فلسطين في سورية، ورفض طلب المفتي الحضور إلى سورية.. وأن دمشق لا تقوم بتسليح الفدائيين .. وأن دمشق لا تبعث بالفدائيين إلى فلسطين.. وأنه أعطى الأوامر المشددة للمدارس والمساجد ودور السينما بعدم القيام بأي دعاية حول الأوضاع في فلسطين)).

وفي نهاية الاجتماع قال مردم: ((أنه سيسافر إلى باريس قريباً، وأنه يرغب كثيراً بالاجتماع بالدكتور حاييم وايزمان)).

د- يقول الأستاذ أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول صـ 691 أن الياهو ساسون ذكر في مذكراته التي كتبها على ظهر الباخرة أثناء سفره إلى مصر ما يلي: ((أنه حاول منع لبنان من الاشتراك في المؤتمر البرلماني العربي الذي دعا إليه (علوبة باشا) رئيس وزراء مصر من أجل فلسطين)) أثناء مقابلته مع الرئيس اللبناني بشارة الخوري). ثم اتصاله مع نسيب البكري الذي كان مسافراً على الباخرة ذاتها إلى مصر. وقد وعده البكري أن يثير في المؤتمر كافة الأمور التي تهم اليهود وهي: الوضع في سورية - ضرورة وقف الاضطرابات في فلسطين

- البدء بمفاوضات طاولة مستديرة بين العرب واليهود - وأن نسيب البكري سيبقى على اتصال مع ساسون طيلة انعقاد المؤتمر - وترتيب لقاءات بين ساسون وأعضاء الحكومة المصرية بما فيهم علوبة باشا.

ومن الغريب حقاً أن الأمور التي تهم عرب فلسطين، كالهجرة اليهودية وأعمال الإرهاب التي تقوم بها العصابات اليهودية المسلحة، لم تخطر على بال أحد من المسؤولين العرب.

- وفي 1938/11/3 يقول ساسون أنه اجتمع مع لطفي الحفّار الذي سأل عن إمكانية وقف الهجرة خمس سنوات. ولكن ساسون أجاب بالنفي. وقد اقترح الحفار: ((أن يزور وفد من الوكالة اليهودية دمشق وبغداد وجدة وصنعاء والقاهرة وأنقرة وكابول وطهران لتبديد المخاوف لدى العرب والمسلمين. وأشار الحفّار إلى أن فارس الخوري رئيس مجلس النواب السوري سيسافر إلى لندن لحضور المؤترم البرلماني مع أعضاء الوفود العربية.

وأبلغ ساسون أن التعليمات المعطاة لفارس الخوري هي أن يحاول مع رفاقه أعضاء الوفد للموافقة على اللقاء مع رؤساء الوكالة اليهودية، حول إيجاد حلّ جدي للمسألة الفلسطينية، وإمكان ضم فلسطين إلى سورية.

- في 1939/6/20 قابل ساسون الشاعر (محمد سليمان الأحمد) بدوي الجبل في اللاذقية حيث سلمه الشاعر الوثيقة المعروفة التي تحتج على معاهدة 1936 وتشير إلى رغبة العلويين بالانفصال عن سورية.

- وبتاريخ 1939/6/30 قابل ساسون فوزي البكري، ثم جرى حديث بين ساسون وبين الأمير (مجحم الشعلان) الموفد من قبل قريبه مثقال الفايز، وذلك لعرض أراضي الحولة والبطيحة ليشتريها اليهود وكان ذلك بتاريخ 1941/9/4.

ويذكر الأستاذ أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول صـ 691 ما نصه: ((ويلاحظ أن اتصالات ساسون مع معظم رجال الكتلة الوطنية، قد انقطعت بعد عام 1938 عندما يئسوا من تصديق معاهدة 1936، بينما بقيت الاتصالات مستمرة حتى عام 1944 بين لطفي الحفار وساسون حيث تقابلا في القدس وقال الحفّار في هذه المقابلة أن الحكومة السورية منعت صحيفتي الكفاح وفتى العرب من الصدور لنشرها مقالات معادية للصهيونية.

لم تقتصر اتصالات ساسون على سورية، وإنما كان مسؤولاً عن الاتصالات العربية بصورة عامة:

- **اتصالات ساسون في لبنان:** كان اتصاله مع (خير الدين الأحدب) وغيره من الشخصيات اللبنانية. (سياسية - دينية - طائفية - حكومية .. إلخ).

يقول ساسون عن مقابلته مع خير الدين الأحدب:

((طلب الأحدب ترتيب لقاء مع حاييم وايزمان أثناء زيارة وايزمان لباريس وأنه يُثبت للفرنسيين وجوب إبعاد المفتي الحاج أمين الحسيني إلى أحدى المستعمرات الفرنسية وإبعاد رجاله إلى سورية ومصر وأن يركز وايزمان جهوده لإبعاد المندوب السامي ((الكونت دومارتيل)) عن سورية ولبنان، والعمل إلى إعادة الأحدب إلى الحكم في لبنان)).

ويقول ساسون: ((تم في شهر حزيران من عام 1938 تشكيل وفد ماروني برئاسة (جورج مشحور أحد زعماء الموارنة، من أجل تدعيم وتوثيق العلاقات بين المسيحيين في لبنان واليهود في فلسطين. والعمل على إقامة ((وطن قومي مسيحي)). ثم يقول ساسون أن مشحور تقدم بخطة مفصلة للوصول إلى هذا الهدف، إلى الوكالة اليهودية وفي الخطة يبين مشحور حاجة يهود فلسطين إلى دعم المسيحيين لتنفيذ أهدافهم)).

إتصالات ساسون في العراق: كان أول إتصال لساسون في العراق بتاريخ 1937/2/3 مع حسين جميل مدير دائرة الاعلام في حكومة (بكر صدقي) الذي هاجم الحكومة السابقة التي كانت تراقب تحركات اليهود.

كذلك قابل يوم 1937/2/7، صادق كمّونه (سكرتير حزب الإصلاح الاجتماعي) الذي كان يرى أنه لا يجب التضحية بقضايا الشرق العربي لأجل حفنة من العرب الفلسطينيين. وهاجم السوريين الذين قبلوا بقيام وطن مسيحي في

لبنان ولم يقبلوا بوجود وطن يهودي في فلسطين. ((ليسمع من كان له أذن، وليرى من كان له عين)).

- أما **اتصال الحركة الصهيونية بنوري السعيد والوصي عبد الإله** فكان على أثر قيام ثورة (رشيد عالي الكيلاني) عام 1941، فكان من نتائجها هروب الشخصيات الرئيسية العراقية إلى فلسطين. فقد طلب عبد الإله من ساسون أن يرتب لقاء لداوود الحيدري مع رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية (موسى شرتوك) وقد تمت المقابلة في بيت شرتوك يوم 1941/4/21 بحضور ساسون حيث قال الحيدري: ((إن ما حدث في العراق ليس أمراً داخلياً وإنما هو بين الإنكليز والألمان، وأن المفتي هو المحرض بواسطة علاقاته مع الألمان ونفوذه لدى قيادة الجيش، ولدى عدد من الزعماء العراقيين. وإذا نجحت بريطانيا بالقضاء على حركة الكيلاني فإنه يكون بالإمكان إبعاد المفتي عن العراق، وإصلاح السياسة المعادية للصهيونية التي اتبعها العراق في السنوات الأخيرة)).

ثم اجتمع ساسون مع نوري السعيد بتاريخ 1944/7/3 وتناول الحديث القضية الفلسطينية وأشار نوري السعيد إلى أنَّ الحل ما يزال بعيداً لأنَّ الانكليز والأميركان لم يتوصلوا بعد إلى اتفاق بشأن الحل، حسب رأي نوري السعيد.

الإتصالات مع شرق الأردن:

ذكر ساسون في كتابه، أنه أجرى اجتماعات متعددة مع محمد الأنسي من شرق الأردن، وكان الحديث في هذه الاجتماعات يدور حول تقسيم فلسطين وضم القسم العربي إلى شرق الأردن واستمرت الاتصالات ما بين عامي 1939 - 1945.

أما الإتصالات الرئيسية التي أجراها زعماء الصهيونية مع الأمير عبد الله أمير شرق الأردن فقد ذكر تفاصيلها المقدم عبد الله التل في مذكراته بعنوان (نكبة فلسطين).

إتصالات ساسون مع المصريين:

جرت تلك الإتصالات خلال عامي 1945 و1946، حيث اتصل ساسون خلال هذه الفترة مع: (رئيس الوزراء إسماعيل صدقي باشا - وعزام باشا الأمين العام للجامعة العربية، ومحمد علوبة باشا،وعلي ماهر رئيس الوزراء السابق، وحسن رفقي باشا نائب وزير الداخلية، الذي قال عنه ساسون ((أنه مجند تماماً لمساعدتنا، حيث يقوم بتنظيم عقد المحادثات مع المسؤولين المصريين)).

ويقول ساسون إن محادثاته في مصر دارت حول المشكلة الفلسطينية على أساس التقسيم وأنه وجد الاستعداد الكامل لذلك.

فعبد الرحمن عزام مثلاً قال: ((ليس هنالك حل سوى التقسيم، وهوكأمين للجامعة لا يستطيع المبادرة في ذلك. وهو مستعد تأييد التقسيم بشرطين:

الأول: إذا قامت إحدى الدول العربية بأخذ المبادرة ووجدت الجرأة في تقديم الاقتراح للجامعة العربية.

الثاني: إذا طلبت منه بريطانيا العمل بهذا الاتجاه)).

وكأن أمين الجامعة العربية موظف بريطاني، يتلقى المعلومات من الحكومة البريطانية؟!..

بعد استعراض الاتصالات اليهودية العربية في فترة الثلاثينات والأربعينات، نجد أن الحركة الصهيونية كانت تبذل كل ما تستطيع بذله على جميع المستويات، للوصول إلى أهدافها في إقامة الوطن اليهودي في فلسطين، دون أن تتراجع عن مواقفها ودون أن تساوم أو أن تقبل المساومة فيما يخص هدفها الأساسي.

وفي الوقت ذاته نجد أن الحكام والسياسيين والزعماء العرب، ممن كان بيدهم القرار، قد قابلوا تلك الاتصالات بالقبول والتهاون والضعف بحيث أعطوا للحركة الصهيونية فرصة لتحقيق النجاح في معركة عام 1948.

أفلا يحق للمواطن العربي أن يسأل؛ هل أولئك الحكام والقادة ينتمون إلى الأمة العربية؟! أم ينتمون إلى الحركة الصهيونية؟! .. بل يحق للأمة العربية أن تدرك أن الحركة الصهيونية لم تكن مقتصرة على أوروبا وأميركا، بل كانت الحركة الصهيونية العربية، تساهم أيضاً في إقامة الوطن اليهودي في فلسطين.

ومن هنا لم يعد من مبرر للسؤال: كيف ضاعت فلسطين؟! ولماذا خسر العرب الحرب عام 1948؟!.

لقد أصبح واضحاً الآن أن الحكام والقادة العرب كانوا شركاء في خيانة القضية العربية وتسليم فلسطين لليهود.

ولو اقتصرت المعونة العربية للشعب الفلسطيني على تسليحه وتجهيزه وتدريبه على القتال وإعداده للمعركة، للعب الشعب الفلسطيني الدور الحاسم عند دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، ولما أمكن للحكام العرب أن ينفذوا تآمرهم على فلسطين.

ومن المؤسف له أن الحكومات العربية كانت خاضعة للنفوذ البريطاني ومن بعده النفوذ الأمريكي ويذكر الأستاذ أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول الصفحة 757 نقلاً عن مذكرات خالد العظم ما يلي: ((تسلط النفوذ البريطاني على الملوك والرؤساء بدون استثناء، وقد تبلور ذلك في التريث بالهجوم على فلسطين قبل انسحاب الجيوش البريطانية منها، فأُضيعت بذلك فرصة احتلال الأجزاء من فلسطين التي تسلمتها القوى اليهودية وتمركزت فيها في هذه الفترة. أما في سورية فالكولونيل (كورنوالس) البريطاني كان حلقة الاتصال بين وزارة الخارجية البريطانية والسيدين شكري القوتلي وجميل مردم، اللذين كانا يتبلغان عن طريقه تعليمات (وزارة الخارجية) البريطانية أما ملوك العراق والأردن

والسعودية ورئيس لبنان، فكان أمرهم معروفاً ومشهوراً أكثر من أمر فاروق والقوتلي. فقد اكتفوا باحتلال جيوشهم للأراضي المخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم وامتنعوا عن دخول غيرها)).

مع نشوب الحرب العالمية الثانية 1939 تبدأ مرحلة جديدة في تطور المشروع الصهيوني اليهودي وغير اليهودي...

الفصل الثاني عشر

نشاط الحركة الصهيونية اليهودية وغير اليهودية:

خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945)وحتى قيام دولة اسرائيل (1948):

حتى الحرب العالمية الثانية، كان مركز نشاط المنظمة الصهيونية اليهودية في مدينة لندن، بالنظر إلى مركز بريطانيا العظمى كدولة استعمارية كبرى، وتسيطر على قسم هام من المنطقة العربية بما في ذلك فلسطين، ومن ناحية ثانية كانت بريطانيا تعتبر المشروع الصهيوني من اختصاصها وحدها، وأن تنفيذ هذا المشروع يجب أن يتم وفق المصلحة البريطانية، وتحت حمايتها، للمحافظة على مصالحها في المنطقة العربية، وحماية طريق مواصلاتها عبر قناة السويس.

وما أن بدأت الحرب (1939) حتى توقفت الهجرة اليهودية إلى فلسطين نسبياً بسبب صعوبة السفر وظروف الحرب . كما أن بريطانيا كانت قد أصدرت (الكتاب الأبيض) لتحديد الهجرة في محاولة لإيقاف ثورة عام 1936 كما مرَّ معنا. لذلك وجدت المنظمة الصهيونية اليهودية، أن الاعتماد على بريطانيا وحدها، لم يعد وافياً بأهداف المنظمة في تنفيذ المشروع. كما أن مركز بريطانيا أخذ يهتز ويُنذر بالأفول بسبب ظروف الحرب من جهة، ولأن الولايات المتحدة بدأت تلعب دوراً مهماً في دعم المشروع الصهيوني من جهة ثانية.

لذلك قررت المنظمة الصهيونية اليهودية، نقل مركزها من لندن إلى مدينة نيويورك في الولايات المتحدة، على أثر تطور الأحداث خلال سنوات الحرب. ولكن ذلك لا يعني أن المنظمة قد تخلت عن الدعم البريطاني لها، بل بقيت هذه مركزاً هاماً للنشاط اليهودي في بريطانيا وأوروبا. أيضاً لأن قرار المنظمة بالاعتماد على تأييد الولايات المتحدة بعد سنوات الحرب كان نتيجة لإدراك اليهود بأن الولايات المتحدة أخذت في انتزاع دور القيادة من الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا) فيما يتعلق بالنظام العالمي.

في عام 1941 والحرب العالمية الثانية على أشدها، اتخذت المنظمة الصهيونية اليهودية من مدينة (نيويورك) مركزاً جديداً لنشاطها في الولايات

المتحدة. ولأن يهود هذه المدينة لهم أهمية كبرى في المجالات الاقتصادية، والمالية التي تمكنهم من السيطرة على أسواق المال في أميركا.

ثم عقدت المنظمة اليهودية أول مؤتمر لها في الولايات المتحدة في شهر أيار من عام 1942 في فندق (بالتيمور) في مدينة نيويورك، بتأييد من حكومة الولايات المتحدة، التي وجدت الفرصة المناسبة لتعلن عن تأييدها للمشروع اليهودي. وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات هي:

1- مطالبة الحلفاء بالعمل على تسهيل هجرة اليهود من أوروبا إلى فلسطين.

2- على أن يكون هدف الحلفاء بعد انتهاء الحرب، العمل على إقامة (الوطن القومي اليهودي) في فلسطين.

3- مطالبة الحلفاء بدعم الفرقة اليهودية العسكرية التي شكلتها بريطانيا لتحارب إلى جانب الحلفاء في الحرب، على أن يكون لهذه الفرقة علمها الخاص.

4 - تشكيل صندوق الجباية اليهودي لتأمين الأموال اللازمة لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، واتخذت الدعاية لجمع التبرعات لصالح اليهود في أميركا، شعاراً ((ادفع دولاراً تقتل عربياً)).

استغلت المنظمة الصهيونية دعم الحكومة الأميركية، والرئيس روزفلت الذي كان من أكبر الدعاة للمشروع الصهيوني، وقد ساعدها في دعايتها، جهل

الرأي العام الأميركي للقضية الفلسطينية. ويعبّر عن هذا الجهل قول أحد المهاجرين من أميركا إلى فلسطين: ((كنت قبل أن أصل إلى إسرائيل، أعتقد أن اليهود يكوّنون شعباً واحداً لكن هذا الاعتقاد تبخر من ذهني بعد وصولي إليها، حيث وجدت فيها خليطاً عجيباً من أمم عدة تنتسب إلى أجناس مختلفة)).

((إن العالم بصورة عامة، والعرب بصورة خاصة، كان يجهل ما دار في المؤتمر الذي عقده مجلس الطوارئ التابع للمنظمة الصهيونية في فندق بالتيمور بنيويورك شهر أيار 1942 والذي ظهر بعد سنين أن الصهيونيين قرروا فيه نقل مركز نشاطهم وقيادتهم من لندن إلى نيويورك، ليحققوا على يد الأمريكيين من أهدافهم ما لم يتمكنوا من تحقيقه على يد بريطانيا التي أصبحت بعد الحرب من الدرجة الرابعة. كان مجهولاً لدى العرب النتائج التي ستترتب على مقرراته كما كان مجهولاً لديهم الصورة المرعبة للنفوذ الصهيوني على الإدارة الأمريكية بجميع أجهزتها ونفوذها على المؤسسات الأمريكية وتحكمها فيها جميعاً وتسخيرها لتحقيق أغراضها التوسعية العدوانية في البلاد العربية)). ذلك النفوذ الذي ما زال حتى يومنا هذا (2006) وما احتلال الجيش الأمريكي للعراق إلا صورة صادقة لتحكم النفوذ الصهيوني بالسياسة الأمريكية العدوانية.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 سمحت الإدارة البريطانية بتدفق هجرة اليهود على مقياس كبير،وسمحت أيضاً بدخول الفرقة العسكرية

اليهودية إلى فلسطين، تلك الفرقة التي شكلها الحلفاء لتقاتل القوات الألمانية إلى جانب الحلفاء.

وتحت حماية الجيش البريطاني ومشاركة الفرقة العسكرية اليهودية المسلحة، بدأت المنظمات اليهودية الإرهابية مثل ((هاجانا وشتيرن)) نشاطها ضد عرب فلسطين وأخذ الوضع ينذر بقيام حرب تشمل المنطقة العربية كلها بالإضافة إلى فلسطين كانت بريطانيا تخشى امتداد حركة المقاومة إلى (مصر وسورية والعراق) مما يهدد مصالحها الاستعمارية في المنطقة. وبعد أن أدركت أن موقف حكومة الولايات المتحدة يزداد حماساً في تبني المشروع الصهيوني. لذا قررت بريطانيا التخلي عن انتدابها على فلسطين عام 1947 وإحالة الأمر إلى منظمة الأمم المتحدة لإيجاد حل لقضية فلسطين.

دور منظمة الأمم المتحدة في معالجة قضية فلسطين:

تأسست منظمة الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، واتخذت مقراً لها في (مدينة نيويورك) بالولايات المتحدة الأميركية. وباعتبار أن الولايات المتحدة، أصبحت تمارس دوراً قيادياً في العالم كمسؤولة عن النظام العالمي. لذلك مارست ضغوطاً قوية على الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، فيما يتعلق بقضية فلسطين، لصالح المشروع اليهودي في فلسطين.

وعندما أعلنت بريطانيا عن تخلّيها عن الانتداب في فلسطين، وأحالت القضية على هيئة الأمم المتحدة، لذا عقدت المنظمة في 28 نيسان 1947 اجتماعاً لإيجاد حلٍّ لقضية فلسطين، وللاطلاع على مجريات الأحداث، قررت المنظمة إرسال (لجنة دولية) للتحقيق برئاسة السويدي ((الكونت برنادوت)).

بعد أن قامت هذه اللجنة بزيارة فلسطين، قدمت تقريراً إلى منظمة الأمم المتحدة تقترح فيه كحل للقضية، تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق:

1- دولة عربية، على أن تضم منطقة النقب.

2- دولة يهودية.

3- القدس والأماكن المقدسة فيها توضع تحت إدارة دولية.

أُحيل الاقتراح على الجمعية العامة للأمم المتحدة، في شهر تشرين الأول عام 1947. وفي الاجتماع أعلن وفد الولايات المتحدة في هيئة الأمم تأييد حكومته الرسمي لمشروع التقسيم. وقد تمّ ذلك بأمر مباشر من الرئيس (ترومان)، الذي طلب من وزير خارجيته ممارسة ضغوط قوية على عدد كبير من ممثلي الحكومات الأعضاء لإجبارهم على التصويت إلى جانب مشروع التقسيم.

وفي التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني من عام 1947، أصدرت الجمعية العامة قرار التقسيم بالموافقة. بدفع من الولايات المتحدة. وهذا يعني أن تأييد المشروع الصهيوني لم يعتمد بعد الآن على بريطانيا وفرنسا والدول

الأوروبية، بل على الولايات المتحدة التي ستلعب الآن الدور الأول في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

إن موقف الولايات المتحدة من تأييد قرار التقسيم، يعطينا فكرة واضحة عن قدرة الحكومة الأميركية في استغلال المنظمة الدولية، وجعلها غطاءً شرعياً لأبشع جرائمها لتحقيق مصالحها الاستعمارية.

فمن المؤسف له حقاً أن بعض الأوساط العربية المتنفذة، لا تريد أن ترى (صهيونية الولايات المتحدة) الملازمة عضوياً لنظامها الاستعماري العالمي! وكيف يمكن تجاهل دور الحكومة الأميركية ورئيسها (هاري ترومان) من إقامة الكيان الصهيوني، في قلب الوطن العربي؟!.

في هذا كتب محرر في صحيفة ((الواشنطن بوست)) يقول: ((قليلون هم الذين أدركوا حقيقة ما حدث، فالرئيس ترومان أمر وزارة الخارجية أن تعمل على ضمان التصويت في الأمم المتحدة إلى جانب التقسيم، فاستدعى وزير الخارجية بالوكالة إلى البيت الأبيض.. ونبهه إلى أنه سوف يطلب توضيحاً إذا لم تصوت الدول إلى جانب الولايات المتحدة)).

وفي إعلان لوزير الدفاع الأميركي (جيمس فورستال) قال: ((إن الوسائل التي استُخدِمت لإكراه الدول الأخرى في الجمعية العامة كادت أن تكون فضيحة)).

رفض العرب قرار التقسيم ورفضه اليهود أيضاً، وبدأت العمليات الحربية بين العرب الفلسطينيين وبين اليهود تزداد عنفاً. ووجدت بريطانيا أنها غير قادرة على السيطرة على الوضع في فلسطين، فأعلنت عن قرارها بالانسحاب من فلسطين تاركة الأمر للأمم المتحدة لحل الأزمة.

وقبل أن تنسحب القوات البريطانيةمن فلسطين في شهر أيار 1948، تركت جميع معسكرات الجيش ومستودعاته من الأسلحة والمعدات بيد الفرقة العسكرية اليهودية وبيد المنظمات اليهودية الإرهابية. التي بدأت تنفذ مذابح جماعية ضد السكان العرب في مدن مثل (حيفا - يافا - طبريا وغيرها) تنفيذاً لرغبة المنظمة الصهيونية في استلام فلسطين من الإنكليز، خالية من السكان، حسب تصريح (حاييم وايزمان) رئيس المنظمة الصهيونية؟!.

- وما أن تمّ انسحاب القوات البريطانية، حتى أسرع اليهود إلى إعلان قيام (دولة إسرائيل) في الرابع عشر من أيار 1948. وأسرع الرئيس الأميركي (هاري ترومان) بإعلان حكومته بالاعتراف بدولة إسرائيل، بعد إحدى عشرة دقيقة من قيامها. وذلك لأن رغبة الولايات المتحدة بإعلانها الفوري بهذا الاعتراف، التأكيد على أنها أصبحت هي المسؤول الأول عن حماية هذه القاعدة ودعمها لتصبح القوة الفعّالة في حماية المصالح الأميركية. وباعتبار أن الولايات المتحدة أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية هي المحرك الأساسي للنظام العالمي الجديد. والذي يعني

انتهاء عهود الاحتلال العسكري كأداة للاستعمار المباشر، والدخول في مرحلة جديدة تعتمد على القواعد العسكرية الموزعة في مناطق متعددة من العالم، وعلى أجهزة المخابرات **C.I.A** وعلى دولة إسرائيل كقاعدة متقدمة، والشركات البترولية والاحتكارية، والخبراء بمختلف أنواعهم. يضاف إلى ذلك دعم الأوساط الاجتماعية والحاكمة والتابعة لنفوذها والقوات المسلحة الناشئة في مناطق النفوذ، والتي ستلعب دوراً كبيراً في تدمير أوطانها عن طريق الانقالابات العسكرية، خدمةً لمصلحة الاحتكارات الاستعمارية.

وبعد اعتراف الولايات المتحدة بدولة إسرائيل الفوري، توالت اعترافات الدول الأخرى (بريطانيا - فرنسا - إيطاليا، وحتى الاتحاد السوفييتي).

بعد أن تمّ تنفيذ المؤامرة الصهيونية على فلسطين بدعم من حكومات الدول الاستعمارية، واستناداً إلى قرارات هيئة الأمم المتحدة، التي كانت وما زالت حتى الآن تنفذ إرادة الولايات المتحدة الأميركية. وإذا كان الأمر كذلك فَما هو ردّ الفعل العربي على المؤامرة؟!.

أولاً: موقف الشعب العربي الفلسطيني:

رأينا فيما سبق، أن الشعب العربي الفلسطيني لم يقف مكتوف الأيدي أمام الاحتلال البريطاني لبلاده بعد الحرب العالمية الأولى، وأمام تدفق هجرة اليهود من أوروبة وغيرها إلى فلسطين، مؤيدة ومدعومة من الدول الاستعمارية (بريطانيا

وفرنسا والولايات المتحدة). بل بادر إلى المقاومة بإمكاناته المحدودة في

عدةانتفاضات أهمها

الثورة الفلسطينية الكبرى 1936.

وقبل أن تبلغ القوة الكافية لتحقيق هدف التحرر ودحر المخطط الصهيوني. سارع الملوك والأمراء العرب، إلى مطالبة الثوار بإلقاء السلاح، والركون إلى مساعدة بريطانيا التي أصدرت الكتاب الأبيض خداعاً منها لإيقاف الثورة.

ومما يؤسف له أنه كان بين أولئك الملوك والأمراء من ينتظر حصته في عملية التقسيم التي قررتها هيئة الأمم المتحدة. ألم يدرك أولئك الطامعون بأن هذا يعني الاعتراف ضمنياً بحصة اليهود من تقسيم فلسطين، إن لم يكن كل فلسطين؟!.

ورأينا أن تدفق هجرة اليهود قد ازداد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ولما أصدرت الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة قرار التقسيم، ازدادت تعديات العصابات اليهودية الإرهابية على المدن والقرى العربية. كان لا بد للعرب الفلسطينيين من مواجهة العدوان بالقوة المسلحة، حيث كانت (الهيئة العربية العليا) برئاسة (الحاج محمد أمين الحسيني) ، تقود المقاومة العربية للشعب الفلسطيني، متمثلة بمجموعة (الجهاد المقدس التي يقودها المجاهد عبد القادر الحسيني).

وبعد جلاء القوات البريطانية، ودخول الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين في 15 أيار 1948. كانت الهيئة العربية العليا قد أُخرجت من المعركة بسبب قرار القيادة التابعة لجامعة الدول العربية. وبسبب تصرف النظام الأردني الخاضع للنفوذ البريطاني.

كانت الهيئة العربية العليا تمثل ثورة الشعب العربي الفلسطيني، والجهاد لتحرير أرض فلسطين، بينما كان النظام الأردني يمثل تمكين اليهود من اغتصاب أرض فلسطين، لتكون حصة النظام الأردني الجزء المقرر للعرب بموجب قرار التقسيم.

فالهيئة العربية العليا، مع الأسف، وقعت ضحية لتفريط جامعة الدول العربية والأنظمة العربية، فمارست التحرير مقيدة اليدين.

وفي ذلك يقول المجاهد فوزي القاوقجي في مذكراته ما يلي: ((في الثاني من شهر شباط 1948، وصل إلى دمشق سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني لأمور تتعلق بما كان يجري في فلسطين.. كان المفتي قد تعهد للجامعة العربية، بأنه لن يتدخل في أمور القيادة والحركات العسكرية مطلقاً. ومع ذلك كان أول شيء طلبه في الاجتماع الذي عُقد في القصر الجمهوري بدمشق، تعيين ممثلين له في قيادة فلسطين العامة وفي قيادة جيش الإنقاذ وفي كل قطاع من قطاعات الجيش.

ردّ المجتمعون هذا الطلب،لأنهم وجدوا فيه فرضاً صارخاً لهيمنة الهيئة العربية العليا)).

ويرى بعض القادة المخلصين للقضية العربية، أن المفتي كان متساهلاً جداً وما كان له أن يقبل بضغط الجامعة العربية ليوقع ذلك التعهّد بعدم التدخل في أمور الدفاع عن بلده، بل كان عليه أن يقود كفاح شعب فلسطين ضد العدوان الصهيوني ومن يقف خلفه، حتى التحرير والنصر.

كانت قوات الجهاد المقدس بقيادة المجاهد عبد القادر الحسيني، والتابعة للهيئة العربية العليا، تقوم بالقتال والعمليات العسكرية ضد القوات اليهودية في منطقة القدس. وقد استطاعت هذه المجموعة بالتعاون مع قوة من جيش الإنقاذ التغلّب على القوات اليهودية ومنعها من احتلال مدينة القدس.استشهد المجاهد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل في الوقت الذي كانت فيه قوة من المقاتلين الفلسطينيين تدعمها قوة من جيش الإنقاذ، تقاتل لمنع سقوط مدينة القدس بأيدي اليهود.

إن الشعب العربي الفلسطيني الذي ثبت أمام الاحتلال البريطاني، وأمام الحركة الصهيونية المؤيدة من قوى الاستعمار العالمي. هذا الشعب ثبت بوحدة صفه ووحدة نضاله في كل أرجاء فلسطين بقيادة ((الهيئة العربية العليا))، كان قادراً على الوقوف في وجه اليهود عام 1948، فيما لو أتاحت له الأنظمة العربية،

الاستمرار في وحدته ووحدة قيادته. وفيما لو أمدته جامعة الدول العربية بالسلاح اللازم لاستمرار المواجهة مع العدو المدعوم بقوى الاستعمار في العالم.

بدأت الكارثة بتدخل جامعة الدول العربية التي أعلنت ((أن فلسطين عربية وهي جزء من الوطن العربي الكبير، وأن الجامعة ترى من واجبها الدفاع عن عروبة فلسطين، وأنها ستقف في وجه المخطط الصهيوني الاستعماري بالقوة)).

هذا القرار دفع الجامعة العربية إلى عزل الهيئة العربية العليا عن قيادة العمليات، وألغى بذلك دور الشعب الفلسطيني في المعركة للدفاع عن وطنه.

ولم يكن موقف الجامعة العربية بمعزل عن موقف الأنظمة العربية التي تخاذلت في خوض معركة تحرير فلسطين، مما أدى إلى الفشل الذريع وضياع فلسطين وسيأتي الكلام عن ذلك فيما بعد.

فلو أن الجامعة العربية، ومعها حكومات الدول العربية، حينذاك قد اهتدوا إلى التدبير السليم بوضع كل ما كان لديهم من إمكانيات عسكرية ومالية تحت تصرف الهيئة العربية العليا، لكان الفلسطينيون قد حافظوا على وحدة كفاحهم ولتمكنوا من بناء مقاومة متماسكة تمكنهم من مواجهة العدو الصهيوني والقضاء عليه. ولكن، مع الأسف، سار الأمر وفق مخطط الدول الاستعمارية، الهادف إلى انتصار اليهود بالحرب. فلجأ المتآمرون على قضية

فلسطين، من المسؤولين العرب إلى اتهام عرب فلسطين بالتقصير بحق وطنهم وأنهم قصّروا بالدفاع عن بلادهم.

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ (حبيب جاماتي) في مقال نشرته مجلة المصور المصرية عام 1961، ما يلي: ((من المؤلم حقاً أن يقال في المجالس الخاصة، أو ما يُكتب في الصحف من وقت لآخر، أن عرب فلسطين قد قصّروا تجاه أنفسهم وفي حق بلادهم. ففرطوا بأرضهم وباعوها لليهود ولم يدافعوا كما يجب عن وطنهم ولم يضحوا في سبيله، إلى غير ذلك من تُهمٍ باطلة، حرام أن يُلصق بهؤلاء الأخوان الذين نُكبوا في أشخاصهم وعائلاتهم وبلادهم وكل ما هو عزيز عليهم، هذا الافتراء الذي لا يخدم سوى العدو، الذي سرق جزءاً من الوطن العربي ويتربص بالعرب ليسرق أجزاء أخرى من وطنهم. لقد ثار العرب الفلسطينيون، مرة بعد مرة، تظاهروا، وأضربوا عن العمل، حملوا السلاح، قاتلوا في المدن وفي القرى وفي الجبال شهداؤهم يعدون بالآلاف، تضحياتهم الضخمة لا تتناسب مع عددهم ومساحة بلادهم. حرام أن يظلمهم المفترون، وعارٌ أن يكون المفترون من العرب أنفسهم)).

ثانياً: الدور الذي لعبه جيش الإنقاذ في المعركة:

كانت جامعة الدول العربية توالي الاجتماعات والمؤتمرات منذ عام 1946، لدراسة ما ينبغي عمله في قضية فلسطين. وفي السادس من شهر تشرين الأول من

عام 1947، عقد مجلس الجامعة اجتماعاً على مستوى رؤساء حكومات الدول الأعضاء لدراسة الظروف ا لمناسبة لاتخاذ موقف جدي وسريع لنجدة عرب فلسطين الذين كانوا يواجهون القوات البريطانية، والمنظمات اليهودية الإرهابية، بإمكاناتهم المحدودة.

اتخذ المجتمعون قراراً، بعد عدة مداولات، يقضي بتشكيل قوة من المتطوعين العرب ومن البلاد الإسلامية باسم ((جيش الإنقاذ)) لمواجهة اعتداءات اليهود والقوات البريطانية على عرب فلسطين، بعد أن تعالت صرخات الاستغاثة طلباً للإسراع في إرسال النجدات.

وبعد أن قامت اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، ومقرها في دمشق والقاهرة، بإعداد ما يلزم للإسراع في إدخال (جيش الإنقاذ) إلى فلسطين. وقد أُسندت قيادة هذا الجيش إلى المجاهد الكبير ((فوزي القاوقجي)) والذي اشترك في عمليات ثورة عام 1936.

يقول القائد فوزي القاوقجي في مذكراته صـ 334 ما نصه: ((تسلمت قيادة جيش الإنقاذ رسمياً في (7كانون الأول 1947)، بعد أن كنت مارستها برهة بصورة غير رسمية، وبدأتُ بتشكيل هيئة القيادة والمقر، بعد أن تقدمتُ إلى المفتش العام لجيش الإنقاذ (العميد طه الهاشمي)، باحتياجات هذا الجيش من سلاح وعتاد وغير ذلك، وكانت المفتشية هي المسؤولة عن مثل هذا رسمياً. وكان

المفتش العام موضع ثقة مطلقة من فخامة الرئيس القوتلي ومن أمين الجامعة، حتى جعلا منه، كما اتضح فيما بعد، المراقب الأول على حركاتي لما كان دخل في رأسيهما من أوهام بأنني وبعض الضباط سنكون عوناً للملك عبد الله في تحقيق مشروع سوريا الكبرى)).

إن دلَّ ذلك على شيء إنما يدل على الشكوك والأوهام التي كانت تسيطر على تصرفات الرؤساء العرب، فقد صرفهم ذلك عن التخطيط السليم لإنقاذ فلسطين عام 1948، مما أدى إلى فشل الحرب وبالتالي ضياع فلسطين.

بدأت طلائع جيش الإنقاذ تتحرك للدخول إلى فلسطين في الثامن من كانون الأول 1947. فكان لدخولها أثر كبير في ارتفاع معنويات العرب. وكان الوضع يومئذٍ يتطلب الإسراع بإرسال أكبر قوة ممكنة إلى فلسطين، للتمهيد لدخول بقية القوات، ولكن عدة مشاكل كانت تواجه دخول قوات جيش الإنقاذ إلى فلسطين، منها موقف حكومة شرقي الأردن غير المطمئن، وموقف القوات البريطانية، ومسألة عبور نهر الأردن، وموقف المسؤولين في دمشق حول طريقة دخول قوات الإنقاذ إلى فلسطين.

وبعد عدة اتصالات ومحاورات تمكنت بعض القوات من الدخول إلى فلسطين وباشرت عملياتها الحربية وحققت انتصارات كبيرة في عدد من المعارك ضد المستعمرات اليهودية، فكانت **أول معركة** وقعت في (جدّين) بالقرب من ترشيحا

في المنطقة الشمالية. ويقول القائد فوزي القاوقجي عن المعركة في مذكراته صـ343 ما يلي: ((في ليلة 21 - 22 كانون الثاني 1948 وقعت **معركة جدّين** وكان من نتائجها الطيبة:

1- أنها سترت عبور فوج المقدم صفا إلى فلسطين وشغلت عنه اليهود والبريطانيين.

2- أنها وضعت بين أيدينا المعلومات الثابتة عن قوة المستعمرات اليهودية وأساليب الدفاع عنها.

3- أنها رفعت معنويات الفلسطينيين إلى أقصى حد.

4- أنها جعلت البريطانيين يترددون في الاشتباك بقواتنا)).

ثانياً: معركة الزرّاعة: وقعت هذه المعركة في ليلة 16 - 17شباط 1948، حققت هذه المعركة نتائج جيدة، حيث أوقع فيها المقاتلون خسائر كبيرة بالأرواح في صفوف اليهود.

ثالثاً: معركة مشمار هاايمك (معناها حارس المرج):

وهي أكبر المستعمرات اليهودية في مرج ابن عامر الذي كان يغص بالمستعمرات، وقعت المعركة ليلة 3- 4 نيسان 1948 انتصرت فيها قوات المقاتلين العرب وأجبروا اليهود على الاستسلام.

رابعاً: معركة القسطل في منطقة القدس:

كان اليهود يضاعفون هجماتهم للسيطرة على القسطل التي تعتبرنقطة هامة، لتأمين المواصلات بين تل أبيب والقدس، في محاولة منهم لتأمين الاتصال مع اليهود في مدينة القدس وتأمين إمدادهم بالتموين وإنقاذهم إذا لزم الأمر.

كان المجاهد عبد القادر الحسيني يقود مقاومة القوات المحلية عن منطقة القدس. فحشدت القيادة اليهودية قوات كبيرة جداً، مما دعا إلى إرسال نجدات من قوات الإنقاذ، وقبل وصول النجدات بقليل، سقط البطل عبد القادر شهيداً، واستولى اليهود على قرية القسطل.

ولكن بعد وصول قوات الإنقاذ استمرت المعركة حتى تم استعادة القسطل وهرب اليهود منها وتابعت قوات الإنقاذ القصف المدفعي لمواقع اليهود في القدس وتمّ تدمير عددٍ من المباني والمراكز والمستودعات اليهودية. وكان من نتائج الانتصار في معركة مشمار ومعركة القسطل أن بدأت هجرة يهودية من المستعمرات المجاورة تحمل معها الذعر والخوف إلى حيث يستقرون.

خامساً: معركة باب الواد (القدس):

قام اليهود ليل 9 - 10 أيار 1948 بهجوم قوي على باب الواد وتمكنوا من الوصول إلى مدخل باب الواد من الغرب ومن الشرق. ولكن قيادة قوات الإنقاذ قد أسرعت إلى حشد ما لديها من قوات في المنطقة،وبينها مدفعية الميدان بقيادة

الملازم (عفيف البزري)، وقوة المصفحات ويقودها الملازم (فايز حديفة) وتم ترتيب الهجوم المعاكس على القوات اليهودية في الساعة الثالثة من صباح 11 أيار. ولم تستطع القوات اليهودية الصمود أمام تصميم القوات العربية، حيث تصدع الخط اليهودي كله وتخلت تلك القوات عن مراكزها وأخذت تفرّ من المعركة بصورة جماعية. وكان من نتائج هذه المعركة:

1- كسبت قوات الإنقاذ كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة وتجهيزات لم تكن موجودة من قبل مع اليهود.

2- القضاء على آمال اليهود في الاستيلاء على القدس نهائياً قبل دخول الجيوش العربية النظامية الحرب.

3- حطّمت غرور القيادة اليهودية التي كانت قد حشدت قوات كبيرة، ولكنها خسرت المعركة وفشلت في احتلال القدس.

وقبل دخول الجيوش النظامية إلى فلسطين، قامت قوات جيش الإنقاذ بهجوم قوي صباح 15 أيار، على مستعمرتي (نيفي يعقوب) و(قلندية) واستولت عليهما لتأمين الطريق بين القدس ورام الله، وانتهت المعركة بهزيمة القوات اليهودية بعد أن تكبدت عدداً كبيراً من القتلى.

وعلى الرغم من دخول الجيوش العربية النظامية المعركة اعتباراً من 15 أيار 1948، فلم تتوقف عمليات جيش الإنقاذ بل استمرت عملياته الناجحة على جميع الجبهات.

كانت الخطة العسكرية الصحيحة تقضي، أن تبقى قوات جيش الإنقاذ في مراكزها، وإمدادها بالسلاح والعتاد، لتكون ستاراً لتقدم الجيوش العربية النظامية. ولكن القيادة العامة للجيوش العربية كانت قد قررت سحب قوات الإنقاذ إلى عمان ودمشق.

ويقول القائد فوزي القاوقجي في مذكراته صـ 403 ما يلي: ((طلبتُ مواجهة اللواء نور الدين محمود القائد العام. لأستعلم منه عن مهمتي بعد 15 أيار، فأجابني أنه ليس عنده أي شيء يتعلق بجيش الإنقاذ، وأن هذا الجيش مرتبط بالجامعة العربية، فيحسن بي أن أسأل أمين الجامعة. فاندهشتُ وقلتُ له: أنت القائد العام وأنت الذي يعيّن لكل جيش من هذه الجيوش العربية الواجب الذي يقوم به. قال: إذا كنت تريد البقاء بجيش الإنقاذ حيث هو لا بأس، لكن مهمتكم تنتهي بعد دخول الجيوش النظامية)).

كيف يمكن لأية قيادة عسكرية، مهما كان جهلها بإدارة المعركة، أن تأمر بانسحاب قوات مقاتلة من قلب المعركة، وإخلاء المواقع الهامة التي كانت بيدها وتتركها هدفاً سهلاً لاحتلالها من قبل قوات العدو؟!.

الجواب على ذلك نجده في مذكرات فوزي القاوقجي صـ 406 حيث يقول:

((وردت إليَّ برقيات من دمشق وعمان، من دمشق إلحاح في سرعة الانسحاب، ومن عمان بأننا مرتبطون بقيادة الجيش الأردني، بينما كانت تصريحات الملك عبد الله تنبئ بحل جيش الإنقاذ... كان إلحاح دمشق، من رئيس الجمهورية إلى القيادة العامة يتتابع بضرورة الإسراع في الانسحاب. وقد تبيّن فيما بعد أن هذا الإلحاح كان الباعث عليه تخوّف رئيس الجمهورية من استيلاء الملك عبد الله على جيش الإنقاذ، وتوجيهه حسب رغباته التي تتمثل في نظر الرئيس تحقيق، مشروع سورية الكبرى. فكان انسحابنا هذا خطأً عسكرياً لم يكن بالإمكان تداركه)).

إذن لم تكن معركة إنقاذ فلسطين هي التي كان الملوك والرؤساء العرب يهتمون بها، بل كان اهتمامهم يدور حول تنفيذ رغبات شخصية مبنية على الأوهام إن لم نقل أنها تنفيذاً لمخطط الدول الاستعمارية في تسليم فلسطين لليهود.أخذت قوات جيش الإنقاذ تنسحب وفقاً للخطة المقررة خلال 16 و17 و18 أيار وأصبحت المناطق التالية (القدس ، باب الواد ، اللد والرملة ومنطقة المثلث) في عُهدة الجيش الأردني.

ويروي القائد القاوقجي في مذكراته ما يلي: ((يظهر أن اليهود رأوا في انسحاب جيش الإنقاذ فرصة لتحقيق رغباتهم في بعض المناطق، كانوا قد فشلوا

في تحقيقها وهي في عُهدتنا. وبينما كانت قواتنا تتجاوز في انسحابها (نابلس) إلى الشرق وردت عليّ البرقية التالية:))

((1948/5/18 الساعة 3.15 مستعجل للغاية.

من عبد القادر الجندي إلى فوزي:

((القدس في ضيق شديد، على وشك الانهيار، هل باستطاعتكم نجدتها بأقرب وقت وبأقرب طريق)) الإمضاء عبد القادر.

ألا يدعو طلب النجدة للغرابة، يطلبون انسحاب جيش الإنقاذمن مواقعه بسرعة ثم يعودون إلى الاستنجاد به لإنقاذ القدس؟!.

لم يطل تردد فوزي في اتخاذ القرار، بعد أن وردته برقية ثانية من الرئيس (فاضل) آمر حامية القدس. وقد أبت عليه كرامة الجندي العربي، والقائد الحكيم الذي لم يستسلم أمام الصعوبات فأسرع في إعداد خطة الهجوم المعاكس وأنقذ القدس من السقوط بيد اليهود.

ويذكر فوزي في مذكراته (أن الأمير نايف واللواء صدقي الجندي قائد القوات الأردنية، كانا في المدينة، ولم يتحرك اللواء صدقي لإنقاذ القدس.

وفي ذلك يروي فوزي في مذكراته صـ 410 ما يلي: ((ثبت لنا أن القوات اليهودية انسحبت من المدينة، فتهلل وجه الأميرنايف و وجه اللواء صدقي، فقال له

الأمير(لقد أنقذها جيش الإنقاذ مرة أخرى، وأنقذ معها كرامتنا، فلماذا لا تعمل أنت هكذا؟ أجاب آمر اللواء صدقي، ليس لديّ أوامر، فقال الأمير: مسكين، ترى ماذا سيحلّ بك بعد انسحاب هؤلاء))؟.

ولم يقتصر الأمر على إنقاذ القدس من السقوط بيد اليهود، بل طلب اللواء نور الدين محمود القائد العام للجيوش العربية النظامية من القائد فوزي أن يسرع إلى إرسال نجدات إلى القوات العراقية، عند جسر المجامع على نهر الأردن، حيث تواجه القوات العراقية صعوبة أمام مستعمرة (غيشر) أي الجسر.

كذلك طلبت القيادة العامة إلى فوزي إرسال نجدات لمساعدة الجيش السوري في سمخ فكان جواب فوزي على ذلك: ((إذا كنتم جادين فعلاً أعطوني ما أقاتل به)).

يا للغرابة، ماذا ستقول الأجيال العربية عن هذا التخاذل ؟! ...

وماذا سيكتب التاريخ عن الأخطاء التي لا تُغفر، حينما تأمر القيادة بانسحاب قوات المقاتلين من مواقعها؟! وبعد هذا كيف نستغرب هزيمة الجيوش العربية وضياع فلسطين؟!...

أليس ما يجري الآن على الساحة العربية من سكوت الحكومات العربية عن مقابلة الغطرسة اليهودية وهي تتفرّد بعرب فلسطين، إلا استمراراً لمرحلة الذل وقبول الهزيمة منذ عام 1948 وحتى الآن ؟! ..

انتهى الأمر بالنسبة لجيش الإنقاذ ، أن أمرت القيادة العامة بانسحابه إلى عمان ومن ثم إلى دمشق حيث أُفسح له مكان في معسكرات قطنا ، في الوقت الذي كانت فيه الجيوش النظامية تعاني من الهجمات اليهودية على مواقعها وتُلحق بها خسائر في الأرواح والمعدات.

وعلى الرغم من انسحاب جيش الإنقاذ ، تنفيذاً لأوامر القيادة العامة ، لكن دور جيش الإنقاذ لم ينتهِ ، بل سرعان ما وجدت القيادة ضرورة الاستعانة بقوات جيش الإنقاذ للتغلب على الصعوبات التي واجهت الجيوش العربية في المعركة. فأُعيد توزيع أفواج منه في منطقة الجليل.

وسنجد عند الكلام عن دور الجيوش العربية في المعركة ، أنها كانت تستنجد بجيش الإنقاذ كلما وقعت تحت ضغط القوات اليهودية ، التي أخذت هجماتها تزداد عنفاً بعد انتهاء الهدنة الأولى في العاشر من تموز 1948 ، ووصول نجدات كبيرة لليهود بالإضافة إلى الأسلحة والمعدات الثقيلة وحتى الطائرات مما عدّل كفة الميزان لصالحهم.

بالإضافة إلى قوات جيش الإنقاذ ودورها في معركة تحرير فلسطين ، وقد تقدم الكلام عنها ، تمّ تعبئة عددٍ من المجاهدين الذين تطوعوا للدفاع عن فلسطين وشعبها. كان الفوج الأول من المجاهدين قد توجه إلى فلسطين في مطلع شهر كانون الثاني 1948. وكان عليه التعاون مع أديب الشيشكلي الضابط في

الجيش السوري. دخلت قوات المجاهدين عن طريق راشيا فمرجعيون ثم الى بنت جبيل ثم توجهوا إلى قرية (فسوطه) أول قرية فلسطينية موالية لحدود لبنان.

كانت خطة المجاهدين عدم البدء بعمليات عسكرية قبل التعرف على أرض الجليل وطبيعتها، ومن ثم الاتصال مع الأهالي في المنطقة لجمع المعلومات عن العدو أولاً وإيجاد فرصة لإقناع السكان العرب على التعاون مع المجاهدين ثانياً ..وهذا كان يتطلب القيام بحملة توعية للسكان.

وبعد التعرف على المنطقة وزيارة بعض القرى في الجليل، كانت أول عملية عسكرية يقوم بها فوج المجاهدين هي:

- **الهجوم على قلعة جدين:**

تقع قلعة جدّين بالقرب من قرية طرشيحة، وهي قلعة بناها أحمد باشا الجزار والي عكا، وقد حولها اليهود إلى مستعمرة حصينة وسموها ((يحيام)). تم وضع خطة مدروسة لمهاجمة القلعة، ولكن عملية الهجوم على القلعة لم تنجح، لعدم وجود أسلحة ثقيلة مع المجاهدين، ثم فشل أحد الفصائل بقيادة الملازم عمر صفر في الوصول إلى أبواب القلعة عندما خرج المقاتلون اليهود صباحا إلى العمل.. ومن ثم وصول نجدات من الجيش البريطاني لنجدة سكان القلعة.

لم يحقق المجاهدون هدفهم في احتلال القلعة ولكنها كانت ذات فائدة بالنسبة للمجاهدين حيث تمكن أحد الفصائل من حرق مصفحتين لليهود وقتل

جميع من فيهما ، ثم أسقطوا طائرة يهودية كانت تلقي على المجاهدين القنابل. فأسقطوها بنار بنادقهم. بالإضافة إلى أن خسائر اليهود بالأفراد كانت أكثر من خسائر المجاهدين. كذلك كانت أول تجربة لهم في مهاجمة التحصينات اليهودية فاكتسبوا منها خبرة عملية مفيدة.

- في كفر سميع وكسرى:

بعد معركة جدين أخذت فصائل المجاهدين تتمركز في بعض القرى العربية في المنطقة، (كفر سميع وكسرى وطرشيحا) . وقد قام الفصيل المتمركز في طرشيحا بقيادة الأستاذ خليل كلاس بنشاط في منطقة عكا. كما قام الآخرون بالاتصال بالأهالي في عملية توعية فجعل المواطنين يقبلون بالانضمام إلى المجاهدين والتعاون معهم.

كان نشاط المجاهدين يتعاظم كلما التحقت بهم دفعة جديدة من المقاتلين. وقد انضم إليهم فوج من المجاهدين بقيادة الضابط محمد صفا، الذي دخل إلى فلسطين في منطقة لواء الناصرة.

- معارك مستعمرة عين زيتيم:

توزعت فصائل المجاهدين في منطقة الرأس الأحمر وطيطبة ثم توجهت سرية منهم للاقتراب من بحيرة طبريا شرقاً. فكانت تماس قوات المجاهدين مع اليهود في قرية طيطبة حيث تقع في مواجهتها مستعمرة (عين زيتيم) ذات الأهمية

الإستراتيجية لأن موقعها يتحكم ويسيطر على مواصلات صفد ومداخلها من الغرب والشمال والشرق. استمرت المناوشات مع يهود هذه المستعمرة وقتاً طويلاً، وكثيراً ما كان الجيش البريطاني يتدخل لنجدة سكان المستعمرة.

كان هدف المقاتلين العرب تشديد الحصارعلى هذه المستعمرة واحتلالها، لأن ذلك يحقق لهم نصراً عسكرياً كبيراً لأنه يحرر صفد ويجعل الدفاع عنها قوياً لا يمكن لليهود اقتحامها.

حاول المجاهدون اقتحام المستعمرة تساندهم قوات من سكان القرى العربية المجاورة، ولما شعر اليهود بقوة الهجوم على المستعمرة طلبوا النجدة من الجيش البريطاني الذي أرسل قوات مصفحة تدعمها مدفعية الميدان أجبرت المجاهدين على الارتداد عن المستعمرة.

غير أن اليهود قاموا بنسف قرية (سعسع) رداً على عمليات المجاهدين في معارك جدين والمعارك المستمرة حول (عين زيتيم). كما كان هجومهم الانتقامي يهدف إلى إرهاب السكان الذين بدأوا يشاركون في المعارك مع المجاهدين.

- التحق بالمجاهدين حسني الرفاعي من ضباط الدرك المتقاعدين على رأس قوات (خالد بن الوليد)، كان تمركزهم في قرية قدس على خط مواصلات المجاهدين مع لبنان.

قام فصيل خالد بن الوليد بنصب كمين لليهود على الطريق الذي يموّن به اليهود مستعمرة (الهراوي). فأوقع قافلة يهودية كبرى قتل من أفرادها 12 يهودياً وأحرقت سيارتان تحملان عشرة أطنان من التموين.

- فصائل المجاهدين من جبل العرب:

في الأسبوع الأول من شهر نيسان 1948، قدمت سرايا من جبل العرب بقيادة شكيب وهاب، وقد توجهت إلى منطقة (شفا عمرو) في الجليل الجنوبي. قامت هذه القوات بمهاجمة مستعمرة (كفر مزاريب) ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها. ولذلك طلبوا نجدتهم بمدافع الهاون غير أن قائد فرقة المجاهدين (أديب الشيشكلي) رفض تلبية الطلب. ويقول الأستاذ أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول صفحة 729 ما يلي: ((قلت لأديب، يجب علينا ألا نكتفي بمدهم بمدافع الهاون فقط بل يجب علينا أن نمدهم بالمقاتلين.. فواجبنا أن نساعدهم، بأكثر مما يطلبون، ولكن الشيشكلي لم يعمل بنصيحتي وبعد أن فشل شكيب وهاب في هجماته الأولى، لم أعد أسمع بأي نشاط له، ولا أعلم إذا كان قد بقي في الجليل أم أنه عاد الى سورية)).

غادرت قوات المجاهدين منطقة (الرأس الأحمر) وتوجهت إلى مشارف الجليل المطلة على سهل الحولة مباشرة، فأقاموا في قريتي (ماروس) و(القباعة) الواقعتين

على السفح المتصل بسهل الحولة. أما سرية محمد جديد بقيت في قرية طيطبا ودلاّته.

وأصبحت قوات المجاهدين موزعة بين الرأس الأحمر وطيطبا وماروس والقباعة. كان فصيل ماروس وفصيل القباعة بقيادة الضابط فتحي الأتاسي، الذي وجه جهوده لقطع الطريق العام الذي يصل ما بين مستعمرات الحولة ابتداء من (المطلّة) على حدود لبنان إلى جنوب طبريا، وقد كان طريقاً عسكرياً هاماً بالنسبة للمستعمرات والمزارع اليهودية المنتشرة في الجليل وسهل الحولة وطبريا ومتصلاً عن طريق (الجاعونه) بمدينة صفد.

كان الضابط فتحي الأتاسي يعد خطة لنصب كمين حدد مكانه على هضبة مطلة على الطريق المذكور، شرقي قرية ديشون. تقدم المجاهدون ليلاً إلى الهضبة انتظاراً لمرور القافلة اليهودية في الصباح. وكان أحد المجاهدين (الحاج عبد الله) قد زرع الطريق بلغم. وعند مرور القافلة لم ينفجر اللغم فأخذ المجاهدون يطلقون عليها نيران بنادقهم ورشاشاتهم بغزارة وبالقنابل اليدوية، ولكن القافلة استطاعت أن تفلت وتتابع سيرها حتى دخلت نجمة الصبح.

تبقى مستعمرة عين زيتيم مستعصية على المجاهدين بسبب قوة تحصيناتها وعدم توفر الأسلحة الثقيلة لدى المجاهدين واللازمة لتحطيم تحصينات المستعمرة. فكان لا بد من قطع طريق تموين المستعمرة وإمدادها من مستعمرة جبل (بيرة)

اليهودية. تم تكليف الملازم محمد جديد بهذه المهمة وحاول هذا قطع الطريق بين بيرة وعين زيتيم. ولكن اليهود أرسلوا ليلاً قوة كبيرة من رجال الكومندوس المدربين على القتال الليلي، فأخذوا قوة المجاهدين على حين غرة وأوقعوا فيها عدد من الجرحى والقتلى وقد استشهد في هذه المعركة الملازم محمد جديد.

معركة كمب النبي يوشع:

هذا الكمب عبارة عن مخفر لحراسة الطرق التي تخترق سهل الحولة بناه الإنكليز من الإسمنت المسلح على طراز القلاع القديمة. قام المجاهدون بالاستيلاء عليه فور جلاء الإنكليز عنه منعاً لليهود من الاستيلاء على هذا الموقع الحصين والاستراتيجي.

ولكن اليهود قاموا بهجوم كبير على الكمب الذي كان يتولى حراسته الملازم شفيق العبيسي. ولكن المجاهدين المتمركزين في قرية قدس أرسلوا نجدة لرفاقهم في الكمب. فأجبروا اليهود على التراجع والانسحاب إلى مستعمرة الهراوي بعد أن تركوا في أرض المعركة مصفحة سليمة وعدداً من القتلى بلغ عددهم أكثر من عشرين قتيلاً. كانت هذه المعركة انتصاراً رائعاً لم يكلف المجاهدين أية خسارة. وقبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في 15أيار 1948، كان اليهود قد تمكنوا من احتلال كمب النبي يوشع والمالكية، وصفد، ثم عكا وبذلك سيطر اليهود على الجليل بكامله. لأن اليهود كانوا

يعتبرون، أن منطقة الجليل وصحراء النقب يشكلان معاً العمود الفقري في بناء دولة إسرائيل.

وقد تمكن اليهود من السيطرة على الجليل بعد تبديل خطة دخول الجيش السوري إلى فلسطين، إذ كان من المقرر دخوله عن طريق لبنان. وإذا به يؤمر بالدخول من منطقة طبريا.

ويذكر أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول صفحة 770 نص البرقية التي أرسلها العقيد محمد صفا إلى الرئيس القوتلي جاء فيها: ((الموقف متأزم وأنتم منصرفون إلى ترفيع عريف، معترضون على حقنا في مكافأة متطوع أو تسمية رقيب. إنا نستنكر هذه الطريقة في القيادة، هذه العرقلة لتصرفاتنا وهذه المساومة على أرواحنا وأنتم وراء مكاتبكم قابعون. إنا ندعوكم إلى معالجة الموقف بسرعة وواقعية، أو تفضلوا وانزلوا إلى الميدان قادة بأنفسكم لنرى عبقريتكم ونتعلم منكم. إن لم تؤخذ برقيتي هذه بعين الاعتبار فسأنشرها على صفحات الجرائد)).

ثم يقول صفا: ((كانت النتيجة أن نُقلت من قيادة لواء اليرموك الأول متهماً بسوء الأدب وبنقص التربية المسلكية وكان أن طار الجليل كله بعد ذلك)).

كان المواطن العربي لا يعلم ما تدبره الدول الاستعمارية وبخاصة الولايات المتحدة لإنجاح قرار التقسيم. ولم تكن وسائل الإعلام قادرة على فضح تلك

المؤامرة. بتاريخ 7أيار 1948 أي قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بأسبوع، نشرت مجلة ((**World Report**)) الأمريكية شبه الرسمية والمعروفة بعلاقتها الوثيقة مع المخابرات المركزية (**C.I.A**) تقريراً هذه خلاصته:

((إن الحرب ستؤدي إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وأن القنابل ستعجل في إنجاز هذا التقسيم حيث فشلت الدبلوماسية. هناك خطة يجري تنفيذها تحت ستار الحرب في فلسطين. وقد تنقضي عدة أشهر في مفاوضات سرية قبل أن يتهيأ العرب واليهود بقبولها. والخطوة الأولى من هذه الخطة هي إثارة الحرب بين العرب واليهود، ومن ثم إعلان هدنة بينهم.. أما العصابات الموالية للمفتي، والمتطرفون، فإنهم يودون خرق الهدنة ولكن الحرب لا تلبث أن تنتهي عندما يتفق رؤساء الدول العربية وزعماء الحكومة اليهودية على إنهائها)).

لم يُترجم هذا التقرير إلى العربية ولم يُنشر إلا بعد إقرار الهدنة الثانية.

ثالثاً: دور الحكومات العربية ممثلة بالجامعة العربية:

تنفيذاً لقرار الجامعة العربية بدخول فلسطين لإنقاذها من الاغتصاب الصهيوني، دخلت جيوش الدول العربية النظامية في صباح الخامس عشر من أيار 1948، بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين.

وقد رافق دخول تلك الجيوش، ما كانت محطات الإذاعة في العواصم العربية، تذيعه من خطب رؤساء الدول والحكومات العربية على أبناء الأمة

العربية واعدة إياهم باقتراب ساعة تصفية الحساب مع اليهود مؤكدة النصر للعرب.

كان القائد الإسمي للجيوش العربية (الملك عبد اللّه)، يصرّ على احتلال (تل أبيب) بناء على آراء الجنرال (كلوب)، الذي عمل على تبديل الخطة المرسومة قبل تنفيذها، ولذلك تمّ سحب الجيش السوري من جنوب لبنان إلى منطقة سمخ وراح الجيش العراقي يتحشد أمام جسر المجامع. ولعل ذلك يعني بداية المؤامرة التي ينفذها (كلوب) بالتعاون مع الملك عبد اللّه.

ويروي فوزي القاوقجي في مذكراته صـ 402 ما يلي: ((وكان أمام الخط الذي تجمعت فيه الجيوش العراقية والسورية، مستعمرات يهودية أُنشئت في منطقة التحصينات التي كان الجيش البريطاني قد أقامها خلال الحرب العالمية الثانية، لصد زحف الجيوش الألمانية فيما إذا تمكنت من اختراق تركيا وانحدرت إلى الجنوب، وهي تحصينات عُرفت باسم خط (إيدن)، وكان تبديل الخطة بهذا الشكل، كأنما كان يرمي إلى تحطيم الجيشين السوري والعراقي والمعركة لم تبدأ بعد)).

وتصديقاً لما أورده فوزي القاوقجي حول المؤامرة التي حاكها كلوب والملك عبد اللّه ما أورده المقدم عبد اللّه التل في كتابه ((كارثة فلسطين)) : ((إن الجيش العربي الأردني كان فرقة بريطانية تعسكر في قلب العالم العربي ..

وكانت وحداته ترابط في المناطق العربية المخصصة للعرب في قرار التقسيم، مما يوضح لنا خيوط المؤامرة التي حاكها الإنكليز بقبول التقسيم وضم الأقسام العربية في فلسطين إلى شرقي الأردن)).

تلك هي القيادة التي تولت إدارة المعركة لإنقاذ فلسطين، فإذا بها تنفذ مؤامرة الدول الاستعمارية ضد العرب. وتجدر الإشارة هنا إلى جانب آخر من المؤامرة: ((إن وزير الدفاع السوري (أحمد الشراباتي) أصدر أمراً في السابع من أيار 1948، يقضي بتسريح عشرة بالمائة من الجيش السوري الذي كان يتأهب لدخول المعركة بعد أسبوع)).

ولما سئل الرئيس القوتلي عن الظروف التي أوصلت أحمد الشراباتي إلى تسلم وزارة الدفاع، قال الرئيس القوتلي ما يلي:

((إننا في الواقع، ما كنا نرى بشكل واضح الظروف المستجدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وقد بدا لنا في تلك الأيام أن من المفيد، لتحقيق جلاء الجيوش الأجنبية عن الوطن، تلبية مطالب الدول العظمى وخاصة منها أميركا وإنكلترا. وكان أن طلبت أميركا مني تعيين الشراباتي وزيراً للدفاع فاعترضت في البدء لأنه شاب غير مجرّب، وألحت أميركا في طلبها، فرأيتُ عدم إغضابها في تلك الظروف الحرجة التي كنا نمرُّ بها، ولبيتُ طلبها، ثم إنني عيّنتُ (فلاناً) للوزارة (الفلانية) إرضاء للإنكليز وفلاناً إرضاءً للفرنسيين)). في حديث للرئيس

القوتلي ردَّ به على سؤال صلاح الدين البزري (نقلاً عن كتاب مصيرنا هو مصير فلسطين) صـ 257 - تأليف نصر شمالي - .

وهكذا نرى أن الحكومات العربية التي كانت خاضعة لنفوذ الدول الاستعمارية مباشرة أو بصورة غير مباشرة، لم تكن مؤهلة للنهوض بالدور التاريخي، للوقوف في وجه المشروع الصهيوني الاستعماري، الذي كان يهدف إلى تحويل فلسطين إلى قاعدة صهيونية استعمارية لحراسة المنطقة العربية وخاصة بعد أن تمَّ اكتشاف البترول.

ويتضح ذلك في ضعف القيادة وسوء التخطيط في توجيه الجيوش العربية عسكرياً لخوض المعركة، بالاستفادة من تجارب جيش الإنقاذ الناجحة في إلحاق الهزائم باليهود.

ولما أخذت الجيوش العربية مراكزها، كانت تجهل كل الجهل حالة اليهود ومقدار قواتهم ومدى تسلحهم ومناعة تحصيناتهم ومقدار المساعدات التي يتلقونها من الدول الاستعمارية، الحريصة على انتصار اليهود في الحرب. وعلى العكس تماماً، كان اليهود يعرفون عن الجيوش العربية كل شيء تقريباً. ويعطينا الدليل على ذلك القائد فوزي القاوقجي في مذكراته صـ 385 حيث يروي تسرّب أسرار الجيوش العربية إلى اليهود فيقول: ((وقد تمكنت مفرزة من مفارزنا المعدة لمثل هذا الأمر، من الاستيلاء على مصفحتين بريطانيتين تحرسان سيارة للركاب في

إحدى الطرقات العامة، وكان ذلك قبل وصول المقدم (شوكت شقير) إلى الجبهة بقليل. فاذا بنا نجد في سيارة الركاب هذه أكداساً من الأوراق، بينها تقارير من الوكالة اليهودية إلى وزارة المستعمرات البريطانية، ومن قيادة (الهاغانا) إلى الوكالة اليهودية ومراسلات مختلفة... فسلّمت هذه الأوراق إلى المكتب السياسي لجيش الإنقاذ.. فإذا به يجد بين هذه الأوراق نسخة من تقرير مقدم من القائد العام اللواء (إسماعيل صفوة) إلى اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية، مكتوب باللغة الفرنسية ومُرسل من مصر إلى (بن غوريون) عن طريق القدس. ويتألف التقرير من أربع عشرة صفحة، فيها وصف شامل للحالة العسكرية في فلسطين، ولحالة الجيوش النظامية العربية من مختلف نواحيها. وبكلمة مختصرة يشتمل على كل عورات الدول العربية)).

ويتابع القائد فوزي قوله: ((وبعد مناقشة الموضوع مع المقدم شوكت شقير، الذي أكّد أن هذا التقرير مكتوب على نسختين فقط، الأولى مع القائد العام، والثانية معه أي مع المقدم (شوكت) يحتفظ بها كما أكّد أنه أُرسلت نسخة إلى الأمين العام للجامعة العربية)).

وقد علّق القائد فوزي على ذلك بقوله: ((وفي الحقيقة كانت فضيحة، ولكنها لم تكنْ الأولى ولا الأخيرة)).

يضاف إلى ذلك فقدان الثقة بين حكومات البلاد العربية، فكل حكومة عربية تخشى (شقيقتها) وتطمع بشقيقتها وتتآمر على شقيقتها، ((كان الملك عبد الله يخشى أن يتعاون السعوديون مع الحكومة السورية لاحتلال شرق الأردن فطلب من العراق إرسال قوات عراقية إلى شرق الأردن، وكانت مصر تميل إلى المعسكر (السوري/ السعودي) ولكن هذا المعسكر لا يثق بمصر)).

وفي التعليق على موضوع فقدان الثقة بين الحكومات العربية يروي القائد فوزي القاوقجي في مذكراته صـ 333 ما يلي: ((وفي أحد اجتماعات مجلس الجامعة العربية في شهر تشرين الأول 1947، أطلق رئيس الحكومة المصرية محمود فهمي النقراشي باشا تصريحاً جاء فيه: ان مصر تشترك في مظاهرة عسكرية مع الدول العربية من أجل فلسطين، ويجب أن تعلم هذه الدول مقدماً، أن الجيش المصري لن يشترك في القتال وذلك لأسباب مصرية داخلية بحته، فتعمل الجيوش العربية حسابها على هذا الأساس. هكذا كان موقف الدول العربية وهي تستعد لإنقاذ فلسطين....)).

ومما يؤسف له، بل من الغرابة بمكان، أن يسيطر على تفكير المسؤولين العرب، كحكومات وكجامعة عربية، اعتقاد مفاده ((أن بريطانيا وأميركا ستحولان حتماً دون وقوع حرب فلسطين، لأنهما حريصتان أن يسود الهدوء،ويكون الأمن مستتباً فيما يسمونه الشرق الأوسط)).

إذن لن تقع الحرب فما المانع أن يظهروا بطولاتهم بالكلام، وأن يطمروا رؤوسهم بالرمال.

ولكن الانكليز والأميركان لم يفعلوا شيئاً لمنع الحرب، بينما كان العرب مترددين في اتخاذ الموقف الحازم لمواجهة المؤامرة الصهيونية الاستعمارية، كان اليهود يستعدون ويتسلحون، فما أن أتم اليهود استعدادهم للحرب، حتى رأى العرب أنهم خُدعوا بعد فوات الأوان، راحوا يبذلون الجهود للحصول على السلاح، وبينما كان يقف بعض العرب في وجه العدو بشجاعة وحزم، وقف الآخرون موقف التردد والتآمر على قضية فلسطين.

كانت الحكومات العربية تبتاع السلاح من الخارج، ولكن هذا السلاح يبقى بدون جدوى وسرعان ما كان ينفذ، ما دام ليس لدى العرب مصانع تمد السلاح بالعتاد اللازم. يضاف إلى ذلك، كان لكل دولة عربية، سلاح يختلف عن سلاح الدولة الأخرى، ولكل جيش ثقافة وتقاليد عسكرية تختلف عن ثقافة وتقاليد الجيوش الأخرى، هذا عدا النزاع القائم بين كل دولة ودولة. وليس هناك دولة عربية واحدة تُعنى بمرافقها ومواردها، وتستثمرها بشكل منظم يساعدها على إعداد القوة اللازمة لتأمين الدفاع عن حدودها وحدود وأمن الوطن العربي بأكمله.

وعلى الرغم من الضعف الذي كانت الجيوش العربية تعاني منه: ((الحاجة إلى السلاح والعتاد، وتوفير التخطيط الصحيح الذي يكفل التعاون بين تلك الجيوش،وجدية القيادة العربية في توجيه كل الإمكانات لصالح المعركة بصدق)). كل ذلك والقوات العربية حتى الهدنة الأولى في 10 حزيران 1948، كانت ما تزال تخوض معارك ناجحة بالتعاون مع قوات جيش الإنقاذ، التي أعيد إشراكها في معركة شمالي فلسطين (منطقة الجليل) لدعم الجيشين السوري واللبناني.

في السادس من شهر حزيران 1948، قام جيش الإنقاذ بالهجوم على المالكية وتمَّ طرد اليهود منها بعد أن خسروا في المعركة أعداداً كثيرة من القتلى، وكميات كبيرة من السلاح والعتاد من بينها مدافع هاون من عيار (120مم) أضخم مدفع استخدمته القوات اليهودية وهو من صنع فرنسي.

ثم أُرسلت قوات من جيش الإنقاذ إلى (قدَس) وتقع شرقي المالكية حوالي كيلو مترين، احتلت القرية وفرضت سيطرتها على المنطقة، واليهود في حالة من القلق والخوف قلما صادفوا مثلها.

- الهجوم على الناصرة في 8 - 9 حزيران 1948:

بعد هزيمة في المالكية، ركنوا إلى الهدوء على هذه الجبهة ولكنهم أخذوا يكثّفون نشاطهم في منطقة (الناصرة)، رغبة منهم في احتلال أكثر ما يمكن

من قرى وأراضي عربية قبل الهدنة حيث سيتوقف القتال الساعة الثامنة من صباح العاشر من حزيران 1948.وعلى الرغم من كثافة القوات اليهودية التي كانت تهاجم الناصرة، وقوة دفاعاتها، ((تمكنت قوات جيش الإنقاذ من إلحاق الهزيمة بالقوات اليهودية والدخول إلى مدينة الناصرة، وكان ذلك في تمام الساعة الثامنة من صباح العاشر من حزيران ساعة تنفيذ الهدنة الأولى)).

ويروي القائد فوزي القاوقجي في مذكراته وصفاً مطولاً لمجريات المعركة التي انتهت بالتغلب على القوات اليهودية والدخول إلى مدينة الناصرة فيقول: ((ودخلت الناصرة ومعي وزير الدفاع اللبناني الأمير مجيد أرسلان، واستقبلنا الأهلون في دار البلدية مع قوات من الشرطة الفلسطينية، وخاطبني رئيس البلدية قائلاً: إننا منذ ليال عديدة والخوف يمنعنا من النوم ولو لم تدخلوا اليوم لكنا رحلنا عن المدينة)).

كان النصر الذي حققته قوات جيش الإنقاذ في معركتي (المالكية والناصرة) قد أعطى للعرب فرصة ممتازة وتفوقاً مهماً، يمكن أن يؤدي إلى نصر حاسم للعرب، إذا أقدمت القيادة العامة للقوات العربية على إمداد جيش الإنقاذ بالمقاتلين والعتاد اللازم، ومن ثم دفع الجيوش العربية إلى الاشتراك في المعركة بصدق.

وفي هذا الصدد يسجل القائد فوزي القاوقجي في مذكراته صـ 427 ما يلي:

((فقد كنا بهذا الوضع نستطيع بالاشتراك مع الجيش العراقي في احتلال (العفولة) فنكون أنـزلنا ضربة قاصمة بالعمود الفقري لإسرائيل، ونستطيع إذا تمّ إمدادنا بالسلاح والعتاد فقط ، أن نسترد (حيفا) وأن نحتل (نهاريا).

أوكنا نتصل بالجيش السوري وبالاشتراك معه يمكن أن نحتل (الحولة) بكاملها فإذا لم تفعل القيادة العربية شيئاً وتجاهلت، وتجاهل معها الساسة في سوريا ومصر والعراق والأردن، هذا الوضع، فإنهم ينـزلون بنا ضربة قاضية قد تؤدي بجيش الإنقاذ والجليل كله، ويكونون قد أهدوا بموقفهم هذا النصر الذي أصبح في يمين العرب، هدية إلى إسرائيل)).

دخول الجيوش العربية إلى فلسطين:

كان ذلك في منتصف ليلة 14- 15 أيار 1948 فماذا حدث في تلك الليلة؟!

1- في منتصف تلك الليلة غادر آخر مندوب سام بريطاني ميناء حيفا كإشعار رسمي بانتهاء عهد الانتداب، مع أن جلاء القوات البريطانية كان قد تم قبل ذلك.

2- أعلن راديو إسرائيل قيام (دولة إسرائيل) وتسمية (حاييم وايزمان) رئيساً للدولة (ودافيد بن غوريون) رئيساً للوزراء.

3- قررت الأمم المتحدة تعيين (الكونت فولك برنادوت) وهو سويدي وسيطاً دولياً بين العرب واليهود.

4- بعد دقائق قليلة أعلن الرئيس ترومان اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بدولة إسرائيل ثم تتالت اعترافات: الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا، واتحاد جنوب إفريقيا، ويوغوسلافيا، والمجر، ودول أخرى

5- في تلك الليلة عقدت في دمشق ثلاثة اجتماعات :

اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية - اجتماع لقادة الجيوش العربية

- ثم اجتماع للمجلس النيابي السوري .

الانتصارات الاولى للجيوش العربية:

تقدمت القوات العربية منتصرة على الرغم من المقاومة الشديدة التي لاقتها من اليهود، ولم تمضِ بضعة أيام حتى اجتاز **الجيش المصري** مسافات كبيرة في زحفه من الجنوب، فاحتل غزة ثم تقدم على محورين الأول؛ الطريق الساحلي متجهاً نحو تل أبيب حتى أصبح على بعد 18كم منها، والثاني سار شرقاً فاحتل بئر السبع ثم اتجه شمالاً نحو القدس فاحتل الخليل ووصل إلى بيت لحم حيث اتصل بالجيش الأردني في منطقة القدس، أما **الجيش الأردني**؛ دخل مدينة القدس وحقق استسلام اليهود فيها بعد معركة دامت أحد عشر يوماً، ثم حاصر القدس الجديدة، وتابع زحفه نحو يافا وخاض معارك بالتعاون مع جيش الإنقاذ في باب

الواد واللطرون واللد والرملة.ومنع اليهود من فتح الطريق إلى القدس لإنقاذ قواتهم المحاصرة.

- أما **الجيش العراقي**: فقد دخل فلسطين من الشرق، وأخذ يتقدم نحو البحر فبعد أن وصل نابلس وطولكرم تقدم واحتل المستعمرات القريبة من الساحل مثل كفاربونا وجوليم، ثم حاصر نتانيا ثم تقدم إلى مهاجمة (بتاح تكفا) التي تعد الخط الأمامي للدفاع عن تل أبيب. وعندما حاول اليهود مهاجمة القوات العراقية في جنين بقوات كبيرة، قابلهم الجيش العراقي بمعركة مظفرة، وأنزل بهم خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

- أما **الجيش اللبناني** : دخل الجيش اللبناني، بمؤازرة جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، بعد أن تقرر الاستعانة به لدعم الجيش اللبناني، إلى منطقة الجليل والتي كان اليهود قد سيطروا عليها قبل دخول الجيوش العربية حيث احتلوا (المالكية وكمب النبي يوشع وصفد وعكا).

تمكن الجيش اللبناني من احتلال المالكية والناقورة وبدأ يسيطر على مداخل الجليل الغربي.

أما **الجيش السوري**: كانت الخطة تقضي بدخول الجيش السوري فلسطين عن طريق لبنان إلى منطقة الجليل. فلو تمت هذه الخطة لتغير وجه المعركة ولاختلفت النتائج اختلافاً كبيراً. لأن جبال الجليل تسيطر على سهل الحولة شرقاً

وعلى الساحل الفلسطيني غرباً ، ومن الجليل يمكن للجيش السوري أن يفصل المستعمرات اليهودية في شمال فلسطين عن المستعمرات الواقعة في الجنوب.

ولكن القيادة العامة للجيوش العربية كانت بيد الأميرعبد الله، الذي كان يعتمد في القيادة على الضباط الإنكليز وعلى رأسهم (غلوب باشا). قامت هذه القيادة التي كانت تخطط لتدمير الجيش السوري، بتبديل الخطة بحيث تم سحب الجيش السوري من جنوب لبنان ليدخل إلى فلسطين من منطقة سمخ وطبريا وهناك اصطدم بخط إيدن.

ومع ذلك فقد احتل الجيش السوري سمخ ولحق باليهود إلى (دكانيا **A**) الواقعة في خط ايدن الحصين، فاستحال عليه التقدم وفي هذه المعركة خسر الجيش عدداً من ضباطه وجنوده وأدت هذه المعركة إلى سقوط سمخ بيد اليهود ثانية وانتهت المرحلة الأولى من حرب فلسطين والجيش السوري يعمل في منطقة سمخ، وهذا ما كان يرمي إليه الفريق غلوب باشا. ويقول الضابط الأردني عبد الله التل في مذكراته صفحة 190 ما نصه: ((إن من يطلع على الخطة المدبرة التي كانت مبيت ة للقضاء على الجيش السوري، فإنه لا بد أن ينحني إعجاباً ببطولة الضباط والجنود الأبرياء الذين ضحوا في سبيل فلسطين ومكنوا الجيش السوري من الخروج من الحرب بشرفه)).

والسؤال: هل كانت الحكومة السورية وقيادة الجيش على جهل بتلك الخطة، أم أنها كانت شريكة في المؤامرة التي قادها الأمير عبد الله والضباط الإنكليز؟!

كان من نتيجة هذه المعركة عزل الجيش السوري عن الاشتراك الفعلي في الحرب من جهة، وأُجبر الرئيس القوتلي على إقالة أحمد الشراباتي من وزارة الدفاع وعبد الله عطفة من رئاسة الأركان وتعيين جميل مردم رئيس الوزارة وزيراً للدفاع وحسني الزعيم رئيساً للأركان.

بعد تعيين حسني الزعيم رئيساً للأركان العامة، استدعى كل الضباط، وضباط الصف والجنود الذين سرحوا في عهد الشراباتي فزاد عدد عناصر الجيش إلى ضعف ما كان عليه. وبعد أن توقفت عمليات الجيش في منطقة طبريا أمام مستعمرة (دكانيا **A**). بدأ يتحرك من جديد فركز هجومه على مستعمرة (مشمار هايردن) حارسة الأردن، في منطقة الحولة، حيث خاض معركة مظفرة احتل فيها المستعمرة.

في تلك الفترة القصيرة فترة المعارك في فلسطين، اسبوعان أو ثلاثة أسابيع من الانتصارات العسكرية، فالنصر الحاسم بات قريباً، ونفوس المواطنين تتزايد ثقة بالأمل الكبير؛ القدس القديمة سقطت والقدس الجديدة محاصرة وسكانها على وشك الاستسلام، والقوات العراقية على بعد ثمانية كيلو مترات من تل أبيب

والقوات المصرية أصبحت على بعد ثمانية عشر كيلو متراً منها، وبدا وكأن الخرافة الصهيونية على وشك السقوط.

بهذه الروح الإيجابية المتفائلة كان المواطنون العرب يعيشون تلك الأيام القصيرة من الانتصارات. ولكن فجأة اشتعل الضوء الأحمر في وجه الجيوش العربية، وتوقفت الحرب.

ففي 29 أيار 1948، أي بعد أسبوعين فقط من بدء القتال، اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً ((بدعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة)) في فلسطين مدتها أربعة أسابيع وهدد بفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية على الجهات التي ترفض تنفيذ القرار خلال 48 ساعة.

أعلن اليهود قبول الهدنة فوراً، وبعد 48 ساعة أعلن العرب قبولهم بها.

- مؤامرة الهدنة الأولى:

كان إعلان الهدنة مفاجئاً للمواطنين جميعاً، ولم يتوقع أحد أن يوافق العرب على الهدنة، خصوصاً وأن الحكام العرب كانوا يعلنون عن عزمهم على متابعة القتال حتى النصر. ويذكر أكرم الحوراني في مذكراته الجزء الأول صفحة 780، تصريحاً للأمير عبد الله أعلنه في 29 أيار 1948 قال فيه: ((إن الهدنة التي طلبها مجلس الأمن لا تستند إلى قواعد الحق والعدل والإنصاف، وإن الشعوب العربية لا يمكن أن تقبل وقف القتال لأنه عمل غير مشرّف لها، وإن العزم

الصادق.. الذي سيقود حركتنا النبيلة إلى أسمى الأهداف والغايات، وإننا قد عقدنا العزم على أن نقود الحركة حتى نهايتها لنعيد الأمن والسلام إلى فلسطين ونحمي أبناءنا من عصابات الصهيونيين)).

لكن الحكام العرب أعلنوا عن قبولهم الهدنة اعتباراً من 11 حزيران 1948 على الرغم من معارضة العسكريين، وتحذيرات كثيرة صدرت من جهات مختلفة لعدم قبول الهدنة.

فماذا حدث على الساحة الفلسطينية، خلال أيام الهدنة بين 10 حزيران و 9 تموز 1948 منذ اليوم الأول للهدنة بدأت الصحف تنشر أنباء عن الأسلحة والمعدات التي كانت تصل يومياً إلى اليهود. ويذكر (إيغال ألون) في كتابه عن تكوين الجيش الإسرائيلي فيقول : ((قام الإسرائيليون باستغلال فترة وقف النار في تدعيم جوانب تنظيمهم العسكري إلى أقصى حد مستطاع، فأصبح الجيش البري من سبعة ألوية نظامية وثلاثة ألوية احتياط ولواءمدرع، وقد تحسن مستوى تجهيز الألوية بأسلحة فرنسية وتشيكوسلوفاكية، بينما مدفعية بشكل أفضل، وحصلت القوات الجوية على عدد من الطائرات.. التي تم شراؤها من أوروبا ،وكذلك على عدد من طائرات داكوتا لأغراض النقل والقصف، وحسّن الأسطول تجهيزه)).

يضاف إلى ذلك، تلقى اليهود أعداداً من المتطوعين والمقاتلين اليهود وكميات كبيرة من الأسلحة والمؤن والذخائر، وتمكن اليهود من القيام بتموين مستعمراتهم المعزولة، وإنشاء الطرق منها (طريق يافا - القدس الجديدة) لمد سكانها المحاصرين بالمؤن والسلاح. وبعد أن استلم اليهود ميناء حيفا من الإنكليز أصبح لهم منفذ على البحر يستقبلون منه الأسلحة والإمدادات.

أما على الجانب العربي كان الحكام العرب يتبادلون برقيات التهنئة على ما حققته جيوشهم من انتصارات. ويعقدون المؤتمرات الفارغة ويقيمون حفلات الاستقبال دون أن يبذلوا أقل جهد في إعادة تنظيم قواتهم وتزويدها بالسلاح والعتاد استعداداً لاستئناف القتال.

- هل كان بإمكان سورية منع العرب من قبول الهدنة؟

دخلت سورية الحرب عام 1948 وهي دولة مستقلة بخلاف الأقطار العربية الأخرى التي كانت ما تزال خاضعة للاحتلال الأجنبي كما في مصر والعراق والأردن. كما أن سورية تتمتع بظروف وشروط لم تتوفر لأي بلد عربي غير مستقل، وفي سورية شعب عربي واع اشترك مع أخوانه الفلسطينيين في كل معارك نضالهم منذ البداية. فهل يقبل بعد هذا عذر شكري القوتلي وجميل مردم بأنه ليس باستطاعتهم رفض الهدنة الأولى وإقناع الآخرين برفضها؟

هل بإمكان الحكام العرب الآخرين أن يقبلوا بالهدنة إذا رفضتها سورية؟ ما هو عذرهم أمام شعوبهم؟ أليس في الأقطار العربية الأخرى شعب وقيادات وطنية لا تسكت عن حكامها فيما لو رفضت سورية قرار الهدنة؟

أليس هناك أمل بمتابعة القتال بعد انتهاء الهدنة والتغلب على اليهود ولو استقدموا السلاح والمتطوعين؟

كانت الولايات المتحدة تهدف إلى إعطاء اليهود فرصة، لإعادة تنظيم قواتهم من جهة وتلقي مساعدات عسكرية كبيرة من جهة أخرى، تقلب ميزان القوى لصالح اليهود.أعلنت جهات عربية وطنية كثيرة معارضتها لقبول الهدنة [1]، وحذّرت الدول العربية والأمانة العامة لجامعة الدول العربية من المؤامرة، وكان على رأس هؤلاء المعارضين للهدنة القائد فوزي القاوقجي وقد سجل ذلك في مذكراته صـ 421 فيقول: ((وكانت كلمة الهدنة قد أخذت تتداولها الألسن، دون أن نعلم من أسبابها وشروطها شيئاً، وكان السيد عبد الرحمن عزام، قد مرّ ببيروت في طريقه إلى دمشق. فاجأني بمسألة الهدنة وسألني رأيي فيها. فقلتُ له: إن الهدنة تُعقد عادة بعد هزيمة العدو فيطلبها المنهزم، وهذا أمر لم يحدث بعد فلا نحن انهزمنا وانسحقنا ولا اليهود انهزموا وانسحقوا، على أن حالتنا نحن العرب خير من حالة اليهود، فلستُ أرى أي معنى لها. قال أمين الجامعة: إن

---

[1] ـ كان السيد فارس الخوري مندوب سورية في الأمم المتحدة، أول من حذر من قبول مؤامرة الهدنة.

الأميركان والإنكليز يضغطون علينا ضغطاً شديداً لنقبل الهدنة. وقواد الجيوش العربية يشكون من قلة العتاد ، ويطلبون قبول الهدنة. فقلتُ له: إني أستغرب هذه الشكوى، وهم لم يخوضوا بعد أية معركة كبيرة تستنفد العتاد ، وتحملهم على الشعور بالضعف. قال: إنه أمر لا بدّ منه، فالحكومات العربية مشتركة مع القواد في الرأي بضرورة قبول الهدنة. قلتُ: إن الهدنة معناها إعطاء فرصة لليهود ليزيدوا في تسليحهم وفي قوتهم وتنظيم صفوفهم)).

ثم يضيف القاوقجي مخاطباً الأمين العام للجامعة العربية بقوله: ((لديّ معلومات تؤكد أن بواخر مشحونة سلاحاً وعتاداً ، ترسو في موانئ (الأدرياتيك) والبحر الأسود ومياه فرنسية، وهي مستعدة للسفر إلى تل أبيب عند أول إشارة. فقال الأمين العام: هذا صحيح ولكن إنكلترا وأميركا ستحولان دون سفر هذه البواخر وقد وُعدنا بذلك . قلتُ له: أما أنا فأعتقد أنه ربما كان لضغط الأميركان والإنكليز عليكم للقبول، غرض واحد، هو تسهيل سفر هذه البواخرإلى الموانئ اليهودية. فاليهود اليوم في حالة ضعف بالنسبة لنا نحن، وأرجوك أن تبذل ما في وسعك لإحباط مشروع الهدنة. قال: سأبذل ما في وسعي. ((ولكن يجب أن لا نبالغ في التشاؤم إلى هذا الحد)).

قَبل العرب قرار الهدنة وتوقفت الجيوش العربية عن القتال، أما اليهود فعلى الرغم من قبولهم قرار الهدنة لكنهم لم يتوقفوا عن القتال، وقاموا بالهجوم على

عدد من المواقع، ولولا تصدي جيش الإنقاذ لهجوم اليهود لتمكنوا من توسيع رقعة المناطق التي يسيطرون عليها.

وبدأت المساعدات العسكرية تنهال عليهم من جهات متعددة وبخاصة من أميركا التي زوّدتهم بأسلحة ثقيلة كالمدافع والدبابات والطائرات من ذوات المحركين والأربع محركات. بالإضافة إلى المتطوعين لتشغيل تلك الأسلحة.

أما الحكومات العربية التي قبلت الهدنة، فلم تفعل شيئاً للاستعداد لمابعد الهدنة، ويقول القائد فوزي القاوقجي في مذكراته ما نصه: ((نحن العرب لم نعمل ساعة واحدة من أيام الهدنة للاستعداد لما قد يفاجئنا من أحداث، اللهم عدا المؤتمرات والاجتماعات السياسية، كما يسمونها والعسكرية الفارغة وإقامة المآدب والحفلات)).

انقضت الهدنة الأولى في العاشر من تموز 1948، والعرب لم يفعلوا شيئاً للاستعداد للقتال، فكيف كان الوضع العربي بشكل عام؟

جواباً على هذا السؤال؛ ليس من باب الاتهام، بل من باب الواقع، لقد استمر الوضع العربي على ما كان عليه قبل الهدنة؛ مؤتمرات، وعود دون تنفيذ، وخلافات مبعثها ضياع الثقة بين قادة الحكومات العربية. وبالعودة إلى مذكرات القائد فوزي القاوقجي نجد ما يلي: ((ذهبت إلى بيروت، فعاليه، لحضور الاجتماع الذي كان منعقداً بتاريخ (15تموز 1948) في دار السيد عمر الداعوق، لقيتُ

(الميرالاي صبور) وأمين الجامعة السيد عبد الرحمن عزام، ورئيس الوزارة السورية جميل مردم ورئيس الوزارة اللبنانية رياض الصلح والقائد العام للجيوش العربية اللواء نور الدين محمود. وفاجأني السيد عزام بأنباء ما يعالجونه من مشاكل خطيرة تتعلق بالقيادة العامة، وما هناك من عبث بأوامر القيادة. وحدثني عن عدم الثقة بين الجيوش الأمر الذي حال دون تعاونها المشترك في القتال، وعن النقص في العتاد لدى كل جيش)).

ويتابع فوزي قوله: ((ثم قال لي (ويقصد الأمين العام للجامعة)، أنه يعتقد أن الملك عبد الله عازم على أن ينسحب من القتال، متأثراً بعامل تفكيرهم في إنشاء (حكومة) أو (دولة) في فلسطين برئاسة المفتي. ثم سألني قائلاً: إذا انسحبت شرق الأردن من القتال، هل في استطاعة جيش الإنقاذ أن يسدّ الفراغ الذي يتركه الجيش الأردني؟ فقلتُ له ألا تذكر أنني كنتُ اقترحتُ عليك إبقاء جيش الإنقاذ في مواقعه الأولى؟! ربما يكون الوقت قد فات الآن، فإن الجليل بحاجة إلى من يحميه. وعدتُ أقولُ لعزام، هل تنوون إعطاء عتاد لجيش الإنقاذ، ليستطيع حماية الجليل؟!. فأجابني جواباً موجزاً بليغاً وغادرت مكان الاجتماع وفي نفسي كثير من المرارة)).

هكذا كانت حكومات الدول العربية، ومعهم جامعة الدول العربية، تعالج موضوع الحرب والدفاع عن عروبة فلسطين، بالمؤتمرات السياسية الفارغة

والكلام الذي لا يعني إلا قبول الهزيمة ، والخضوع لإرادة الدول الاستعمارية ، ويحدث أيضاً في اجتماع آخر عُقد في دمشق ، ما حدث في اجتماع عاليه ، من مناقشات لاتُغني ولا تُسمن من جوع.وعن هذا الاجتماع يروي القائد فوزي القاوقجي قائلاً: ((كان الاجتماع في القصر الجمهوري يوم 13 أيلول 1948 بحضور فخامة الرئيس القوتلي، والسيد جميل مردم والزعيم حسني الزعيم، ورئيس الحكومة اللبنانية رياض الصلح. فشرحتُ للمجتمعين الموقف شرحاً وافياً ، وبيّنتُ لهم أهمية احتفاظنا بمرتفعات (مروس) لردّ أي هجوم يهودي على الجيش السوري. وطلبت أن يسلّموني قنابل ومدافع هاون فالتفتَ إليّ السيد جميل مردم مبتسماً وقال ولكن بشيء من السخرية: مدافع هاون؟! .. هذا للجيش السوري فقط.

وقلتُ لا بأس أكتفي بالقنابل فرفضوا ، فاكتفيتُ بعشرين قنبلة فقط فاعتذروا. ثم التفتَ إليّ الرئيس وخاطبني بحدّة: يا أخي ليش تتحرّش باليهود مانك شايفهم ماسكينا بخوانيقنا؟روح انسحب من مروس)).

ويقول فوزي: ((وكانت صدمة عنيفة جداً ، لم أتلقَ مثلها في حياتي ولم أكن أتوقعها أبداً. إن الصدمة كانت من هذه العقلية الغريبة برؤوس (الرؤوس).كيف يمكن أن يحقق المقاتلون العرب، وهم يواجهون شراسة العدو اليهودي، النصر في المعركة؟ وكيف يمكن أن يستمر الجنود العرب في الصمود ، إذا كانت تلك

الرؤوس العميلة للاستعمار هي التي تقود المعركة، وهي التي تطلب منه الانسحاب من مواقعه ((حتى لا يتحرش باليهود))؟.

هل الدفاع عن عروبة فلسطين هو (تحرش باليهود) في نظر فخامة الرئيس؟!

...

استمر اليهود بعد انتهاء الهدنة، بالهجوم علىجبهات متعددة، والجيوش العربية غيرقادرة على مواجهة التحديات، وأصبح جيش الإنقاذ في وضع حرج جداً يُهدد وجوده كلياً، وعلى الرغم من الطلبات المتكررة للحصول على العتاد والدعم من الحكومات العربية أو من جامعة الدول العربية، لكن دون جواب، مما اضطر قيادة جيش الإنقاذ إلى اتخاذ ترتيبات دفاعية. ولم يجد القائد فوزي القاوقجي أمامه سوى تقديم كتاب استقالته إلى الأمين العام للجامعة، وآخر إلى الحكومة السورية وإلى الحكومة اللبنانية.

وفي أواخر شهر تشرين الأول 1948، كانت القوات اليهودية تضغط بعنف على جبهة الجيش المصري، مما دفع القيادة العامة للجيوش إلى عقد مؤتمرعسكري في (شتور ة) بلبنان للمداولة في طريقة لنجدة الجيش المصري. كان الاجتماع برئاسة جميل مردم رئيس الحكومة السورية وحضور وزير الدفاع اللبناني، وقائد الجيش اللبناني الجنرال شهاب، والزعيم حسني الزعيم والمقدم

ناصر رئيس أركان الجيش السوري، والعقيد محمود الهندي من اللجنة العسكرية، وفوزي القاوقجي عن جيش الإنقاذ.

يروي القاوقجي في مذكراته عن هذا المؤتمر فيقول: ((افتتح السيد جميل مردم الاجتماع بقوله: إن حالة إخواننا المصريين سيئة جداً، الجيش في حالة تقهقر والمعارك بينه وبين اليهود في الأراضي المصرية [يقصد في القطاع المصري من الجبهة]، فلا بدَّ لنا من نصرتهم. والتفت إليَ (فوزي) كأنما يطلب رأيي فقلتُ له: يمكن أن نقدم للجيش المصري مساعدة مباشرة ومساعدة غير مباشرة، الأولى لا يمكن أن يقوم بها إلا الجيشان الأردني والعراقي المرابطان في منطقة تتصل بمنطقة الجيش المصري، والمساعدة غير المباشرة، يستطيع القيام بها الجيشان السوري واللبناني وجيش الإنقاذ، وذلك بحركة واسعة في منطقة الجليل، مما يضطر اليهود إلى سحب قوات كبيرة لتوقيف هذه الحركة، فنخفف بذلك ضغطاً شديداً عن الجيش المصري)).

كان رأي أغلبية الحضور من الضباط والقادة موافقاً لرأي فوزي هذا، وعلى أثر ذلك، أخذت المؤتمرات السياسية والعسكرية تُعقد كالعادة في القاهرة وعمان ودمشق، يسودها نشاط كلامي وحماسة لرفع العتب مع أن الغرض من هذه الاجتماعات هو نجدة الجيش المصري.

يعود فوزي القاوقجي إلى الكلام عن تلك الاجتماعات فيقول: ((كانت فرصة نادرة الوقوع لصالح الجيوش العربية، للقضاء على القوات اليهودية وهي تتدفق على مواقع الجيش المصري في الجبهة المصرية، قلما تسنح مثلها في الحروب. فاندفاع اليهود ضد الجيش المصري كشف للعرب صفحة يسجلون فيها ما يشاؤون: عار الأبد بضياع فلسطين، أو مجد الأبد بإنقاذ فلسطين فاختار العرب الأولى)).

وفي 23 تشرين الأول 1948، بدأت القوات اليهودية تحركات واسعة النطاق استعداداً لاحتلال (المنارة) ولكن قوات الإنقاذ تمكنت من تحطيم اللواء اليهودي المهاجم. مما أدى إلى تخفيف الضغط على الجيش المصري، الذي كان في خطر شديد بسبب هجمات اليهود المتلاحقة على مواقعه، لا سيما وأن اليهود كانوا مطمئنين إلى أن الجيشين الأردني والعراقي لن يُحركا ساكناً. كما أن الجيش السوري أضاع فرصة ثمينة لعدم اشتراكه في القتال مع جيش الإنقاذ، ولو فعل لأمكنه فصل منطقة الحولة بكاملها عن طبريا.

بعد خسارة القوات اليهودية في معركة المنارة (23 - 24)تشرين الأول 1948 كان من المتوقع أن ترد بهجوم كبير وعلى نطاق واسع للتخلص من قوات جيش الإنقاذ الذي تحرك وحده لتخفيف الضغط على الجيش المصري.

وبالفعل بدأ الهجوم اليهودي باستخدام الطائرات من ذوات الأربع محركات أميركية الصنع، ومدفعية الميدان ومدافع الهاون ورتل من الدبابات الثقيلة بالإضافة إلى قوات كثيرة من المشاة.

ولم يكن أمام قيادة جيش الإنقاذ، إلا أن تطلب من الجيشين السوري واللبناني، لإنقاذ الوضع، المساعدة على الأقل بقصف مدفعي لمؤخرة العدو المهاجم، ويقول القائد فوزي: ((ولكن طلقة واحدة لم تُطلق من هنا ولا من هناك)).

وبدا أن عنف الهجوم اليهودي كان يهدف إلى القضاء على قوات جيش الإنقاذ الذي صمد في المعارك وكبد القوات اليهودية خسائر كبيرة. ويظهر أن مقدرة قوات الإنقاذ على الصمود، لم تكن تخطر على بال اليهود، الذين كانوا في عجلة من أمرهم، للقضاء على جيش الإنقاذ، وإنهاء الحرب في هذه المنطقة للتفرغ لجبهة الجيش المصري.

وأمام هذا الوضع الجديد، يقول القائد فوزي القاوقجي في مذكراته ص 493- 494 ما نصه: ((قررتُ أن تتمركز قواتنا على خط جديد يمتد من غربي (سعسع) إلى شرقي (عيترون) موازي للحدود اللبنانية، على أن تكون المراكز الأمامية لهذا الخط في الأراضي الفلسطينية. فنكون في مواقعنا الجديدة، أقوى منا من قبل، لقصر الخط الجديد بالنسبة للخطوط التي كنا نتمركز عليها

سابقاً، ويكون في وسعنا القيام بأعمال مجدية تمكّنا من دفع القوات اليهودية، إلى مسافة بعيدة عن الحدود اللبنانية، وإعادة تنظيم قواتنا تنظيماً جديداً، على شرط أن نُجهّز ونُموّن بالعتاد، لأن عتادنا قد نفذ تماماً هذه المرة)).

انتهت المعركة بوقف إطلاق النار بناءً على أوامر هيئة الأمم المتحدة في 1948/10/31، وبذلك انتهت معركة الجليل، التي استمرت خمسة أيام بلياليها بدون انقطاع، كانت هذه المعركة الفرصة الأخيرة للجيوش العربية، لو أرادت أن تغتنمها لتيسّر لها أن تربح معركة فلسطين نهائياً. ذلك لأن القوات اليهودية كلها تحشّدت على جبهة جيش الإنقاذ، وجبهة الجيش المصري،ولكن جيشاً من هذه الجيوش لم يتحرك... وكأنما اليهود كانوا يعرفون بأن هذه الجيوش لن تتحرك.

وحول تخاذل الحكومات العربية يقول القائد فوزي القاوقجي في مذكراته صـ 496 ما نصه: ((إنني حينما أعدد عوامل فشل الدول العربية في فلسطين، لايسعني إلا أن أضع موقف الجيوش هذه في رأس هذه العوامل، فمن المسؤول عن هذا الموقف؟..

إن معركة الجليل هذه كانت سبباً لإنقاذ الجيش المصري، وعدم سقوط غزة بين أيدي اليهود ... ولو أن اليهود حشدوا قواتهم الكثيفة ضد الجبهة المصرية قبل مهاجمة جيش الإنقاذ، لسقطت الفالوجة وغزة ولتشتت الجيش المصري وتمزق. على الرغم من أن عنف الهجوم اليهودي على جبهتنا، واستمرار المعركة

مدة خمسة أيام كاملة، استطاع جيش الإنقاذ أن يفلت من التطويق والإبادة، وأتم عملية انسحابه، بدون أية خسارة في ما تبقى لديه من سلاح، وخسارة في الأرواح أقل بكثير من الخسائر التي تقع في مثل هذه العمليات)).

ونتيجة لهذه الظروف، استقر جيش الإنقاذ على خطوطه الجديدة لا يبدي أية حركة. فأصبح مثله مثل بقية الجيوش العربية القابعة وراء تحصيناتها القوية، تحميها الأسلاك الشائكة والأسلحة الثقيلة وحقول الألغام.

بينما خلدت الجيوش العربية إلى الهدوء منهزمةً في المعركة، كانت المعارك لاتزال تدور في جبهة الجيش المصري، على خط يمتد من أبواب غزّة، حتى ما وراء العريش داخل الأراضي المصرية، وكانت حالة الجيش المصري سيئة فرأت الحكومة المصرية أن تقبل الهدنة لإنقاذ الجيش.

أما في دمشق فبدأت اللجنة العسكرية تلح في تسريح جيش الإنقاذ، بحجة عجز جامعة الدول العربية عن دفع رواتب الجنود وتجهيزهم.

ويذكر فوزي القاوقجي في مذكراته ما يلي: ((وكان من ضمن جنود الإنقاذ فوج المقاتلين الفلسطينيين الذين شاركوا جيش الإنقاذ في القتال ضد اليهود بشجاعة ويتقاضون رواتبهم من الهيئة العربية العليا. وقد طلبت اللجنة العسكرية تسريح هذا الفوج أيضاً)).

من الطبيعي أن يعترض القائد فوزي القاوقجي على هذا التسريح، على الرغم من إصرار اللجنة على التسريح. والأغرب من ذلك فإن القيادة العسكرية ومقرها دمشق، لم تقبل الاعتراض، بل أخذت تلح في تسريح جيش الإنقاذ بسبب ما راود أذهان المسؤولين في دمشق وبيروت من أن قائد جيش الإنقاذ ينوي القيام بحركة انقلاب في دمشق وبيروت مستخدماً جيش الإنقاذ لهذا الغرض.

النهايـــة المحـزنـــة:

قليلون هم الذين يعرفون النهاية المحزنة التي انتهت إليها حالة الجيوش العربية النظامية، وقليلون هم الذين يعرفون تخاذل، إن لم نقل تآمر بعض الحكومات العربية. مما أدى إلى الفشل الذريع، وضياع فلسطين.

فالملك عبد الله كان خاضعاً لقائد الجيش (كلوب) البريطاني، ومرتبطاً بالقيادة اليهودية باتفاقات سرية، ولقد أمر الجيش الأردني بالتخلّي عن مدينتي (اللدّ والرملة)، وبذلك أتاح الفرصة أمام القوات اليهودية لمهاجمة الجيش المصري ومحاصرته في (الفلّوجة). واكتفى الجيش الأردني بالبقاء في القدس دون أن يقوم بأي عمل من شأنه أن يخفف الضغط على الجيش المصري. مقابل أن ينال الملك عبد الله حصة العرب من التقسيم فيضمها إلى مملكته.

أما الحكومتان السورية واللبنانية، لم تقدم أية واحدة منهما الدعم المطلوب لجيش الإنقاذ في معركة الجليل. مما أدى إلى ضياع هذا القسم من أيدي العرب.

وليس هذا فحسب بل، أن جميل مردم رئيس الحكومة السورية، دبّر أمر تسريح جيش الإنقاذ بالاتفاق مع الرئيس القوتلي، وذلك بخداع الأمين العام للجامعة العربية بتوقيع أمر التسريح وهو لا يعلم ذلك مستخدمين في ذلك (السيد زهير القباني ممثل سورية) في جامعة الدول العربية.

بعد كل هذا، أيحق لتلك الحكومات الادعاء بأنها دخلت المعركة لإنقاذ فلسطين، والقضاء على الدولة اليهودية بعد كل هذا والكثيرون من أبناء الأمة العربية يتساءلون؛ كيف ضاعت فلسطين؟!..وحتى يكون لهذه المأساة خاتمة محزنة، يفاجأ العرب بطلب الحكومات العربية، الهدنة الدائمة التي عُقدت في رودس[1]، مع مصر أولاً ثم مع باقي الحكومات التي رأت فيها باباً للفرج.

كان التوقيع على هذه الهدنة بمثابة وثيقة ناطقة بالاعتراف بقيام (دولة إسرائيل) بعد أن كان قيامها بموافقة الأمم المتحدة واعتراف الدول الكبرى بها.وهكذا وجدت الأمة العربية نفسها أمام حقيقة مرّة هي قيام ((دولة إسرائيل)) في أرض فلسطين قلب الوطن العربي. مدعومة من الدول الاستعمارية التي خططت ونفذت المؤامرة ضد الأمة العربية.

---

[1] بدأت في 1949/1/1م .
تم التوقيع عليها في 1949/2/24.

أما الأمة العربية، وإن خسرت الحرب بسبب تخاذل الحكومات العربية، لكن فلسطين تبقى جزءاً مقدساً من الوطن العربي، ويتحتم على الأمة العربية، عاجلاً أم آجلاً، العمل على استعادة هذا الحق بأي ثمن، لأن بقاء إسرائيل يعني خطراً مباشراً يهدد بقية أجزاء الوطن العربي كله. وإذا أرادت الأمة العربية أن تطمئن إلى مستقبلها وبقائها، يجب عليها أن تقوم بوثبة جديدة، ترتكز على عقلية جديدة، وتعمل بأساليب جديدة، لقيام وحدة عربية قويّة، قادرة على مجابهة الأخطار الكثيرة التي تهدد كيانها وبقاءها.

فالأمل كل الأمل بالشباب والأطفال العرب الذين سيهبّون قوة واحدة قادرة على استعادة الحق المغتصب إلى نصابه.

فإلى أن يحين الوقت للتحرير، سيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ سينقلبون.

- تطورات قضية فلسطين في الأسابيع التالية للهدنة الثانية (15 تموز 1948):

في غضون الأسابيع التي تلت إقرار الهدنة الثانية وتوقف إطلاق النار من الجانب العربي على الجبهات حدثت الأمور التالية:

أولاً: لم توقف قوات المجاهدين القتال:

فقد استمرت قوات المجاهدين غير النظامية في القتال في القدس ولذا عمل الوسيط الدولي الكونت برنادوت بالاتفاق مع جامعة الدول العربية لتجريد

القدس من السلاح، فوافقت الجامعة العربية على تجريد القدس من السلاح بينما رفض اليهود.

واستمر القتال بين اليهود وقوات جيش الإنقاذ الذي تمكن من السيطرة على مناطق واسعة من الجليل، مما أجبر اليهود لخوض معارك ضارية مع قوات جيش الإنقاذ التي سلكت حرب العصابات، مما أدى إلى فشل الهجمات اليهودية وأصبح جيش الإنقاذ خطراً حقيقياً على الوجود اليهودي في الجليل. ولو أن الجيوش العربية تعاونت مع جيش الإنقاذ في هذه المعركة لأمكنها أن تلحق الهزيمة النهائية باليهود وإنقاذ فلسطين ولكن أحداً لم يتحرك.

ثانياً- اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت:

بعد إقرار الهدنة الثانية قام برنادوت بعدة اتصالات مع العرب واليهود.وحصر نشاطه بقضية اللاجئين الفلسطينيين وإسعافهم بالإضافة إلى مراقبة الهدنة، أما موضوع حل قضية فلسطين، أصبح الأمر بيد هيئة الأمم المتحدة بعد أن بعث الوسيط الدولي بتقرير إلى المنظمة عرض فيه مقترحاته النهائية لحل قضية فلسطين وهذا أدى إلى اغتياله.

ففي ليلة 17 أيلول 1948، اغتال اليهود برنادوت ومساعده الفرنسي في القدس، بعد أن اطلعوا على مقترحاته التي تنص على إخراج النقب والقدس والجليل من أيدي اليهود، ثم عودة اللاجئين إلى ديارهم والتعويض عليهم وجعل

ميناء حيفا حراً وإعطاء العرب منفذاً على البحر ومنفذاً آخر إلى مطار اللد، كان هذا الاغتيال دليلاً على استهتار اليهود بالأمم المتحدة، حتى أن هذه الجريمة لم تحرك الضمير العالمي ولم تغير من الأمر شيئاً.

ثالثاً: نشوء حكومة عموم فلسطين:

قررت اللجنة السياسية التابعة للجامعة العربية، في اجتماعاتها (أيلول 1948)، إنشاء حكومة عربية فلسطينية أسوة باليهود، ووافقت الحكومات العربية على ذلك باستثناء الأردن الذي أبدى معارضة عنيفة ضد القرار.

وفي 23 أيلول 1948 أعلنت (حكومة عموم فلسطين) في غزة برئاسة أحمد حلمي عبد الهادي، وتم إبلاغ الحكومات العربية والجامعة العربية بذلك. ودُعي حوالي 150 شخصاً من الفئات التي تمثل فلسطين لعقد اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني في غزة، برئاسة الحاج أمين الحسيني.

وفي اليوم ذاته أي في 1948/10/1 عقد الأمير عبد الله اجتماعاً لمجلس وطني فلسطيني آخر في الضفة الغربية سمي (مؤتمر أريحا).

ولما اعترضت سورية ومصر على مؤتمر أريحا، ردّ الأمير عبد الله، أن جعل مجلس النواب ومجلس الأعيان الأردنيين يعقدان اجتماعاً مشتركاً يقرران الموافقة على توحيد فلسطين والأردن وإعلان عبد الله ملكاً عليهما)).

أما في الميدان العسكري فقد احتل اليهود كل النقب وحصروا الجيش المصري في شقة غزة الضيقة، ثم أبعد فصائل جيش الإنقاذ عن الجليل وتوغلوا في الأرض اللبنانية. ثم تقدموا نحو خليج العقبة واحتلوا المنطقة الواقعة على هذا الخليج من ناحية النقب.

أما حكومة عموم فلسطين، لم تعترف هيئة الأمم المتحدة بها، ثم سارت في طريق الاضمحلال حتى لم يعد أحد يسمع بها.

مراجــع البحـث

1- ابن الأثير - الكامل في التاريخ - الجزء الأول.

2- أبو عسل (ايلي ليفي) يقظة العالم اليهودي - القاهرة 1934.

3- برصوم (البطريرك أفرام الأول) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية.

4- بريستد (جيمس هنري) تاريخ العصور القديمة - ترجمة داود قربان.

5- بوست (جورج) قاموس الكتاب المقدس.

6 - تشرشل (ونستون) مذكرات - طبع بيروت 1936.

7- التل (عبد الله) كارثة فلسطين.

8- توراة (العهد القديم) الأسفار: تكوين - خروج - تثنية - يشوع - القضاة - صموئيل الأول - صموئيل الثاني - ملوك الأول والثاني - ارميا.

9 - توينبي (أرنولد) تاريخ البشرية - الجزء الأول.

10 - حتّي (فيليب) تاريخ سوريا ولبنان ومن ضمنها فلسطين - الجزء الأول ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق - بيروت 1982.

11 - دائرة المعارف البريطانية - طبعة 1965.

12 - داوود (أحمد) - تاريخ سوريا القديم - دار المستقبل دمشق - الطبعة الأولى 1986.

13- ديورانت (وِلْ) قصة الحضارة الجزء الثاني - ترجمة محمد بدران.

14 - رسالة ابن فضلان - تحقيق سامي الدهان - دمشق 1959.

15 - السقاف (ابكار) - إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة - القاهرة 1967.

16 - سمث - الجغرافيا التاريخية.

17 - سوسه (الدكتور أحمد) العرب واليهود في التاريخ - الطبعة الثانية.

18 - شمالي (نصر) مصيرنا هو مصير فلسطين - دار المستقبل - دمشق 1995.

19 - الطبري - تاريخ الطبري الجزء الأول. طبع القاهرة – دار المعارف بمصر

20 - عبد الحميد (محمد) صائبة حران.

21 - العقاد (عباس محمود) - الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين.

22- عوض محمد (محمد) المسألة الصهوينية في نظر العلم - القاهرة 1947.

23- فرويد (سيغمون) موسى والتوحيد - الترجمة العربية.

24 - القرآن الكريم - سور (الأنعام - البقرة - آل عمران - المائدة - النساء - الإخلاص).

25 - القاوقجي (فوزي) - مذكرات - قسم فلسطين.

26 - كتن (هنري) فلسطين في ضوء الحق والعدل - ترجمة وديع فلسطين.

27 - كوستلر (هنري) امبراطورية الخزر وميراثها - 1976.

28 - كروهمان - أصل العرب - بيروت 1970.

29 - لوبون(غوستاف) - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - ترجمة عادل زعيتر - القاهرة 1950.

30 - لودس - إسرائيل.

31- المجلس الأميركي لليهودية - اليهودية دين لا قومية.

32- المسعودي - مروج الذهب - الجزء الأول - دار الأندلس - 1965.

33 - موتغارت (أنطون) تاريخ الشرق الأدنى القديم.

34 - نويهض (عجاج) بروتوكولات حكماء صهيون - مجلدان وأربعة أجزاء.

35 - هوك (صموئيل) - أصول الديانات السامية القديمة.

36 - ولفنستون (إسرائيل) - تاريخ اليهود في بلاد العرب.

37 - ويلز **Wells** - معالم تاريخ الإنسانية الجزء 4.

38 - يوسف (شريف) - تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم.

39 - يوسفوس - أيام اليهود القديمة.

40 - سامي عصمت (عبد الرحمن) - الصهيونية والماسونية.

41 - ((حكومة العالم الخفيّة)) - ترجمة مأمون سعيد.

42 - الحوراني (أكرم) - مذكرات - الجزء الأول - طبع القاهرة. مكتبة مدبولي - 2000.

ملحق 1

جدول بأهم الحوادث

نحو 4000 - 3000 ق.م توطن العرب العموريين في سوريا والعراق.

نحو 3000 - 2500 ق.م توطن العرب الكنعانيين في عمان واليمن والسواحل الغربية من شبه الجزيرة العربية (بلاد غامد وزهران).

نحو 2371 - 2230 ق.م - حكم الأكاديين في العراق - سرجون الأكادي عاصمته أكاد.

نحو 2000 - 1500 ق.م جولان القبائل العربية الآرامية بين بوادي شبه الجزيرة العربية وبين سورية وأعالي الفرات.

نحو 1900 - 1850 ق.م ارتحال إبراهيم الخليل مع عشيرته الآرامية من (أور) في جنوب العراق إلى أرض كنعان في غرب الجزيرة العربية.

نحو 1894 - 1595 ق.م فترة حكم العموريين العرب في بابل وأشهر ملوكهم حمورابي (1792 - 1750ق.م).

نحو 1417 - 1362 ق.م فترة الرسائل الكنعانية المعروفة (برسائل العمارنة) في عهد امنحوتب الثالث (1417 - 1379ق.م) وعهد امنحوتب الرابع (1379 - 1362ق.م).

نحو 1290 ق.م ظهور موسى وقومه وقصة الخروج من مصر.

نحو 1162 - 1046 ق.م فترة حكم السلالة البابلية الرابعة في بابل.

نحو 1050 ق.م انتصار الفلسطينيين على قوم موسى في عهد القضاة واستيلاؤهم على تابوت العهد.

نحو 1025 - 1010 ق.م فترة حكم الملك شاول. قتله الفلسطينيون مع أولاده الثلاثة عام 1010 ق.م

نحو 1010 - 971 ق.م فترة حكم الملك داوود.

نحو 971 - 931 ق.م فترة حكم الملك سليمان.

نحو 931 - 586 ق.م فترة حكم الملوك الثاني - الانقسام - السبي إلى بابل.

نحو 612 - 539 ق.م الدولة الكلدانية في العراق - من أشهر ملوكها (نبوخذنصر).

نحو 597 ق.م حملة نبوخذ نصر الأولى على مملكة يهوذا ، (السبي الأول).

نحو 586 ق.م حملة نبوخذ نصر الثانية على مملكة يهوذا (السبي الثاني).

نحو 586 - 539 ق.م المدة التي قضاها اليهود في السبي (47 عاماً).

نحو 539 ق.م احتلال الملك (قورش الفارسي من السلالة الأخمينية) في بلاد فارس، لمدينة بابل، وإسقاط الدولة الكلدانية ثم سماحه لمن يرغب من اليهود العودة إلى المنطقة التي أسروا منها في غرب شبه جزيرة العرب.

نحو 539 - 331 ق.م فترة حكم الفرس الأخمينيين في العراق وسورية (وانتقال عدد من اليهود الذين عادوا من السبي، إلى جنوب سورية من غرب الجزيرة العربية، خلال الحكم الفارسي والحكم اليوناني اللاحق.

نحو 332 ق.م احتل الإسكندر المقدوني سورية ثم مصر، ثم العراق وحملته حتى وادي السند (الباكستان الحالية).

نحو 323 ق.م وفاة الإسكندر في بابل بالعراق (يوم 13 حزيران).

نحو 323 - 64 ق.م فترة حكم السلوقيين خلفاء الإسكندر في سورية.

نحو 323 - 30ق.م فترة حكم البطالمة خلفاء الإسكندر في مصر .

نحو 167 ق.م اضطهاد اليهود في فلسطين من قبل اليونان وإجبارهم على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية.

نحو 167- 37 ق.م فترة ثورة المكابيين اليهود على الحكم السلوقي.

نحو 70 ق.م بداية حكم الإمبراطورية الرومانية في سورية.

نحو 30 ق.م احتلال مصر من قبل الرومان.

نحو 6 ق.م مولد السيد المسيح (عليه السلام).

نحو 29 ب.م صلب السيد المسيح من قبل(السنهدرين) مجمع الكهنة اليهود.

نحو 66 ب.م بداية ثورة اليهود على الحكم الروماني في فلسطين.

نحو 70 ب.م احتلال الرومان أورشليم وإحراق المعبد والفتك باليهود وإلغاء السنهدرين.

نحو 132 ب.م تجدد ثورة اليهود بقيادة (باركوخبا).

نحو 135 ب.م الإمبراطور هادريان يقضي على الثورة ويعلن أورشليم مستعمرة رومانية وتحريم إقامة اليهود فيها.

نحو 313 ب.م أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوماً يقضي بمنح المسيحيين حرية العبادة في جميع مناطق الإمبراطورية الرومانية.

نحو 330 - 337 ب.م بنى الإمبراطور قسطنطين ((كنيسة القبر المقدس)) في أورشليم (كنيسة القيامة حالياً).

نحو 395 ب.م تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى (غربية وعاصمتها روما) وشرقية وعاصمتها بيزنطة (القسطنطينية).

نحو 476 ب.م سقوط الإمبراطورية الغربية بيد البرابرة الذين احتلوا روما.

نحو 636 ب.م معركة اليرموك، انتصر فيها العرب المسلمون بقيادة خالد بن الوليد على الجيوش البيزنطية بقيادة هرقل.

نحو 638 ب.م دخول العرب المسلمين مدينة القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام (17هـ) ولم يكن لليهود أي وجود فيها.

ملحق (2)

علاقة الماسونية بالصهيونية:

الرأي السائد في العالم، أن الماسونية بجميع محافلها تدار عن طريق التسلسل من قبل قيادة يهودية لا يدخلها غير اليهود وتقسم الماسونية إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: هي الماسونية الرمزية العامة ذات الدرجة ((33)) وهي الشائعة في كل الأقطار، يدخلها جميع الناس على اختلاف أديانهم. ولها ثلاث درجات أعلاها الدرجة ((33)) ويسمى حاملها (أستاذاً أعظم).

الفرقة الثانية: هي الماسونية الملوكية ((العقد الملوكي)) وهي متممة للفرقة الأولى ويقبل فيها، الأساتذة الأعاظم الحائزين على الدرجة ((33)). ممن أدّوا خدمات جلّى لتحقيق أهداف الماسونية. ولا يجوز لهؤلاء أن يتعدوا المرتبة الأولى وهي مرتبة الرفيق إذا كانوا من غير اليهود.

الفرقة الثالثة : وهي الماسونية الكونية. وهذه لا يعرف رئيسها ولا مقرّها أحد، سوى أعضائها من رؤساء محافل ((العقد الملوكي)) وكله م يهود، ولها محفل واحد لا يتعدد. وهذه الفرقة تصدر تعليماتها إلى محافل العقد الملوكي، وعن طريق هؤلاء تصل الأوامر إلى المحافل الماسونية الرمزية.

هذه المعلومات مقتبسة عن كتاب

((الصهيونية والماسونية))

تأليف عبد الرحمن سامي عصمت

صفحة 12- 13

ملحق (3)

وفيما يتعلق بالمحافل الماسونية ما كتبته مجلة القوات المسلحة بالقاهرة في العدد رقم 421 سنة 1964.

((اُحتفل في فلسطين المحتلة بوضع حجر الأساس لأكبر محفل ماسوني في العالم. وقد تحدث في هذه المناسبة الحاخام الإسرائيلي فقال بالحرف الواحد:

[أيها الأخوة الماسون من كل بلاد العالم؛ نحتفل اليوم بوضع الحجر الأساس لأكبر محفل ماسوني في العالم. وسيضيء الطريق أمام الماسونية لتحقيق أهدافها. إننا جميعاً نعمل من أجل هدف واحد، هو العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض وما عدا ذلك فهي أديان باطلة، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد وبين أي شعب آخر. ونتيجة لمجهوداتكم سيأتي يوم يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الإسلامي ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم الباطلة المتعفنة، ويصل جميع البشر إلى نور الحق والحقيقة.

أيها الأخوة الماسون:

فلتجعلوا من هذا المحفل قبلة لمحافلكم. قبلة تتجهون في صلواتكم إليها إذا أردتم الخير لهذا العالم وإذا أردتم الخير لأنفسكم))...

نقلاً عن كتاب ((حكومة العالم الخفية))

ترجمة مأمون سعيد صـ 30

كذلك، نشرت الصحف بعد الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1967 خبراً يفيد أن المحفل الماسوني البريطاني تقدم بطلب إلى بلدية القدس يطلب فيه شراء المسجد الأقصى لإقامة هيكل سليمان مكانه.

نفس المصدر صـ 14

ملحق (4)

محاولة ((تيودور هرتزل)) رئيس المنظمة الصهيونية، لإقناع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ولكن السلطان عبد الحميد رفض استقبال هرتزل وأعلمه بطريق صديقه ما يلي: ((لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي.. ليحتفظ اليهود ببلايينهم. ولن أسمح لأحد باغتصاب أي جزء منها)).فماذا كانت النتيجة بعد رفض السلطان، قام اليهود بمساعدة يهود (الدونما) بحركة انقلاب وعزل السلطان عبد الحميد عن الحكم وقد ظهر ذلك في الرسالة التالية التي وجهها السلطان إلى الشيخ ((محمود أبو الشامات)) في دمشق يذكر فيها مؤامرة اليهود ضده لرفضه إعطاء فلسطين لليهود وفيما يلي نص الرسالة:

يا هو ..بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ..الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العليا الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة...وبعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ: إنني لم أتخلَ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى إنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم ((جون تورك)) وتهديدهم اضطررت وأُجبرت على ترك الخلافة.إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرّوا وأصرّوا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين)، ورغم إصرارهم لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.وأخيراً وعدوا بتقديم (150) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً. وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي:

[إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (150) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت المل ة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين - لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً].وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك. فقبلت بهذا التكليف الأخير.

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة، فلسطين...وقد كان بعد ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال. وأعتقد أن ما عرضته كافٍ في هذا الموضوع المهم، وبه أختم رسالتي هذه.ألثم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي .. سلامي إلى جميع الأخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم.

لقد أطلت عليكم البحث ولكن دفعني لهذه الإطالة أن نحيط سماحتكم علماً ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً.والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في 22 أيلول 1329 خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

نقلاً عن كتاب (حكومة العالم الخفية) صـ 24 - 25 - 26.كذلك نشر الكتاب ذاته صورة الصفحة الأولى من رسالة السلطان باللغة التركية وبخط السلطان نفسه صـ22.

وصورة الصفحة الثانية من الرسالة وقد ظهر في أسفلها توقيع السلطان عبد الحميد وتاريخ الرسالة صـ 23.

ملحق (5)

موقف اليهود من المسيحية:

إن الخطة التي اتبعها اليهود للسيطرة على العالم المسيحي وتحطيمه لا تخرج عما ورد في رسالة نشرتها سنة 1880 مجلة البحوث اليهودية الفرنسية قالت : ((في 13 كانون الثاني عام 1489 كتب ((شامور)) حاخام مدينة ارل من أعمال مقاطعة بروفانس الفرنسية إلى المجمع اليهودي في استامبول يستشيره في بعض الحالات الحرجة حيث ورد في الكتاب (إن الفرنسيين في اكس وارل ومارسيليا يهددون معابدنا فماذا نفعل؟ ...) فجاءه الجواب التالي:

أيها الأخوة الأعزاء:

بأسى تلقينا كتابكم.. وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا. فكان هذا الخبر شديد الوطأة علينا وإليكم رأي المرازبة والحاخامات:

- **بمقتضى قولكم** : إن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحي . اعتنقوه لأنه لا يسعكم أن تقاوموا غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم.

- **بمقتضى قولكم** : إنهم يأمرونكم بالتجرد من أملاككم. فاجعلوا أولادكم تجاراً ليتمكنوا رويداً رويداً من تجريد المسيحيين أملاكهم.

- **بمقتضى قولكم**: إنهم يعتدون على حياتكم.

فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة، ليعدموا المسيحيين حياتهم.

- **بمقتضى قولكم** : إنهم يهدمون معابدكم

فاجعلوا أولادكم كهنة واكليريين ليهدموا كنائسهم.

- **بمقتضى قولكم**: إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة.

فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوي، وكتبة عدل، ليتداخلوا دائماً في مسائل الحكومة، ليخضعوا المسيحيين لنيركم. فيستولوا على زمام السلطة العالمية. وبذلك يتسنى لكم الانتقام.

سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم بهذا الذل وهذه الضعة التي أنتم فيها ستصلون إلى ذروة القوة والسلطة الحقيقية.

في 13 كاسلو (ت2) 1489

التوقيع

أمير يهود القسطنطينية

المصدر السابق صـ 26 - 27

كان زعماء اليهود يعقدون الاجتماعات السرية ليضعوا أسس التعاون فيما بينهم ويرسخوا الخطط التي توصلهم إلى أهدافهم. وقد جاء في البروتوكول الأول من (**بروتوكولات حكماء صهيون**) :

((إن الشعب لدى المسيحية أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات والنساء اللواتي تعملن في أماكن اللهو، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف)).

ولم يكن الأمر يقف عند هذا الحد فحسب، بل كان اليهود ينقلون مراكز قياداتهم السرية ونقاط تركيز نشاطهم من فرنسا إلى بريطانيا ثم إلى أمريكا، حسب تطور تلك القوى وقدرتها على التأثير في الأحداث الدولية.

وقد اختاروا أخيراً أن يحطوا رحالهم في الولايات المتحدة الأمريكية لأنهم أدركوا أنها ستكون أكثر القوى الفاعلة في الأحداث الدولية. وبدأ اليهود المغول الآسيويون يتدفقون على الولايات المتحدة ليل نهار في كتل بشرية متتابعة يحملون جوازات مزورة على أنهم روس أو بولنديون أو إيرلنديون).

وبدأ زعماء الولايات المتحدة يدركون خطر هجرة اليهود إلى بلادهم. فقد جاء في خطاب **بنيامين فرانكلين** أحد زعماء الاستقلال، عند وضع **دستور الولايات المتحدة** الأمريكية 1789:

((هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك هو خطر اليهود.. أيها السادة، في كل أرض حلّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي

وأفسدوا الذمة التجارية فيها ،وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب مالياً كما هي الحال في البرتغال وإسبانيا..))

ثم يتابع قوله: ((إذا لم يُبعدوا من الولايات المتحدة بنص دستورها. فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة إلى حدّ يقدرون معه أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية ، ولن تمضي مائة سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود ، على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين)).

((إنّني أحذركم أيها السادة. إنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً ، فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم....)).ولكن رغم كل ذلك، فقد استطاع اليهود باتباعهم لجميع الطرق الملتوية أن يسيطروا على الولايات المتحدة. ومعها هيئة الأمم المتحدة التي يشغلون فيها أهم المناصب.

والرئيس الأميركي ما هو إلا أفضل قارئ لما يكتبه مستشاره اليهودي. ومع أن معظم الأمريكيين يكرهون اليهود كراهيتهم للزنوج. لكن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العام عن طريق الإذاعة والتلفزيون والصحف ودور النشر والسينما. وما زالوا يجهدون للإجهاز على المجتمع الأمريكي بترويج الشذوذ الجنسي والمخدرات بأنواعها. نقلاً عن كتاب (حكومة العالم الخفية)

صـ 26 - 27 - 28 - 29 - 31 و32

وقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: ((تذكّروا الثورة الفرنسية التي أضفينا عليها صفة ((العظمة)) فأسرار تخطيطها نعرفها نحن لأنها كانت كليّة من صنع أيدينا)).

وقال اليهودي اللندني (أوسكار ليفي) ما يلي: ((نحن اليهود ما نزال هنا وكلمتنا الأخيرة لم يُنطق بها بعد، وعملنا الأخير لم يكمل بعد. نحن معشر اليهود صنعنا الحرب العالمية ..نحن اليهود لسنا إلا مضللي العالم وحارقيه وقاتليه ! إن ثورتنا الأخيرة لم تقم بعد .. ونحن وضعنا أسطورة الشعب المختار)).

ملحق رقم (6)

كيف تآمر اليهود على صلب السيد المسيح:

إن لأحد الأعمال التي قام بها السيد المسيح، أهمية ودلالة عظيمة لدى دراسة حركة الثورة التي قام بها، يعتبر كثير من الناس المسيح ثورياً بنى حركته الإصلاحية على عبادة الله القدير والطاعة للسلطة الشرعية، وليس لسلطة الكهنة المزيفين، ومحبة الناس ومحبة المرء لجيرانه، ولكن المسيح عليه السلام أحبَّ كل الناس ما عدا مجموعة واحدة خاصة لقد كره المرابين بعنف، وهاجمهم بقوة مرات متكررة لأكلهم الربا، وفضحهم و وسمهم بعبادة المال وقال عنهم: ((إنهم من كنيس الشيطان)). وبقيام المسيح بهذا العمل ضد المرابين والكهنة المزيفين وضد صرّافي النقود، إنما كان يوقع وثيقة موته.

لقد وضع النورانيون والكهنة المزيفون الخطة الي كان الجنود الرومان بموجبها سيعدمون المسيح، واعدوا القطع الفضية الثلاثين التي رُشي بها يهوذا الأسخريوطي، وكانوا هم الذين استعملوا واستأجروا مروجي الإشاعات ليضللوا (الدهماء) و كان عملاء النوارنيين هم الذين قادوا جمهور الشعب وهم الذين صرخوا مطالبين بوجوب إعدام المسيح، وهم الذين رتبوا الأمور بشكل يبدو معه الجنود الرومان منفذين لحكم الإعدام.

وهكذا نرى ان صرّافي النقود العالميين، أخذوا يستعملون الغوغاء في مخططاتهم السرية منذئذ إلى يومنا الحاضر، (الحركة العالمية) التي تقودها الآن الماسونية العالمية والحركة الصهيونية للمضي في مخططاتهم السرية للسيطرة النهائية على العالم.

ملحق (7)

ملك يهودي على عرش سوريا:

كانت الحركة الصهيونية منذ سنوات الحرب العالمية الأولى تحاول الحصول على بعض الأراضي في جنوب سورية وجنوب لبنان. وكان للصحافة في سورية دور كبير في فضح هذه المحاولات. حيث ورد في جريدة القبس بتاريخ 1935/12/15 ما يلي:

((ملك يهودي على عرش سوريا)) تحت هذا العنوان قالت الصحيفة ما يلي:

((ألقى السير هربرت صموئيل، وهو يهودي بريطاني، محاضرة في جامعة لندن بعنوان [إنكلترا وفلسطين] وقد أحدثت ضجة عنيفة في مختلف الأوساط السياسية، ولعل أهم ما جاء في هذه المحاضرة الخطيرة تصريح السير هربرت صموئيل بأن الحكومة الإنكليزية كانت قد وضعت مشروعاً بتأسيس مملكة يهودية مستقلة من قبل صدور تصريح وعد بلفور بتأسيس الوطن الصهيوني، ولم يقف السير هربرت عند هذا الحد بل اعترف أن فكرة تأسيس المملكة كانت موضع بحث بينه وبين الدكتور حاييم وايزم ان الزعيم الصهيوني الكبير، إبان الحرب العظمى، وأنه اجتمع في 9 تشرين الثاني 1914 إلى السير إدوارد غراي وزير الخارجية البريطانية إذ ذاك وفاتحه بتأسيس المملكة وكاد وزير الخارجية يقتنع بفائدة هذا المشروع الضخم لأن السير هربرت كان يريق عليه ألواناً جذابة

حتى أن وزير الخارجية السير غراي راح يساعد هربرت بشتى الوسائل السياسية والدبلوماسية على تحقيق فكرته.

ولأن السير غراي كان يحلم بمملكة أوسع من فلسطين، فاقترح السير غراي ضم سوريا ولبنان إلى هذه المملكة. على أن يعلن عليها ملك من بني إسرائيل. ولم يعارض السير هربرت صموئيل هذا الاقتراح. ولكنه طلب إمهاله لدراسة الاقتراح. ثم عاد بعد أسابيع وبين لوزير الخارجية الأضرار التي تنتظر هذا المشروع في فلسطين، إذا ما دخلته العناصر العربية في دمشق وبيروت. وقال له أن العرب في دمشق لن يمكنوا اليهود من صف حجر واحد في دمشق . فاقتنع السير غراي وأخذ يوجه اهتمامه إلى تأسيس إمبراطورية يهودية خالصة في فلسطين)).

نقلاً عن مذكرات الأستاذ أكرم الحوراني

جـ 1 - صـ 134 - 135

- والجدير بالذكر أن هربرت صموئيل اليهودي البريطاني قد عُين مفوّضاً سامياً بعد احتلال القوات البريطانية لفلسطين في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

الفهرس